

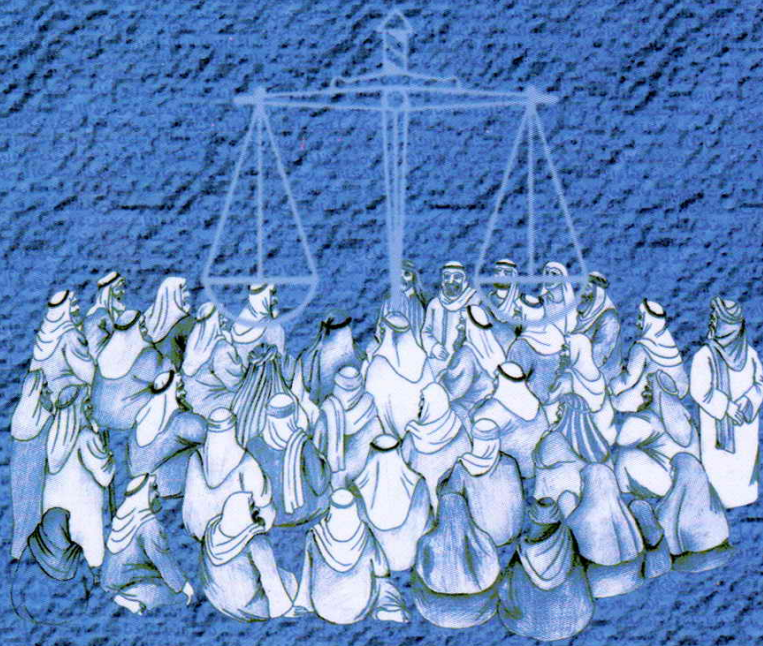
نظرة على النواحي الصعبة

بقلم:

المجاهدي الأديبي أحمد حسين يعقوب

راجعه:

عالي الكوراني العجالي





تَطْيِيرُ عِلْمِ الْبِرِّ وَالصَّحَابَةِ

بقلم:

المجتمعي الأردني أحمد حسين يعقوب

راجعه:

عبدالكريم العناني

الطبعة التاسعة - ١٤٢٩

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم حمداً كثيراً ، بمدى علمك ، وبسعة رحمتك ، حمداً طيباً يليق
بربوبيتك لي وبعبوديتي لك ، وبنفس الكم والكيف أستغفرك من كل ذنوبي
وآثامي كما أمرت ، وأتوسل إليك أن تجود عليّ بالمغفرة كما وعدت ، إنك يا
مولاي لا تخلف الميعاد . وأسألك باسمك العظيم الأعظم ، وكلماتك التامة ، أن
تصلي وتسلم على رسولك محمد الذي أرسلته بالإسلام ، فميزه وبينه ، وسلك
بمعتنقيه الصراط السوي إليك فعبدّه .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، أهل الثقل والتقوى ، ونجوم
الأمان والهدى ، وسفن النجا ، الذين خصصتهم الله بالفضل ، وقدمتهم على أهل
الملة ، وجعلت الصلاة عليهم ركناً من أركان الصلاة المفروضة ، لتكون تذكرةً
دائمة بتلك المنزلة (إن الذكرى تنفع المؤمنين) .

أما بعد ، فإن المنظومة الحقوقية الإلهية التي جاء بها الإسلام ، ما هي في
مجمليها وحقيقتها وبكل جوانبها إلا خطة إلهية متكاملة ، أعدت بإحكام ،
ووضعت خصيصاً لترشيد الجنس البشري للأقوم ، ولإسعاده في الدارين ، وهي
بطبيعتها وبحكم تكوينها الإلهي قائمة على الجزم واليقين ، بعكس المنظومات

الحقوقية الوضعية المبنية أصلاً على الافتراض والتخمين .

ومما يؤكد الثقة المطلقة بهذه المنظومة أنها لم تبقَ مجرد قواعد نظرية ، إنما شقت طريقها إلى عالم التطبيق ، ونقلت من النظر إلى العمل ، ومن الكلمة إلى الحركة ، وبالتصوير الفني البطيء ، عبر دعوة قادهما النبي ﷺ بنفسه ، تمخضت عن دولة ترأسها النبي ﷺ نفسه . ونتيجة تطبيقها تكونت خير أمة أخرجت للناس ، وقامت أعظم دولة عرفتها البشرية وهي دولة النبي ﷺ .



والنبي الكريم على فراش الموت ، وبُعَيْد انتقاله إلى جوار ربه بدأت سلسلة من التداعيات والإنهيارات السياسية واقعياً ، وبدأت معها عمليات التعتيم والتظاهر بالسلامة ، والتستر على هذه الإنهيارات ، ظناً من أرباب تلك العمليات أنها قد تعطي الفرصة لإيقاف الإنهيار فلا يسمع به أحد ، ولا يشمت بالدين وأهله شامت ، ولكن الإنهيارات لم تتوقف بل توالى عبر التاريخ ، ومهد الإنهيار إلى انهيار آخر ، حتى تحول النظام السياسي في الإسلام إلى هيكل عظمي ولم يبق فيه من الإسلام إلا الاسم ، حتى اختفى وانهار نهائياً بسقوط آخر سلاطين بني عثمان !

واستفاق المسلمون من ذهولهم : فإذا بالأمة الواحدة أمم ممزقة ، تحيا الحيرة والضياع ، فلو أرادت أن تتحد لما عرفت كيف تتحد ، كما يقول العقاد في ميزانه ، وإذا بدولة الإسلام الواحدة دول ، وإذا بحمى الإسلام يتحول إلى مائدة تتداعى عليها الأمم ، والعالم من حولنا تتحكم به شريعة الغاب ، وقد أنشبت

المادية أظافرها في ذاته فأدمتها وهو يجري وراء السراب ، يتوهم أنه اكتشف العلاج الذي يوقف النزيف ويحاول أن يجر إليه البشرية جراً ، تحت شعار الرحمة وإكراه المريض على تناول العلاج .

وبينما الطبول تصدر أنغام الفرح والمسرة ، يكتشف العالم أن الذي تصوره علاجاً كان وهماً... وليس انهيار العقيدة الشيوعية ببعيد . لماذا حدثت الإنهيارات؟ لماذا توالى؟ حتى حولت النظام السياسي الإسلامي إلى هيكل عظمي وأخرجته عن معناه وصورته ، تم أتت عليه ورفعته من واقع الحياة بعد أن أبطلت مفعول المنظومة الحقوقية الإلهية وحرمت الجنس البشري من التداوي بعلاج الإسلام ومن الإنتفاع بمنظومته؟ أين يكمن سبب ذلك كله؟ من المحال عقلاً أن يكون سبب هذه البلايا والمحن من المنظومة الحقوقية ذاتها ، لأنها صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه ! إذن ، فمن المؤكد أن السبب يكمن في الذين قادوا التاريخ السياسي الإسلامي وصنعوه ، أو في الأمة التي اشتركت معهم في صناعته وإخراجه ، أو بالإنثنين معاً !



الأحزاب الدينية العربية التي تولت قيادة موكب التقليد الأعمى ، وتاجرت بالآلام وخلطت كل الأوراق لغاية في نفس يعقوب ، تحاول بكل قواها أن تلقي بروح الناس أن فهمها للإسلام هو الإسلام بعينه ، مع أن الإسلام من صنع الله ، وفهم الأحزاب للإسلام من إنتاجها . كما تحاول بكل قواها أن تثبت للناس بأن التاريخ السياسي الإسلامي الذي صنعه البشر من بعد وفاة النبي ﷺ وحتى سقوط

آخر سلاطين بني عثمان ، هو عينه النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده لترشيد الحركة السياسية للمجتمع البشري ، وهي جادة في ما تقول مع أنها بعملها هذا قد خلطت الفهم بالمفهوم وقدمت التابع على المتبوع ، والفرع على الأصل ، واستبدلت المنظومة الحقوقية الإلهية بالإجتهاادات التي نشأت في ظلالها ولم تتكلف الأحزاب الدينية العربية بذلك ، إنما ضاق صدرها بالرأي الإسلامي المخالف ، وحاولت بكل الوسائل أن تخنقه ، وهي مع ذلك تدعي الإنفتاح على الفكر العالمي ، وتعدُّ بإعطاء الحرية له ولأربابه ليعرضوا فكرهم ، في الوقت الذي تخنق فيه الرأي الإسلامي المعارض لها ، وتمنع أصحابه من التصريح به ، فكيف تصدق بربك ادعاءات هذه الأحزاب بالإنفتاح؟ وهكذا قدمت الأحزاب الدينية العربية الإسلام للعالم ، فالإسلام الذي جاء لينقذ الجنس البشري ويتسع له كله ، ويشبع حاجاته وآماله كلها ، يضيق على أبنائه ويضيق بهم !! ذلك مبلغهم من العلم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .



بهذا البحث المتواضع حاولت جهدي إثبات أن ما أنزله الله شئ ، وأن فهمنا له شئ آخر ، وأن الإنهيارات التي بدأت بعد وفاة النبي ﷺ وتوالى حتى اقتلعت النظام السياسي الإسلامي من واقع الحياة ، لم تكن بسبب علة في الدين ، ولا لنقص أو خطأ في منظومته الحقوقية الخالدة ، إنما بسبب المسلمين الذين بدلوا نعمة الله بما تهوى الأنفس ، وهنا يكمن جذر البلاء ، ومنه المنطلق نحو الله .

وتأصيلاً وتجذيراً وتسهيلاً لاستيعاب هذا البحث ، فقد قسمته إلى أربعة

أبواب ، عالجت في الباب الأول مفهوم الصحبة ، وفي الباب الثاني كشفت الجذور التاريخية لهذا المفهوم ، أما الباب الثالث فقد وضحت فيه المرجعية في الإسلام ، ونظراً لارتباط مبدأ المرجعية بالقيادة السياسية ، فقد تناولت في الباب الرابع القيادة السياسية في الإسلام ، وسيكتشف القارئ المتمعن أن هذه المواضيع الأربعة تتشابك مع بعضها تشابكاً عضوياً يتعذر فصله ، وفي كل موضوع من هذه المواضيع سقت رأي أهل السنة باعتباره رأياً إسلامياً ، قاد أصحابه الأمة الإسلامية طوال التاريخ ، بعد أن استخرجته من مصادر أهل السنة المعتبرة ، ثم سقت رأي أهل الشيعة ، باعتباره رأياً إسلامياً تولى مهمة المعارضة طوال التاريخ الإسلامي ، بعد أن استمزجت هذا الرأي من مصادر أهل الشيعة ، وبعد ذلك وضعت تحت تصرف عشاق الحقيقة الشرعية المجردة حكم الشرع في كل موضوع من تلك المواضيع . فجاء البحث وحيد زمانه شكلاً وموضوعاً ومنهجية . وحسب علمي القاصر ، فإنه لأول مرة في العصر الحديث يتم تناول هذا الموضوع من قبل عربي من أهل السنة بهذا الشمول والتكامل والموضوعية ، وبهذا الحجم من المعلومات والمراجع .



ولم أخف ولائي لآل محمد خاصة ، ولبني هاشم عامة ، ومن يلمني بولائي لهم وهم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر ، والهداية لا تدرك إلا بهما معاً والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بهما معاً ، كما هو ثابت في النصوص الشرعية القاطعة . وكيف يلمني لائم وهم سفن النجا ، ونجوم الأمان والهدى في كل ليل

كما هو ثابت في النص ، وهم الحل ، فالنبي هو القاسم المشترك بين المسلمين ، وحصر القيادة والولاية في أولاده تطيب لنفوس الجميع ، وانتزاع لجذور الطمع بها من نفوس الجميع ، ونبذ التنافس عليها يؤدي إلى الإستقرار ، ناهيك عن فضل القرابة الطاهرة على الإسلام ، فهم الذين حموا النبي ومنعوه ، وهم الذين حاصرتهم كل قبائل العرب مجتمعة وبلا استثناء ثلاث سنين في شعاب أبي طالب ، وللعرب مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمداً ، أو أن يُخلوا بينه وبين العرب ليقتلوه ، ولو استجاب الهاشميون لأحد هذين المطلبين لما قامت للإسلام قائمة ، ولقتل النبي ﷺ كما قتل غيره من الأنبياء ! فضلاً عن جهاد الهاشميين الذي لا ينكره أحد ، وتضحياتهم التي لا تخفى على أحد ...

هذا غيض من فيض من مبررات ولائي وشغفي ، فمن يلمني بعد ذلك ؟



إلهي ومولاي ، أنت تعلم سري وعلانيتي ، وتعلم أنني ما قصدت إلا رضاك فإن أصبت فمك ، إنك نعم المولى ونعم النصير ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وثانية أقول: اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك وهديةً لمحمد ولآل محمد ولكل هاشمي أو مُطلبِي دب على وجه الأرض أو سيدب إلى يوم الدين ، صدقةً تطفئ بها خطاياي ، وتقربني منك ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

الباب الأول

مفهوم الصحبة والصحابة

الفصل الأول

١ - معنى الصحابة لغة

أ - في قواميس اللغة: الأصحاب ، الصحابة ، صحب ، يصحب صُحْبَةً
(بالضم) وصَحَابَةً (بالفتح) صاحب أي: عاشر ، رافق ، جالس ، انقاد ، شايح .
والصاحب هو المعاشر ، أو المنقاد ، أو المجالس ، أو المشايح ، أو المرافق ، أو
القائم على الشيء ، أو الحافظ له . ويطلق أيضاً على كل من تقلد مذهباً ، فيقال:
أصحاب الإمام جعفر ، وأصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب الشافعي... إلخ. يقال:
اصطحب القوم أي صحب بعضهم بعضاً ، واصطحب البعير أي انقاد له .^(١)

ب - في القرآن الكريم: الله تبارك وتعالى أنزل الكتاب قرآناً عربياً ، وهو
بوجه من وجوه المرجع اليقيني الأوحى للغة العربية ، لأنه كلام الله العالم علماً
يقيناً بأدق خفايا هذه اللغة وأعمق أسرارها. وبتلاوتنا للقرآن الكريم نجد أنه قد

(١) ويمكن لمن أراد أن يراجع على سبيل المثال: لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: ٩١٥/١ .
وتاج اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري/١٦١-١٦٢ . وتاج العروس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي: ١٨٦/٣
والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ورفقاه: ٥٠٩/١-٥١٠ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي مجدي بن محمد
يعقوب . ومختارات الصحاح لأبي بكر الرازي/٣٥٦ .

اشتمل على كلمات (تصاحبني ، وصاحبهما ، وصاحبه ، وصاحبته ، وأصحاب ، وأصحابهم) وأن هذه الكلمات تكررت بمجموعها في القرآن الكريم (٩٧) مرة . ومن المثير للإنتباه ، أننا لم نعثر في القرآن الكريم كله على لفظ لكلمتي (صَحابة ، بالفتح ، أو صُحبة ، بالضم) .

ج - استقراء الآيات لصالح المعنى اللغوي: وباستقراءنا لتلك الكلمات نجد أنها تشكل تغطية كاملة للمعاني اللغوية التي أشرت إليها في الفقرة السابقة ، فالصحبة يمكن أن تأخذ وجهاً أو صورة واحدة ، ويمكن أن تأخذ وجوهاً أو صوراً متعددة ، ويمكن أن يكون لها وجه أمثل يشمل كل نواحي الخير ، وقد يكون لها وجه أبشع يشمل كل نواحي الشر .

د - وجوه أو صور الصحبة: فقد تكون بين مؤمن ومؤمن^(١) وقد تكون بين ولد ووالدين مختلفين بالإعتقاد^(٢) أو بين رفيقي سفر^(٣) أو بين تابع ومتبوع^(٤) أو بين مؤمن وكافر^(٥) أو تكون شمولية على الشر بين كافر وكافرين^(٦) أو بين نبي وقومه الكافرين والنبي يحاول أن يشدهم نحو الخير وهم يحاولون إعادته إلى حظيرة الشر^(٧) وقد تكون الصحبة اضطرارية^(٨) وقد تكون صحبة أثر فيقتدي فاسد بفعل

(١) راجع الآية ٢٦ من سورة الكهف ، و: ٩٢/٣-٩٣ من تفسير ابن كثير على سبيل المثال .

(٢) راجع الآية ١٥ من سورة لقمان ، و: ٤٤٤/٣ من تفسير ابن كثير .

(٣) راجع الآية ٣٦ من سورة النساء ، و: ٤٩٤/١ من تفسير ابن كثير .

(٤) راجع الآية ٤٠ من سورة التوبة ، و: ٣٥٨/٢ من تفسير ابن كثير .

(٥) راجع الآيتين ٣٤ و ٣٧ من سورة الكهف و: ٨٣/٣ من تفسير ابن كثير .

(٦) راجع الآية ٢٩ من سورة القمر ، و: ٢٦٥/٤ من تفسير ابن كثير .

(٧) راجع الآية ٢ من سورة النجم والآية ٤١ من سورة سبأ و: ٥٤٣/٣ و: ٢٤٦/٤ لابن كثير .

(٨) راجع الآية ٢ من سورة النجم والآية ٤١ من سورة سبأ و: ٥٤٣/٣ و: ٢٤٦/٤ لابن كثير .

فاسد وينسج على منواله^(١) وقد تكون الصحبة انقياداً لعقيدة إلهية وولاء مطلقاً لقيادتها السياسية كانقياد الآل الكرام للعقيدة الإلهية وولائهم المطلق لقيادة النبي السياسية وتضحياتهم الجسام ، وكانقياد وولاء الصفوة الصادقة من أصحاب محمد ﷺ. فمحور الصُّحبة (بالضم) محور شمولي يرتكز على عقيدة وقيادة وأهداف ومثل علياً يسعى القائد وأصحابه لتحقيقها وسيادتها على مجتمع معين^(٢).

٢ - معنى الصحابة اصطلاحاً

يقول ابن حجر العسقلاني الشافعي بالحرف: «الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»^(٣)

أ- توضيح ابن حجر لهذا التعريف: « فيدخل فيمن لقيه:

١- من طالت مجالسته له أو قصرت .

٢- من روى عنه أو لم يرو .

٣- من غزا معه أو لم يغز .

٤- من رآه ولو لم يجالسه .

٥- من لم يره لعارض كالعمى .

ويخرج بقيد الإيمان: ١- من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب

قبل البعثة .

(١) راجع الآية ٥٩ من سورة الذاريات و: ٢٣٨/٢ لابن كثير .

(٢) راجع سلسلة مقالاتنا المنشورة تباعاً في جريدة اللواء الأردنية عام ٩١-٩٢ .

(٣) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر/١٠.

- ٢- وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل ؟ محل احتمال ، ومن هؤلاء بحيرة الراهب ونظراؤه .
- ٣ - ويدخل في قولنا مؤمناً به: كل مكلف من الجن والإنس .
- ٤ - وإنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة فليس بمنكر .
- ٥- وقال ابن حزم (من ادعى الإجماع فقد كذب على الأمة ، فإن الله قد أعلمنا أن نفرأ من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي ﷺ فهم صحابة)^(١).
- ٦ - الملائكة محل نظر ، وقد نقل الإمام فخر الدين الرازي في (أسرار التنزيل) الإجماع على أنه ﷺ لم يكن مرسلأ إلى الملائكة ، ونوزع في هذا النقل ، بل رجح الشيخ تقي الدين السبكي أنه كان مرسلأ إليهم واحتج بأشياء . ٧ - وخرج بقولنا (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على دينه والعياذ بالله ، من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذي كان زوجاً لأم حبيبة فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر ومات على نصرانيته ، وكعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة . ٨ - ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا ، وهذا هو الصحيح المعتمد . والشق الأول لا خلاف في دخوله ، وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالاً ، وهو مردود لإطباق أهل الحديث على أن ابن قيس من الصحابة ، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح وهو ممن ارتد ثم عاد للإسلام في خلافة أبي بكر .

(١) راجع ١١/ ومافوق من المرجع السابق .

ب - تقييم ابن حجر لهذا التعريف: هذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين ، كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما . ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة ، كقول من قال: لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة : ١ - من طالت صحبته . ٢ - أو حفظت روايته . ٣ - أو ضبط أنه قد غزا معه . ٤ - أو استشهد بين يديه . وكذلك من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت . وأطلق جماعة أن من رأى النبي ﷺ فهو صحابي ، وهو محمول على من بلغ سن التمييز ، إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه ، وعندما يراه النبي ﷺ فيكون صحابياً من هذه الحثية ، ومن حيث الرؤية يكون تابعياً . وهل يدخل من رآه ميتاً قبل أن يدفن كما وقع لأبي ذؤيب الهذلي الشاعر ، إن صح ؟ محل نظر ، والراجع عدم الدخول .

ج - وسائل معرفة الصحابة: أن يثبت بطريق التواتر أنه صحابي ثم بالإستفاضة والشهرة ، ثم أن يُروى عن أحد من الصحابة أن فلاناً له صحبة مثلاً وكذلك عن آحاد التابعين ، بناءً على قبول التزكية من واحد وهو الراجع ، ثم بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة أنا صحابي .

أما الشرط الأول وهو العدالة فجزم به الآمدي وغيره ، لأن قوله قبل أن تثبت عدالته أنا صحابي أو ما يقوم مقام ذلك ، يلزم من قبول قوله إثبات عدالته ، لأن الصحابة كلهم عدول فيكون بمنزلة القائل أنا عدل وذلك لا يقبل . وفوق ذلك المعاصرة ، فيعتبر بمضي مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبي ﷺ ، ومن هنا لم تصدق الأئمة من ادعى الصحبة بعد الغاية المذكورة ، وقد ادعاها جماعة فكذبوا

لأن الظاهر كذبهم في دعواهم . ومن لا تعرف حاله إلا من نفسه فمقتضى كلام الآمدي أن لا تثبت صحبته .

د - كل الشعب صحابة: من المجمع عليه أن الدعوة المحمدية تمخضت عن الدولة المحمدية التي قادها النبي ﷺ بنفسه قرابة عشر سنين ، أرسى خلالها قواعد النظام السياسي الإسلامي ، وبين عقيدة الإسلام بياناً كاملاً من خلال نقل النص من النظرية إلى التطبيق على كل صعيد ، ومن خلال إبراز روحها العامة . ومن المتفق عليه دستورياً أن مقومات الدولة أية دولة على الإطلاق تتكون من: شعب وإقليم يستقر فيه ذلك الشعب . وسلطة تسوس هذا الشعب .

وإذا أخذنا بالتعريف الذي أورده ابن حجر العسقلاني للصحابة ، فإن المعول لينال شرف الصحبة ويكون صحابياً هو:

١ - الإلتقاء بالنبي محمد ﷺ ، سواء أكان هذا الإلتقاء عن طريق المجالسة أو المحادثة أو المشاهدة . فمن شاهد النبي أو شاهده النبي فهو صحابي ، حتى ولو كان طفلاً رضيعاً ، لأن المشاهدة لا تنسب له إنما تنسب للنبي نفسه .

٢ - الإيمان بالنبي أنه نبي ، فلو أخذنا برأي ابن حجر العسقلاني لوجب علينا أن نتأكد من حقيقة هذا الإيمان ، وهذا أمر خارج عن قدرة البشر ، وكان على ابن حجر العسقلاني أن يقول: مؤمناً به أو متظاهراً بالإيمان به . فعبد الله بن أبي سلول ، زعيم المنافقين قولاً واحداً هو من الصحابة بالإجماع . فقد قال النبي ﷺ لمن أشار بقتله (فلعمري لنحسنن صحبته ما دام بين أظهرنا)^(١).

وعبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ثم افتري على الله الكذب ،

(١) راجع الطبقات لابن سعد: ٥٦/٢ على سبيل المثال وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٠٣ .

وأباح الرسول ﷺ دمه ولو تعلق بأستار الكعبة ، وعند فتح مكة تشفع له عثمان ودخل في الإسلام لينجو بروحه... وهو صحابي شاء الناس أم أبوا^(١)

ومثله الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ إذ طرده الرسول وحرم عليه دخول المدينة ، وبوفاة الرسول راجع عثمان أبا بكر ليدخله لكن أبا بكر رفض ، ولما مات أبو بكر راجع عثمان عمر ليدخل ولكن عمر رفض أيضاً أن يدخله المدينة في عهده ، ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معزراً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم لأنه صحابي .^(٢)

وباختصار: لا يشترط بالشخص حتى يكون صحابياً أن يكون مؤمناً حقيقة بالنبي بل يكفي أن يتظاهر بالإيمان وأن يموت على هذا الإيمان أو على هذا التظاهر به ، لأن النبي لا يعني بالبوطن إنما يكلها إلى الله .

ومن هنا ، ومن خلال دعوة النبي ومن خلال دولته وغزواته^(٣) ومن خلال بيعة الناس له ، والحج والعمرة وفتح مكة وحجة الوداع خاصة ، وسيطرة دولته الكاملة على الجزيرة العربية أتاحت الفرصة للجميع للإلتقاء به ، لم يبق في مكة ولا الطائف أحد في السنة العاشرة إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع ، ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخزرج أنه لم يبق منهم أحد في آخر عهد النبي إلا ودخل في الإسلام ، وما مات النبي وواحد منهم يظهر الكفر^(٤) حتى الأطفال صاروا صحابة على سبيل الإلحاق لغلبة الظن على أنه ﷺ رأهم لتوفر دواعي أصحابه على إحضارهم أولادهم عنده عند ولادتهم ليحنكهم ويسميهم ويبارك

(١) راجع المعارف لابن قتيبة/ ١٣١ و ١٤١ .

(٢) راجع المعارف لابن قتيبة/ ٥٤ و ١٣١ و راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ١٠٣ .

(٣) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ٢٣٢ وما فوق .

(٤) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني/ ١٦ .

عليهم . والأخبار بذلك كثيرة « كان النبي يؤتى بالصبيان فيبارك عليهم » « ما كان يولد مولود إلا أتى به النبي »^(١) فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الفوارق قد أزيلت تماماً بين الحاكم والمحكوم في دولة النبي ، وأنه كان بإمكان أي مواطن في الدولة الإسلامية أن يراه و أن يتكلم معه أو يحضر مجلسه ، مما جعل شعب دولة النبي كله صحابة بهذا المفهوم ، بمعنى أن كل مواطني الدولة التقوا بإمامهم ورئيس دولتهم ، أو شاهدوه أو سمعوه أو جالسوه .



(١) الإصابة في تمييز الصحابة/٧ لابن حجر العسقلاني .

نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة

اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة على حد تعبير ابن حجر العسقلاني ، ويجب الاعتقاد بنزاهتهم إذ ثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار^(١) والمقصود بالصحابة كل الصحابة بالمعنى الذي عرضناه عند تحليل تعريف ابن حجر .

ما هو دليل أهل السنة على ذلك ؟

ذكر الخطيب أن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم. فمن ذلك قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . وقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا . وقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ . وقوله: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ . وقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وقوله: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضواناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . إلى قوله: إِنَّكَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ . وآيات كثيرة يطول ذكرها ، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها^(٢) .

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة/٩ و ١٠ .

(٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة/٩ و ١٠ .

مضمون عدالة الصحابة عند أهل السنة

تعني عدالة الصحابة فيما تعنيه ، أن كل من عاصر الرسول أو ولد في عصره ، لا يجوز عليه الكذب والتزوير ، ولا يجوز تجريحه ، ولو قتل آلافاً وفعل المنكرات ، وعلى أساس ذلك فجميع الطبقة الأولى من الأمويين ، كأبي سفيان وأولاده ، وجميع مروانين بما فيهم طريد رسول الله وأولاده ، وعمرو بن العاص وولده عبدالله الذي كان في حدود العاشرة من عمره حين وفاة النبي ﷺ ، ومع ذلك نسبوا إليه مجموعة من الأحاديث كتبها على النبي في صحيفة يسمونها الصادقة .

فجميع هؤلاء من العدول ومروياتهم من نوع الصحاح ولو كانت في تجريح علي وأهل البيت ، وفي تقرّظ عبد الرحمن بن ملجم وتقديسه . هذه المرويات يجب قبولها ولا يجوز ردها لأن رواتها من العدول ، والعاقل لا يتعمد الكذب . والذين اتبعوا معاوية وسايروه طيلة ثلاثين عاماً من حكمه ، هؤلاء كلهم على الحق والهدى ، وحتى الذين سموا الحسن بن علي وقتلوا الحسين وأصحابه ، وفعلوا ما فعلوا من الجرائم في الكوفة وغيرها ، كانوا محققين ومن المهتمين بحجة أن النبي ﷺ قد قال بزعمهم: « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »^(١) مع أن هذا الحديث ضعفه أئمة أهل الحديث فلا حجة فيه وطعن فيه ابن تيمية.^(٢)

(١) راجع ٨١/ و ٨٢ من كتاب آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي .

(٢) المرجع السابق/٩١ وقد نقل عن محب الدين الخطيب وعن المنتقى للذهبي .

ما هو جزاء من لا يعتقد بهذا الرأي؟

بأقل أقوال أهل السنة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق . والذين ينقصون أحداً على الإطلاق من الصحابة هم زنادقة والجرح أولى بهم»^(١) «ومن عابهم فلا تؤاكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه .»^(٢)

ما هو سرُّ هذا التشدد والصرامة عند أهل السنة؟

ذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، وهؤلاء الذين ينقصون أحداً من الصحابة يريدون أن يخرجوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة .^(٣) ويقصد أهل السنة بالصحابة ما قصده ابن حجر عند تعريفه للصحابي بدءاً من خديجة وعلي وزيد بن حارثة وأبي بكر وانتهاءً بآخر طفل رأى الرسول أو رآه الرسول .

محاولة للتخفيف من هذا الغلو

قال المازري في شرح البرهان: (لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه النبي ﷺ يوماً أو زاره لمأماً ، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كذب ، وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون).^(٤)

استنكار المحاولة ودفنها

- (١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني/ ١٧ و ١٨ .
- (٢) راجع/ ٢٣٨ من كتاب الكبائر للحافظ الذهبي وراجع آراء علماء المسلمين/ ٨٥ للسيد مرتضى الرضوي .
- (٣) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني/ ١٧ و ١٨ .
- (٤) الأعراف- ١٥٧ ، راجع الإصابة في تمييز الصحابة/ ١٩ .

وأما كلام المازري فلم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء ، وقال الشيخ صلاح العلاني: (هذا قول غريب يخرج كثيراً من المشهورين بالصحة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن العاص وغيرهم ممن وفد عليه ﷺ ولم يبق عنده إلا قليلاً وانصرف . كذلك من لم يعرف إلا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار إقامته من أعراب القبائل . والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتمد).^(١)

الآثار المترتبة على هذا التعميم

المساواة العشوائية ، فالصحابا حسب رأي أهل السنة متساوون بالعدالة ، فجميعهم عدول ، فالقاعد كالمجاهد ، والعالم كالجاهل ، ومن أسلم عن اقتناع تماماً كمن أسلم لينجو بروحه ، والسابق كاللاحق ، والمنفق كالمقتر ، والعاصي كالمطيع ، والطفل المميز تماماً كالراشد ، ومن قاتل الإسلام في كل المعارك تماماً كمن قاتل مع الإسلام كل معاركة . فعلي ﷺ الذي قاتل مع الإسلام كل معاركة هو تماماً كأبي سفيان الذي قاد كل الحروب ضد الإسلام ، وهو تماماً ك معاوية بن أبي سفيان ! وحمزة ﷺ وهو المقتول وسيد الشهداء تماماً مثل قاتله (وحشي) وعثمان بن عفان المبشر بالجنة هو تماماً مثل عمه الحكم بن العاص والد خلفاء بني أمية ، وهو طريد رسول الله وطريد صاحبيه ، وقد لعنه الرسول ولعن ولده^(٢) وعبدالله بن أبي سرح الذي افتري على الله الكذب وارتد عن الإسلام وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة^(٣) هو تماماً كأبي بكر!

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة/١٩ .

(٢) راجع كنز العمال: ٣٥٨/١١ - ٣٦١ وراجع المعارف لابن قتيبة/١٣١ و ٤١ و ٥٤ .

(٣) راجع كنز العمال: ٣٥٨/١١ - ٣٦١ وراجع المعارف لابن قتيبة/١٣١ و ٤١ و ٥٤ .

وعبدالله بن أبيّ زعيم المنافقين تماماً كعمار بن ياسر... إلخ. كيف لا؟ فكلهم صحابة، وكلهم عدول، وفي الجنة، ولا يدخل أحد منهم النار أبداً كما نقلنا!!

تساؤل واستنتاج

هل يعقل أن يكون العالم كالجاهل والقاعد كالمجاهد، ومن أسلم عن اقتناع كمن أسلم خوفاً؟ هل من المعقول أن يتساوى القاتل والمقتول؟ وهل يتساوى السابق باللاحق، والمنفق بالمقتر، والعاصي بالمطيع وصادق الإيمان بالمتظاهر؟ وأن يتساوى المؤمن والمنافق... إلخ؟ هل يعقل أن يكون معاويه مثل علي؟! لا الشرع يقبل هذه المساواة ولا العقل ولا المنطق، وهو ظلم صارخ وخلط فظيع ينفر منه العقل وتآباه الفطره الإنسانية السليمة.^(١)

نقد رأي أهل السنة - الإئتلاف والاختلاف

على ضوء المعنيين اللغوي والإصطلاحي فإنه لا بديل أمام أتباع الإسلام (الفرق الإسلامية) من الإتيان على أن اصطلاح الصحابة يشمل كل الذين أسلموا أو تظاهروا بالإسلام وسمعوا رسول الله ﷺ أو جالسوه أو شاهدوه، ولكن الخلاف يكمن في التعميم، فبينما يرى أهل السنة أن الصحابة بهذا المعنى الواسع كلهم عدول، إلا أن الفرق الإسلامية الأخرى لا تقر أهل السنة على ذلك ولا توافق على هذا التعميم.

محاولة للتوفيق

الصحابة بالمعنى الواسع الذي يركن إليه أهل السنة هم كل شعب دولة النبي، أو هم كل الأمة الإسلامية التي دانت لدولة النبي ﷺ، وهم أول المخاطبين

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٠٦ وما فوق.

المعنيين بآيات القرآن الكريم ، فمن أعلن إسلامه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ اعتبر مسلماً ومواطناً في دولة النبي ، لأن الله هو المطلع على الضمائر ، العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهو وحده الذي يثيب على هذا الإسلام .

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد ، فقد كان النبي يكتفي بالظاهر ويترك البواطن لله ، وسلوك الإنسان متروك للمستقبل ولرحمة الله وتأثير المجتمع المسلم عليه ، ولموقف الفرد من معارك الإيمان مع الكفر تحت قيادة النبي ﷺ أو من ينتدبه . ومن الطبيعي أن النبي لم يقل لمنافق أنت منافق ، بل كان يدعو الله أن يستر على عيوب خلقه وأن يصلحهم ويهديهم ، مع أن القرآن الكريم حافل بالآيات التي تفرع بشدة المنافقين المنتشرين في عاصمته المدينة ومن حولها من الأعراب وقد كشفت هذه الآيات أسرارهم ، وفضحت أضعفانهم ، وعالجت أموراً واقعية ، ووصفت وشخصت حالات فردية لأشخاص كانوا يعتبرون صحابة ، بل وأقيمت الحدود على كثير منهم . والشريعة وضعت صفات موضوعية لأعمال البر والتقوى ولأعمال الفجور ، فمن توافرت فيه صفات معينة حشرته تلك الصفات بإحدى هاتين المجموعتين ، وترجمة الصفات وبيانها متروك لسلوك الإنسان ميدانياً . فالصدام مع الكفر لم يتوقف طيلة حياة النبي ، والإنسان بطبعه يعكس دائماً حقيقة اعتقاده بسلوكه آجلاً أم عاجلاً .

وبانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى كان كل مسلم من مواطني الدولة الإسلامية يعرف حقيقة موقعه في حوض التقوى أو في بؤرة الفجور ، وعرف الناس كلهم منازل بعضهم ، مع أن المجتمع المسلم خاصة مجتمع المدينة المنورة كان مجتمع صحابة ولكل واحد من أفرادها صفة صحابي لغة واصطلاحاً .

ثم من يأمن مكر الله؟ وما معنى الأمور بخواتمها؟ إنه لا بديل من تقسيم الصحابة الكرام إلى مجموعتين كبيرتين: ١ - أفاضل الصحابة: وهم الأخيار الذين قامت الدولة على أكتافهم ، وتحملوا سخرية وأذى الأكثرية الكافرة حتى ظهر أمر الله ، وتمسكوا بأمر الله ، ووالوا نبيه ووالوا من والاه ، وانتقلوا إلى جوار ربهم وهم معتصمون بحبل الله ، فهؤلاء عدول بالإجماع ، ولا تشذ عن ذلك أية فرقة من الفرق الإسلامية . ٢ - بقية الصحابة: وهم متفاوتون ، الله أعلم بهم ، فمنهم الصبي ومنهم المنافق . فالمنافقون الأشرار جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار مع أنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام، ويسمون أيضاً صحابة بكل المعايير الموضوعية المعروفة عند أهل السنة .

ما هي الفائدة من هذا التقسيم؟

إن معرفة أفاضل الصحابة أمر في غاية الأهمية ، فهم الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة ، وهم ركن من أركان أهل الشورى ، وهم الذين ينفذون أوامر الإسلام ، وهم حكومة الإمام الفعلية ، وهم الذين يقومون بتهيئة المجتمع لتلقي الذكر ولتطبيق الشريعة ، وإعطاء البيعة العامة ، وبرضاهم يجب أن ترضى العامة ، وبسخطهم أن يسخطوا . فإذا تحقق ذلك نجت الأمة ونجوا ، وإن لم يتحقق هلكت الأمة وتأخروا ، ووسد الأمر لمن يغلب . وفائدة هذا التقسيم الآن هو دراسة الماضي دراسة موضوعية لمعرفة سر اختلاف المسلمين وبعثرة كلمتهم وانهيار دولتهم ، تمهيداً لاستشراف مستقبلهم وتوثيق خطواتهم ، بحيث تبقى ضمن المقصود الشرعي كطريق أوحد لتوحيدهم ثانية وإقامة دولتهم التي ينبغي أن تقوم على الأسس الشرعية ، حتى تدوم وتتحقق غايتها ولا تنهار ثانية . ثم إن التفضيل ضروري لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة . يقول

تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . (النساء: ٥٨). وقد فسرها الطبري بإسناد الولاية لمن هو جدير بها . وكيف يمكن تأدية هذه الأمانات هنا دون اللجوء للتفاضل؟ إن أول من سمع بذلك هم الصحابة، ومن المعني به غيرهم؟!!

التفاضل سنة إلهية

التفاضل سنة إلهية ، ومنهج من مناهج الحياة ، وحافز من حوافز السموبها ، تقتضيه طبيعة الحياة ، ويقتضيه التباين بين الخلق في القدرة والقوة والفهم ، ويقتضيه تحقيق العدل السياسي والوظيفي بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، المؤدي لتحقيق الغاية الشرعية . ووسيلة ذلك كله هو نظام التفاضل الشرعي في الإسلام ، على اعتبار أن التفضيل مكافأة وحافز إلهي ، مالم ينه عنه الشرع كالمساواة في العطاء .

الدليل الشرعي للتفاضل

وسيلة التفاضل مكرسة بالشريعة الإسلامية وبروحها العامة ، قال تعالى: « فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ » . « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » والتفضيل وارد حتى على مستوى الأسر والأقوام ، فها هو سبحانه وتعالى يخاطب بني اسرائيل: « أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » « وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ » « انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا » « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا » . الخ . والتفضيل ضرورة لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة عملاً بقوله ﷺ: « من ولي على عصابة رجلاً وهو يجد من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله » .

طبقات الصحابة

إن الصحابة شرعاً وعقلاً وواقعاً ليسوا بدرجة واحدة ، فمنهم الصادقون وهم طبقات في صدقهم ، ومنهم الأقوياء وهم طبقات في قوتهم ، ومنهم الضعفاء وهم أيضاً طبقات في درجات ضعفهم ، ومنهم المنافقون وهم أيضاً طبقات في نفاقهم . أنظر إلى قوله ﷺ لمن أشار عليه بقتل عبدالله بن أبي رأس النفاق في المدينة (لعمرى لنحسن صحبتة مادام بين أظهرنا) ^(١) فزعيم المنافقين حسب هذا النص صحابي ، وهو صحابي بالموازين المتفق عليها عند أهل السنة ، ولو جارينا أهل السنة بحرفية فهمهم لتجمدت الحياة ولتجمد الفكر تماماً . وبالرغم من أهل السنة قد أجمعوا أو أشاعوا الإجماع على أن الصحابة كلهم عدول، إلا أن هذا لم يمنعهم من أن يعترفوا ضمناً بأن هذا التعميم غير واقعي وغير منطقي ويتعارض مع المقصود الشرعي . ولعل تقسيمهم الصحابة الكرام إلى طبقات أكبر شاهد على هذا الإعراف ، حيث إن انتماء الصحابة لطبقة من الطبقات يحدد شرعاً دورة في الأمور السياسية والحقوق ^(٢) وهذه ليست مسألة اجتهادية لأن الشرع الحنيف بقرآنه وسنته قد وضع معالم تلك الطبقات ، ومن هنا فإن ابن سعد تصدى لهذه الناحية ، فجمع الصحابة في خمس طبقات ^(٣) وكذلك فإن الحاكم في مستدرکه قسم الصحابة إلى اثنتي عشرة طبقة .

(١) راجع الطبقات لابن سعد: ٦٥/٦ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٠٣ .

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذري وانظر طريقة عمر بن الخطاب بتسلسل العطايا ومقدارها .

(٣) ويمكن لمن أراد التوسع أن يراجع طبقات ابن سعد .

طبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدرکه^(١)

الطبقة الأولى: الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين . الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة . الثالثة: مهاجروا الحبشة . الرابعة: أصحاب العقبة الأولى . الخامسة: أصحاب العقبة الثانية . السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا بعد هجرة الرسول للمدينة . السابعة: أهل بدر . الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية . التاسعة: أهل بيعة الرضوان . العاشرة: من هاجر بين الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص . الحادية عشرة: الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة كأبي سفيان ومعاوية . الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوه يوم الفتح . فأول الناس إسلاماً خديجة ثم علي عليه السلام «تنبأ رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثم زيد بن حارثة ثم أبوبكر»^(٢) وتقسيم الصحابة إلى طبقات ، دخول واقعي في باب التفاضل ، فمن غير المنطقي أن يكون أول من أسلم بنفس الدرجة من العدالة التي يتمتع بها طليق أسلم يوم الفتح . وقد تنبه إلى هذه الناحية الفاروق عند توزيع العطايا ، فأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة ، ولم يساو بين أول من أسلم وآخر من أسلم ، ولا ساوى بين من قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى حوصر بجزيرة الشرك مع الرجل الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه .

وفي اجتماع السقيفة كانت حجة المهاجرين على الأنصار أنهم أول من عبد الله في الأرض (السابقة في الإيمان) وأنهم أولياء الرسول وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده ، ولا ينازعهم إلا ظالم ، ولأن العرب تأبى أن تؤمر الأنصار ونبيها

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي/٢٢٧-٢٢٨ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٠٨ .

(٢) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي/٢٢٧ .

من غيرهم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم .
وانظر إلى قول عمر (من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أهله وعشيرته)
هذا بالحرف ملخص ما قاله أبوبكر وعمر في السقيفة^(١) ألا ترى أن هذا تطبيق
نظري دقيق لعملية التفاضل الشرعية وبالتالي نسف لكامل المقولة إن الصحابة
كلهم بلا استثناء عدول ؟ فأذعن الأنصار لتلك الحجج القوية وقالوا: طالما أن
الأمر هكذا فإننا لا نبايع إلا علياً^(٢) وعند ما واجه الإمام علي القوم بحجته بعد البيعة
قال بشير بن سعد الذي شق إجماع الأنصار وبايع أبابكر مخاطباً علياً: لو كان هذا
الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ، وما
كان بالإمكان الوصول إلى هذه القناعات لولا إعمال نظام التفاضل كوسيلة
لتقديم الأعلّم والأفضل والأنسب لكل أمر تحتاجه الأمة . ونظام التفاضل
يتعارض بطبيعته مع مقولة (كل الصحابة عدول) لأنه لو صحت هذه المقولة لما
كانت هنالك دواعٍ لوجود هذا النظام ولا لسلوك منهج التفاضل باعتبار أن الجميع
متساوون بالعدالة .

نظام التفاضل في الإسلام

تجنباً للخلاف والاختلاف ، واستبعاداً لدور المزاج والهوى ، وتقزيماً لأي
واقع متجبر سيفرض على الأمة ، فقد حدد الإسلام بنصوص قاطعة لاتحتمل
الإنكار والتأويل الأركان الأساسية لنظام التفاضل في الإسلام وحصرها في
خمسة أركان ، لتكون مسارب للفضل والعدالة وطرقاً لمنازل الخير ، وهي التي
تحدد موقع الإنسان المسلم وتبين دوره وتحدد حجم اعتباره . وهي مجتمعة

(١) راجع الطبري: ١٩٨/٧ والإمامة والسياسة وراجع: ٣٢٦/٢ من شرح النهج ، وكتابنا النظام السياسي ١٢٦/ و ١٣٣ .

(٢) راجع الطبري: ١٩٨/٧ والإمامة والسياسة وراجع: ٣٢٦/٢ من شرح النهج ، وكتابنا النظام السياسي ١٢٦/ و ١٣٣ .

تقدم الجواب الشرعي الأمثل لكل سؤال يتعلق بالمنازل والكرامات ، وهي بالتالي الطريق الأوحده لمعرفة الأعلم والأفضل والأنسب في كل أمر من الأمور . فإذا كان الصحابة كلهم بلا استثناء عدولاً لافرق بين واحد وآخر، فما الداعي لايجاد نظام التفاضل في الإسلام ؟ وما الداعي لتشريع الحدود ووضع الأحكام ؟

أركان التفاضل أو مسارب العدالة

باستقراء أحكام العقيدة الإلهية الإسلامية ، يتبين لنا أن التفاضل يقوم على خمسة أركان ، هي بمثابة موازين أو معايير شرعية تحدد حجم الإعتبار لكل مسلم وتبين منزلته . الركن الأول والأهم: القرابة الطاهرة ، فهم قيادة الأمة السياسية والروحية بعد نبيها الكريم بالنص الشرعي القاطع . أما لماذا هم بالذات ، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، والسؤال عنه مثل السؤال: لماذا أنزل الله الوحي على محمد واختاره للرسالة ؟ لماذا محمد بالذات ؟ لماذا موسى بالذات ؟ هذا أمر يريد الله تعالى . هذه القرابة هي مركز الدائرة بالنص وهي سفينة النجاة بالنص ، وهم باب حطة بالنص ، وهم نجوم الهدى بالنص ، وهم الأسبق بالإيمان بالنص ، وهم الأتقى بالنص ، وهم الأعلم بالنص ، وهم الأكثر بلاء بالنص ، ومحبتهم مفروضة على الجميع بالنص ، وفيهم الإمامة الشرعية في كل زمان بالنص ... فالنبي أولاً والكتاب ثانياً ، والهادي أولاً والهداية ثانياً ... ومتى بعث الله رسالة بدون رسول ؟ ومتى أنزل كتاباً إلا على عبد ؟! الركن الثاني: السابقة في الإيمان . الركن الثالث: التقوى . الركن الرابع: العلم . الركن الخامس: تقييم الرسول القائد أو الإمام الشرعي (المعين شرعاً) ليقوم مقامه والذي بايعته الأمة المسلمة بمحض اختيارها بدون إكراه ولا إغراء ولا لف ولا دوران (بدون غلبة) .

الحكم على هذه الموازين

تلك موازين شرعية موضوعية مستمدة من الشريعة ومن الشريعة وحدها ، وهي تبين معالم العدالة لدى كل فرد . وماسواها مع عميق الإحترام ليس إلا مواءمة بين واقع مفروض ومثال إلهي آخذ بالأعناق ، وهذه الموازين معترف بها وكانت حجة لا تعلوها حجة في نظام الخلافة التاريخي . فعلى سبيل المثال إرجع إلى حجة أبي بكر على الأنصار في سقيفة بني ساعدة^(١) وارجع إلى حجة عمر في السقيفة^(٢) وحجة أبي عبيدة^(٣) فقد قالوا إنهم الأولى بمحمد: ١ - لأن العرب تآبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم . ٢ - إن أهل محمد وعشيرته أولى بميراثه وسلطانه (وهذا معيار القرابة بعينه) وقالوا: إنهم أول من عبد الله في الأرض، وهذا معيار السابقة في الإيمان... إلخ. ثم طريقة عمر بتوزيع الأعطيات حيث أخذ بأكثر هذه المعايير.^(٤)

تساؤلات

إذا كان الصحابة كلهم عدولاً وكلهم في الجنة ، وأن الله قد ساوى بينهم ، فما الذي منع الأنصار من أن يتولوا الخلافة ؟ ولماذا اقتنعت أكثريتهم وأعطوا القيادة للمهاجرين الثلاثة عن قناعة ؟ ولماذا لم يساو الخليفة العادل عمر بينهم بالعطايا ؟ ولماذا أقيمت الحدود على بعضهم ؟ وهل يسرق العادل التزيه

(١) راجع الإمامة والسياسة/٥-٧ .

(٢) راجع الإمامة والسياسة/٧-٨ .

(٣) راجع الإمامة والسياسة/٨ .

(٤) راجع سنن البيهقي: ٣٤٦/٦ .

المضمون دخوله في الجنة ؟ أنتم لستم أفقه من الشيخين في الدين ، وكفى بفقهما عندكم حجة ، فليجب كل واحد منكم على هذه التساؤلات أو ليحاول ! فمتى كان التقليد الأعمى طريقاً للهدى ؟ لقد أنبأنا الله أنه طريق إلى النار ، وقد أنعم علينا بالعقل لنستثمره في معرفة مقاصد الشريعة .^(١)



(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٠١ وما فوق فقد فصلنا هذه الموازين بالقدر الذي يهم.

١- نقض النظرية

من حيث الكل ، حجة أهل السنة منقوضة شكلاً من وجهين:
الوجه الأول: حول الشهادة والشهود: إن إقحامهم القرآن وحفظه لإثبات عدالة كل الصحابة لا مبرر له ، لأن كل الفضل في حفظه والمنة والشكر ، لله تعالى ، والفخر لمحمد وآل محمد ﷺ ، وللصادقين من الصحابة الذين التفوا حولهم . فلو أن الآل الكرام سلموا محمداً لزعامه قريش أو خلوا بينها وبينه ، لقتلوه كما قتل كثير من الأنبياء من قبل ، ولما تحمل الآل الكرام كل سني الحصار والعذاب والألم .

إن القرآن الكريم هو الذكر ، وما جاء به النبي بيانٌ لهذا الذكر وترجمة له ، وهو من مستلزماته ، وقد تكفل الله جلّت قدرته بحفظه على مر الأزمان: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ، فحفظ الذكر مضمون بضمانة إلهية ، ولا علاقة للصحابة الكرام بهذا الحفظ . فالدين محفوظ وثابت لأن الله هو المتكفل بإثباته ، ولأن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى ربه إلا بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة .

فالشاهد على المسلمين هو محمد ﷺ ، والمسلمون في كل زمان هم شهداء على الناس . ثم إن كتاب الله منزل من عند الله ، وليس بإمكان أحد كائناً من كان أن يزيد فيه حرفاً أو ينقص منه حرفاً أو أن يبدل فيه حرفاً ، لأنه ترتيب إلهي ،

فقد كانت الكوكبة من آيات القرآن الكريم تنزل على رسول الله مع التوجيه الإلهي بأي سورة توضع . وعند ما انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه كان القرآن كله مرتباً بالصورة التي بين أيدينا ومكتوباً كاملاً وليس في صدور الرجال فحسب كما يزعم بعض إخواننا .

فالقول بأن الصحابة كلهم عدول لا يزيد الثابت ثباتاً ولا المحفوظ حفظاً ، والقول بأن المخلصين من الصحابة فقط هم العدول لا يهز هذا الثابت المحفوظ ! وبالمناسبة فإنني أتساءل: أين كان كل الصحابة والهاشميون محصورون في شعاب أبي طالب يأكلون ورق الشجر من الجوع ، ويمص أطفالهم الرمال من العطش؟ هل من العدالة الوضعية أو السماوية أن يتساوى المحاصر مع المحاصر؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟!

الوجه الثاني: أن القول بأن هؤلاء الذين يُنقصون أحداً من الصحابة (زنادقة) لا يستقيم ، لعدة وجوه ، لأن الإسلام بوصفه آخر الأديان السماوية ، وبوصفه الصيغة النهائية لدين الله ، معدّ ومصاغٌ ليفهم منه كل إنسان على قدر فهمه ، والفهم الأمثل هو ما يتطابق مع المقصود الشرعي أو الغاية الشرعية من النص ، بحيث يكون الفهم هو عين ما أراد الله . وتلك مهمة عسيرة ، بل واختصاص فني تماماً ، وإلا فما الداعي لإرسال الرسل مع الكتب وابتعاث الهادي مع الهداية؟ وما هي الغاية من وجود الأئمة ورثاسات الأنبياء لدول الإيمان؟ ومن هنا فإن الإسلام شئ وفهمنا له شئ آخر يختلف حسب ثقافتنا ، فاختلاف الرأي وتباين الأفهام ليس زنادقة ، وهناك من الصحابة من عاب النبي نفسه وطعن في عدالته . أنظر إلى قول حرقوص: «إعدل يا محمد والله ما أردت بهذه القسمة وجه الله» ! فلم يقل له

النبي: أنت زنديق أو منافق ، قال له:«ويحك من يعدل إن لم أعدل» ! فهل للصحابي مكانة أعظم من مكانة النبوة ؟

ومن العجيب أنهم يقولون إن سيد البشر محمد ﷺ قال: أنا بشر أصيب وأخطئ ، فكيف يعممون العدالة لجميع الصحابة ويعتبرون من ناقشهم زنديقاً؟! ومع ذلك يجمع أهل السنة أو يتظاهرون بالإجماع على القول وبالحرف: إن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به النبي حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فهم الشهود وهؤلاء الذين ينقصون أحداً من الصحابة - أي واحد - يريدون أن يخرجوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة وهؤلاء زنادقة^(١) فمن عابهم أو انتقص منهم فلا تؤاكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه^(٢).

٢- قراءة أولية

أولاً: الخلط: القول بأن النبي حق والقرآن حق وما جاء به النبي حق ، هذا قول لا غبار عليه ولا اختلاف فيه ، وهو قدر مشترك بين كل المسلمين من سنة وشيعة بمختلف فرقهم ، وهم يتساوون بالإنتماء لهذا الدين ولحمل هويته الخالدة . والدين يتكون من مقطعين:

١ - نبي الله بذاته وقوله وفعله وتقريره.

٢ - كتاب الله المنزل من عند الله تعالى .

هذا إجماع كل المسلمين ، والخلاف منحصر بفهم المقصود الشرعي لهذا الدين ، فلا ينبغي الخلط بين الدين وبين مفاهيمنا له ، فالدين هو المركز الثابت

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني/١٧-١٩ .

(٢) كتاب الكباير للحافظ الذهبي/٢٣٨ .

ومفاهيمنا هي المتحركات والمتغيرات من حوله . فالدين شئ ومفاهيمنا له شئ آخر ، هذه المفاهيم عملياً تختلف من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة حسب درجة العلم وقدرة الفهم والطاقة والتجرد من الهوى .

ولو كان مجدياً فرض فهم واحد للنص لفرضه الله تعالى ، ولما كان هنالك داع للإجماع ، ولما كان هنالك داع للفهم أصلاً . فعند ما نفهم نصاً معيناً بفهم ما ويفهم الآخر النص نفسه بفهم آخر ثم يدعي كل منهما أن فهمه هو المقصود الشرعي ، فمعنى ذلك أنه لا بد للإثنين من دراسة النص دراسة ثانية وثالثة... حتى يصلوا إلى مفهوم واحد للنص ، لأن النص الشرعي الواحد له مقصد شرعي واحد وهو عين المقصود الإلهي ، فلو قلنا بغير ذلك لأضفينا طابع الشرعية على الفرقة والإختلاف ، ولذهبت كل جماعة باتجاه مع أن مصلحة الأمة تتحقق بوحدتها لا بفرقتها ، ثم إنه لا مصلحة لك ولا مصلحة لي - إذا كانت النفوس خالصة لله - أن يصح هذا الفهم أو ذاك ، إنما مصلحتنا تتحقق بفهم المقصود الإلهي الأمثل والعمل به . فمن غير الجائز أن نخلط أفهامنا بالدين ، وبنوايا مختلفة حسنت أم ساءت ونقول: إن هذه الأفهام هي الدين ، ثم نضع عقوبة لمن يخالفنا بها فنتجاوز دائرة الإلتباع إلى دائرة الإبتداع والتشريع الخاصة بالله تعالى . فحكم الزندقة وقرار عدم المؤاكلة والمشاركة وعدم الصلاة على من يخالفك الرأي قرار يرفضه الدين وعقوبة بغير نص وتصرف ممن لا يملك في ملك الغير ، فهو باطل من أساسه ولا يعادل شروى نقيير .

ثانياً: كلمات للتلقين: الإسلام كلمة محددة ولفظ يدل على معنى بعينه ، وهو يعني: نبي الله محمداً بذاته وقوله وفعله وتقريره ، ويعني القرآن الكريم على

الصعيدين النظري والعملي وهو مجموعة البنى الحقوقية المتكاملة التي أوحاها الله لنبه وبينها النبي للناس، إنه العقيدة الإلهية التي أرادها الله أن تكون دينه ودين المطيعين من خلقه. وهو معنى قائم بذاته ومستقل عن غيره .

٢ - الصحابة الكرام اتبعوا هذا الدين ووالوا نبيه على صعيدي الدعوة والدولة فهم أتباع للدين ، وليسوا ديناً ، أو جزءاً من الدين .

٣ - المسلمون كلهم هم الذين اتبعوا الإسلام وآمنوا به ، لكنهم ليسوا هم الإسلام إنهم أتباع ، وشتان ما بين العقيدة والمعتقد بها ، وما بين القانون والشعب وما بين القضاة والمتقاضين .

ثالثاً: الحماية والتستر: قلنا: إن مصلحة الإسلام والمسلمين تتحقق بفهم المقصود الشرعي بالذات وهو عين المقصود الذي قصده الله تبارك وتعالى . والوقوف على هذا المقصود يحتاج إلى اختصاص وملكات خاصة ، والوقوف عليه مطلب الجميع وغايتهم ولكن أناساً أنزلوا أنفسهم منازل ليست لهم واجتهدوا ، وهذا حق لهم ، ثم حاولوا رغبة أو رهبة أن يفرضوا هذا الاجتهاد على أبناء الملة ، وأغلقوا طريق البحث عن الحقيقة الشرعية ، وأوصدوا مسالك التحري عن المقصود الشرعي ، وأعلنوا بأن رأيهم هو الدين ومن يعارضهم زنديق...الخ. وهذا ليس من حقهم لأنهم شئ والدين شئ آخر ، ومخالفتهم بالرأي أو بالاجتهاد أو بالفهم ليس مخالفة للدين لأن القول بغير ذلك ترجيح بغير مرجح ، ووصاية من غير إذن شرعي بالوصاية مما يحول العملية كلها إلى تستر بالدين ، واحتماء به لنصرة رأي على رأي أو مذهب على مذهب . فاختلفك معي بفهم نص من النصوص الشرعية لا يجعل منك زنديقاً ولا يجعل مني مرجعاً

وقديساً ، فذلك ترجيح بغير مرجح ، وتقبيح بغير سند ، وخدمة لأولئك الذين غلبوا هذه الأمة وفرقوها إلى شيع وأحزاب بأحبايلهم السياسية الملتوية وبمساعدة السذج من علماء السوء الذين يقفون في كل زمان ضد تفاهم الأمة ووحدتها ، فيقولون: هذا زنديق ، وهذا رافضي ، وهذا شيوعي ، وهذا سني ، وهذا جعفري ، وهذا مالكي ، وذلك كفر ، وتلك زندقة... الخ.

وتلك ألفاظ يعافها الذوق السليم ، وتنفر منها الفطرة النقية ، وقد ترفع عن مثل هذه الأمور حتى الكفرة من أهل الكتاب ، وبالتالي تعبر عن ضيق الصدر ، وتتعارض مع مبادئ الأخوة الإسلامية وروح الإسلام العامة .

الله وحده يعلم كم هو موجب للتعصب ومشير للقرء !

يقول الذهبي في رسالته التي ألفها في الرواة الثقات: « قال أبو عمر بن عبد البر: روينا عن محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معين - يحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذي جعلوا قوله في الرجال حجة قاطعة - سألته عن الشافعي فقال: ليس ثقة . وجعفر بن محمد الصادق وثقه أبو حاتم والنسائي ، إلا أن البخاري لم يحتج به»^(١) . فأنت تلاحظ أن يحيى بن معين وهو العملاق الشهير يزعم أن الشافعي ليس ثقة وتلاحظ أن البخاري لم يحتج بالإمام جعفر الصادق واحتج بمن هو أقل منه ! وجعفر ^{الثقة} هو صاحب مذهب أهل البيت الكرام ، وهو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة ، وهو العالم الألمعي الذي لا يشق له غبار ، والذي تخرج على يديه أربعة آلاف فقيه ومحدث ، وفوق ذلك كله هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الكرام ، فهو جعفر بن محمد بن زين العابدين بن

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن للسيد مرتضى الرضوي/٩٧-٩٨ .

الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومع هذا لم يحتج به البخاري ولم يوثقه !
وأعرض عن روايات أهل البيت مع أنهم صحابة عند أهل السنة ، والصحابة
كلهم عدول .

نقض نظرية كل الصحابة عدول من حيث الموضوع

يؤمن أهل السنة بالنظرية القائلة بأن كل الصحابة بلا إستثناء عدول ، تلك
النظرية التي ابتدعها رجال السياسة الغالبون لغاية في نفس يعقوب ، وألقوا في
روع الغافلين الذين يحبون هذا الدين ، بأن هذه النظرية جزء لا يتجزأ من دين
الإسلام وفصل ثابت من فصول العقيدة الإلهية ، من شك فيها أو خرج عليها أو
ناقشها فهو زنديق لا ينبغي أن يؤاكل أو يشارب أو يصلى عليه إذا مات !
في الحقيقة أن الصحبة شرف عظيم ومرتبة عالية ، لكنها بالمعنى اللغوي
وبالمعنى الإصطلاحي المتفق عليه عند أهل الملة تشمل كل المسلمين الذين
عاصروا رسول الله ، بمعنى أن كل شعب دولة النبي كانوا صحابة ، لأن العبرة
والمعول عليه هو:

١ - الإلتقاء بالنبي .

٢ - الإيمان الصادق به كحال الصحابة الصادقين ، أو التظاهر بهذا الإيمان ،
كحال المنافقين وحال الذين حاربوا الإسلام بكل وسائل الحرب ثم أحيطوا
واضطروا للإسلام ، لأن كل الأبواب أوصدت في وجوههم إلا باب الإسلام
فولجوه ، والله وحده أعلم بنواياهم .

٣ - الموت وهو على هذه الحال .

إن هؤلاء المؤمنين الصادقين ، والمنافقين المتظاهرين ، ومن لم يدخل
الإيمان في قلوبهم ، لم يكونوا بدرجة واحدة حتى يقال بأنهم جميعاً عدول ، بل

منهم الفئة المنافقة من المسلمين الذين عاصروا النبي ومات النبي وهم على قيد الحياة . وقد كشف القرآن الكريم بأن منهم مردوا على النفاق ، وخانوا وغدروا ووعدوا فأخلفوا ، وحدثوا فكذبوا ، وابتغوا الفتنة وآذوا النبي ، وقلبوا الأمور . وكانت راية الإسلام ترتفع كل يوم حتى بسطت دولة النبي سلطانها المبارك على الجزيرة ، وأضفت هيبتها على الجميع وأكمل الله الدين وأتم النعمة ، وانتقل النبي إلى جوار ربه ، وتلك الفئة المنافقة على حالها ، والمسلمون متفاوتون بإيمانهم وتضحياتهم ومنازلهم .

العجب العجيب

وبدون مقدمات أو بمقدمات سياسية أصبح كل رعايا دولة النبي عدولاً بحجة أنهم كلهم صحابة شاهدتهم النبي أو شاهدوه ، وآمنوا به أو تظاهروا بالإيمان ، وأنهم ماتوا على هذا الإيمان ، مع أن النظرية قد ابتدعت في العصر الأموي (عصر خلافة الطلقاء) وقبل أن يموت جيل الصحابة بالمفهوم الآنف الذكر ، أي أنهم قد حكموا بالعدالة قبل أن يتأكدوا من حسن الخاتمة .

وجوه النقض

- ١ - أنها تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة .
- ٢ - وتتعارض مع السنة النبوية بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير .
- ٣ - أن نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال .

تفصيل وإثبات وجوه النقض

- ١ - نظرية عدالة كل الصحابة ، تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة:

أ- مع ظاهرة النفاق

فقد شاعت ظاهرة النفاق في زمن النبي ﷺ ، وبرز المنافقون كقوة حقيقية يحسب حسابها ، والمنافقون هم فئة آمنت بالظاهر ، فهم بأفواههم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويرددون نفس الألفاظ والمصطلحات التي يرددها المسلمون خداعاً واستهزاء: « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » . وهم يجاهرون بذلك ويحرصون على أن يسمعه النبي والذين آمنوا: « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ » . ولا تقتصر ظاهرة النفاق على القول بل تتعداها إلى العمل ، فقد كانوا يُصلُّون وينفقون ويقدمون الأعذار إذا تخلفوا عن الخروج مع النبي ، ويكررون مزاعمهم بالإيمان . وسلوك الإنسان يعكس عاجلاً أم آجلاً حقيقة اعتقاده ، لكن النوايا لله ، والنبي يعني بالظاهر والسلوك ويكل البواطن الى الله ، وهو بطبيعته رؤوف رحيم خلوق ، ونموذج فرد للإنسان الكامل ، ولكنهم تجاوزوا الحدود فبدأت الآيات القرآنية تنزل وتكشف حقائقهم ، من ذلك:

« وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ... وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ »
« وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ » .

« وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ... لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ »
« يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ » . « وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ » .

ب- مع الحكم الإلهي القاطع

بعد أن كشف حقيقتهم وعرى بواطنهم ، أصدر حكمه العادل الذي يتلاءم وجريمتهم بالكذب على الناس وعلى الله ، وكلف نبيه أن يبلغهم مضمون هذا القرار الإلهي وحيثياته وأسباب صدوره « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » لماذا ؟ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا ، ومزاعمهم بالإيمان غير صحيحة وبالتالي فقد كفروا بالله ورسوله بالرغم من كل مزاعمهم ، وأذاع النبي القرار الإلهي ووضع كل الحقائق أمام الجميع . ومع هذا لطبيعته الفذة كان يستغفر لهم ويسأل الله لهم الهداية فجاءه الرد الإلهي واضحاً « إستغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

أمثله على تعارض نظرية عدالة كل الصحابة مع القرآن

المثال الأول: قال تعالى: « وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّكَ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ! » إنها قصة ثعلبة ، ذلك الصحابي المعدم الذي سأل الرسول أن يدعو الله له حتى يرزقه المال ، فقال له الرسول: «ويحك يا ثعلبة قليل تشكره خير من كثير لاتطيقه ! فقال ثعلبة: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فيرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه . فقال الرسول: اللهم ارزق ثعلبة مالاً ، فرزقه الله ونمّاه له ، وعندما طلب منه الرسول زكاة أمواله بخل ثعلبه معللاً بخله بأن هذه الزكاة جزية وامتنع

عن دفعها ! ومات النبي وثلعة على قيد الحياة ، فأرسل زكاة أمواله إلى أبي بكر الصديق فرفضها وأرسلها إلى عمر فرفضها وهلك ثلعة في زمن عثمان^(١)

المثال الثاني: قال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» المؤمن هو علي بن أبي طالب ، والفاسق هو الوليد بن عقبة وقد تولى الكوفة لعثمان ، وتولى المدينة لمعاوية ولابنه يزيد.^(٢)

المثال الثالث: قال تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي سرح وهو والي عثمان على مصر ، فهو الذي افتري على الله الكذب ، وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة كما يروي صاحب السيرة الحلبية الشافعي في فتح مكة ،

(١) راجع على سبيل المثال تفسير فتح القدير للشوكاني: ١٨٥/٢ وتفسير ابن كثير : ٣٧٣/٢ . وتفسير الخازن البغدادي : ١٢٥/٢ . وتفسير البغوي: ١٢٥/٢ بهامش تفسير الخازن . وتفسير الطبري: ١٣١/٦ .

(٢) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٦١٠ و ٦٢٤ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ٣٢٤/٣ و ٣٧٠ و ٣٧١ وتفسير الطبري: ٢١/ ١٠٧ والكشاف للزمخشري: ٥١٤/٣ وفتح القدير للشوكاني: ٢٥٥/٤ وتفسير ابن كثير: ٤٦٢/٣ وأسباب النزول للواحدي/ ٢٠٠ وأسباب النزول للسيوطي مطبوع بهامش تفسير الجلالين/ ٥٥٠ وأحكام القرآن لابن عربي: ١٤٨٩/٣ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٨٠/٤ و: ٢٩٢/٦ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي/ ١٤٠ والدرر المنتور للسيوطي: ١٧٨/٥ وذخائر العقبى للطبري الشافعي/ ٨٨ والمناقب للخوازمي الحنفي/ ١٩٧ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي/ ٩٢ ، وتذكرة الخواص للسبط الجوزي الحنفي/ ٢٠٧ ومطالب السؤل لابن طلحة الشافعي ويتابع المودة للقندوزي الحنفي/ ٢٥٠ وزاد المسير لابن الجوزي الحنفي: ٣٤٠/٦ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ١٤٨/٢ ح ١٥٠ ، وتفسير الخازن: ٤٧٠/٣ و: ١٨٧/٥ ومعالم التنزيل للبغوي الشافعي بهامش الخازن: ١٨٧/٥ . وراجع السيرة الحلبية للحلي الشافعي: ٨٥/٢ والكشاف لابن حجر العسقلاني مطبوع بذييل الكشاف: ٥١٤/٣ والإنصاف فيما تضمنه الكشاف ، بذييل الكشاف: ٢٤٤/٣ وإحقاق الحق: ٢٧٣/٣ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢٦٨/١ والمراجعات/ ٦٤ .

وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب الأمان له ، وسكت الرسول على أمل أن يُقتل خلال سكوته كما أوضح رسول الله ، ولما لم يقتل أعطاه الأمان!^(١)

١ - حكم الله في الثلاث

في المثال الأول: حكم الله بنفاق قلب ثعلبة وأنه من الكاذبين . وفي المثال الثاني: بين الله أن الوليد بن عقبة فاسق وأنه من أهل النار وأنه لا محيد له عنها ولا مخرج له منها . وفي المثال الثالث: بين الله أن عبدالله بن أبي سرح افتري على الله الكذب وحاول أن يحرف كتاب الله ، وهو من أكثر الخلق ظلماً ، وبين أن من المحال أن يهتدي لأن الله لا يهدي القوم الظالمين !

٢ - حكم أهل السنة في الثلاث

هؤلاء الثلاثة من الصحابة توفرت فيهم شروط الصحبة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي ، وبما أنهم صحابة فهم عدول لا يجوز عليهم الكذب ومحكوم بنزاهتهم ، وهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، كيف لا وعبد الله بن أبي سرح وهو والي مصر لعثمان وأحد وزرائه ، وكذلك الوليد بن عقبة فهو والي الكوفة وهو الذي صلى الصبح أربعاً ولو طلبوا الزيادة لزادهم ! وهو وزير عثمان ووالي معاوية على المدينة ! ومن ينتقص من هؤلاء الثلاثة فهو زنديق ، ولا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه إذا مات !

أيهما الأولى بالتصديق: كتاب الله وحكمه ، أم التقليد الأعمى؟!

(١) راجع السيرة الحلبية باب فتح مكة .

٢ - نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع السنة النبوية

المثال الأول: ذو الثدية فقد كان من الصحابة المتسكين، وكان يعجب الناس تعبده وإجتهاده، وكان رسول الله يقول «إنه لرجل في وجهه لسعة من الشيطان». وأرسل أبابكر، ليقتله فلما رآه يصلي رجع، وأرسل عمر فلم يقتله، ثم أرسل علياً عليه السلام فلم يدركه^(١) وهو الذي ترأس الخوارج وقتله علي عليه السلام يوم النهروان.^(٢)

المثال الثاني: كانت مجموعة من الصحابة يجتمعون في بيت أحدهم يشبطون الناس عن رسول الله فأمر من أحرق عليهم هذا البيت^(٣)

المثال الثالث: قزمان بن الحرث قاتل مع رسول الله في أحد قتال الأبطال، فقال أصحاب النبي: ما أجزاء عنا أحد كما أجزاء عنا فلان، فقال النبي «أما إنه من أهل النار!» ولما أصابته الجراح وسقط قيل له هنيئاً لك بالجنة يا أبا الفيداق. قال جنة من حرمل؟ والله ما قاتلنا إلا على الأحساب!^(٤)

المثال الرابع: الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس عم عثمان بن عفان ووالد مروان بن الحكم، لعنه رسول الله^(٥) ولعن ما في صلبه وقال: «ويل لأمتي مما في صلب هذا» ومن حديث عائشة أنها قالت لمروان: «أشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه» فنفاه النبي إلى مرج قرب الطائف وحرّم عليه أن يدخل المدينة، ولما مات رسول الله راجع عثمان أبابكر ليدخله فرفض، ولما مات أبو

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٣٩/١.

(٢) راجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي.

(٣) راجع سيرة ابن هشام: ٢٣٥/٣.

(٤) راجع الإصابة: ٢٣٥/٣ وراجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى ١٢٧/ وما فوق.

(٥) راجع النسائي: ٦٤٥٩.

بكر راجع عمر ليدخله المدينة فأبى ، ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معززاً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم ، واتخذ مروان ابنه صهراً وبطانة له فتسبب فيما بعد بقتل الخليفة وخراب الخلافة الراشدة وكان مروان يلقب بـ «خيطة باطل» ثم صار خليفة المسلمين . يقول الشاعر:

«لحى الله قوماً أمّروا خيطة باطل على الناس يعطي من يشاء ويمنع»^(١)

المثال الخامس: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وكانوا اثني عشر رجلاً من الصحابة المنافقين»^(٢)

المثال السادس: لعن الرسول لبعض الصحابة . قال الحلبي في رواية: «صايقول» اللهم العن فلاناً وفلاناً»^(٣) وأخرج البخاري قال: حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً ، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده . وقال السيوطي وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال رسول الله يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن الحرث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية» قال السيوطي وأخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: «كان النبي يدعو على أربعة نفر وكان يقول في صلاة الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً»^(٤) وأخرج نصر بن مزاحم المنقري عن عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت عن

(١) راجع تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٧٩/٥٧ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام: ٩٥٦/٤ .

(٣) السيرة الحلبيّة: ٢٣٤/٢ .

(٤) الدر المنثور: ٧١/٦ .

البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية ، فقال رسول الله « اللهم العن التابع والمتبوع ، اللهم عليك بالأقيعص . فقال ابن براء لأبيه: مَنْ الأقيعص؟ قال: معاوية»^(١) وأخرج نصر عن علي بن الأقرم في حديثه قال: فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق ، فلما نظر إليهم قال: « اللهم العن القائد والسائق والراكب» قلنا أنت سمعت رسول الله؟ قال: نعم ، وإلا فصمت أذناي»^(٢).

وانظر إلى رسالة محمد بن أبي بكر الصديق الى معاوية فقد جاء فيها: « وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو ! أصدق الناس نية ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم . أخوه الشاري بنفسه يوم مؤتة . وعمه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه الذاب عن رسول الله ونحن حوزته . وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله الغوائل وتجهدان في إطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل ، وعلى ذلك مات أبوك وعليه خلفته»^(٣) ولم ينف معاوية لعنة ولا لعن أبيه ، مع أنه رد رداً بليغاً على الرسالة .^(٤)

المثال السابع: الرسول ﷺ بفضل الله عليه على علم بما سيحدث بعده ، لذلك خاطب جميع المؤمنين في حجة الوداع قائلاً: « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض» والخطاب موجه للصحابة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي .

(١) وقعة صفين ٢١٧/ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم/ ٢٢٠/ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي: ١٤/٣ وقد نقلت هذا المقتطف حرفياً .

(٤) راجع مروج الذهب للمسعودي: ١٥/٣ و ١٦ .

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة ، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم» . وروى مسلم هذا الحديث بلفظ: «ليردن عليّ ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا من دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ماذا أحدثوا بعدك» وروى البخاري عن النبي: «بينما أنا قائم ، فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلمّ ، قلت: أين ؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم . أي القلة القليلة» . وفي رواية أخرى قال النبي: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّؤون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي ، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري» .

وأخرج عن سهل بن سعد : قال النبي ﷺ: «ليوردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم» . قال أبو حازم: فسمعتي النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل فقلت: نعم ، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فأقول إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول: سحفاً سحفاً لمن غير بعدي» .

وأخرج من حديث ابن عباس: «وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» .
وأخرج أبو يعقوب في مسند عمر مثل ذلك . وأخرج البخاري في باب غزوة الحديبية عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب فقلت له: طوبى لك صحبت النبي وبايعته تحت الشجرة ، فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثناه بعده . وأخرج عن عبد الله عن النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض

وليرفض رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» قال البخاري: تابعه عاصم عن أبي وائل وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي . وأخرج عن أسماء بنت أبي بكر: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا ربّ مني ومن أمّتي ، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم» قال البخاري فكان ابن مليكة يقول: «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ونفتن عن ديننا» .

هذا بعض ما نقلناه خاصة من البخاري ومسلم ، ومثلها كثير أعرضنا عنه خشية التطويل .^(١)

تحليل هذه النماذج من النصوص

الأمثلة التي سقناها عن رسول الله ، تنقض نقضاً كاملاً القول بأن كل الصحابة عدول ! فمن يأمر الرسول بقتله ليس من العدول . ومن يحرق عليهم رسول الله البيت ليسوا من العدول . ومن يقول عن الجنة: جنة من حرمل ويقاتل على الأحساب ليس من العدول . ومن يلعنه الرسول ويلعن ما في صلبه ليس من العدول . والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ليسوا من العدول . والقول بعدالتهم يتعارض مع السنة المطهرة فهي تنفي هذه العدالة ، والمقلدون تقليداً أعمى بدون تفكير يثبتونها ! فأيهما أولى بالتصديق ، سنة المصطفى أم التقليد؟! وقد ثبت من الأحاديث التي سقناها أن قسماً من الصحابة سيبدلون من بعده

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي/١٠٠ وما فوق ، ومسند الإمام أحمد: ٥٠/٥ و: ٢٣٥/١ .

وسيرتدون على أعقابهم وسيؤمر بهم إلى النار . وممن أخرج هذه الأحاديث البخاري ومسلم ، وهما في نظر المقلدين يأتيان بعد القرآن في الصحة والإعتبار ، فكيف نوحده بين قولهم بأن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، وبين هذه النصوص النبوية القاطعة المتواترة والتي يؤيدها واقع الحال؟ وطالما أنه لا يمكن التوحيد بين المزاعم والنصوص فإن نظرية عدالة كل الصحابة منقوضة من أساسها ، لأنها تتعارض مع صريح السنة .

نعم لاخلاف بعدالة أفاضل الصحابة ، ولكن الخلاف يكمن في التعميم والقول إن كل الصحابة عدول ، لأن السنة المطهرة تنقضه !

٣ - نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال

المثال الأول: حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريق وشتمه أنصار رسول الله ، وقد استغل أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام لتوطيد سلطانه ، بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية ، ورتب عطاء اسمه: رزق البيعة يعطي للجند عند تعيين خليفة جديد^(١) وتأكد بأن لا يطلب غير الملك عند ما كتب وصيته من بعده ليزيد ابنه وأخذ له البيعة بالقوة^(٢) وأمره على صحابة رسول الله بالرغم من مجونه وقله دينه وسوء خلقه !

المثال الثاني: أوصى معاوية ابنه يزيد (إذا ثار أهل المدينة فأرسل إليهم مسلمة بن عقبة) وكان مع مسلمة قائمة بأسماء الطاهرين من الصحابة ليقتلهم

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي/٢٨٣ .

(٢) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٨٢ .

واحدًا واحدًا واحدًا. ويدخل عقبة عاصمة النبي ويفعل الأفاعيل التي تضج منها السماء ، ومروان دليل الجيش يؤشر وعقبة وجيشه المظفر ينفذ ويعدم بغير رحمة وتم تنفيذ أبشع مجزرة وكان من نتيجة هذه الوصية أن:

١ - أبيد من حضر من البدرين بالكامل .

٢ - أبيد من قريش ومن الأنصار سبعمائة رجل .

٣ - أبيد من الموالي والعرب عشرة آلاف . كان ذلك سنة ٦٣ هـ في وقعة الحرة . هنالك قال عبدالله بن عمر (نحن مع من غلب) وتحول قوله إلى قاعدة دستورية ، وكان معتزلاً عندما اشتد الصراع بين علي ومعاوية .^(١)

المثال الثالث: أرسل معاوية بُسر بن أرطاة في ثلاثة آلاف سنة ٤٠ هـ وقدم المدينة فصعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فأجابوه إلى بيعة معاوية ، ومضى بسر إلى مكة ثم سار إلى اليمن ولم يجد واليها عبيدالله بن العباس ووجد طفليه الصغيرين عبد الرحمن وقاسم فقتلهم بسر ، ذبحهما بخنجره على درج صنعاء ، وقتل معهما خالاً لهما من ثقيف ، وقتل بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً ، وكذلك بالجوف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان ، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء . ولم يبلغه عن أحد أنه يمالئ علياً أو يهواه إلا قتله^(٢)

وكانت جويرية أم ابني عبيدالله بن العباس الذين قتلها بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها وترثيها بعاطفه تذيب الصلخد الصلد .^(٣)

(١) راجع نتائج معركة الحرة في كتب التاريخ وتأكد من صحة هذه النتائج . كمثل الإمامة والسياسة لابن قتيبة .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ، ومروج الذهب للمسعودي: ٢٦/٣ .

(٣) راجع مروج الذهب: ٢٧/٢ .

المثال الرابع: ذكر أن امرأة الحسن بن علي عليه السلام جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم ، وكان معاوية دس إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك من يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه . فلما مات الحسن وفي لها معاوية بالمال وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه . وذكر أن الحسن عليه السلام قد قال عند موته « لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته والله ، لا وفي لها بما وعد ، ولا صدق فيما قال ».

وعن العباس بن عبد المطلب قال: كنت عند رسول الله إذ أقبل علي بن أبي طالب ، فلما رآه أسفر عن وجهه فقلت يا رسول الله إنك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال « يا عم رسول الله والله لله أشد حبا له مني ، إنه لم يكن نبيا إلا وذريته الباقية بعده من صلبه ، وإن ذريتي بعدي من صلب هذا»^(١)

وممن سمهم معاوية عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، وذلك عند ما شاور أهل الشام فيمن يعقد له من بعده فقالوا: رضينا بعبد الرحمن ، فشق ذلك على معاوية فسمه^(٢) وهذا ما فعله مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

المثال الخامس: الفرحة الكبرى . حدث محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي ، عن علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الفضل بن عباس بن ربيعة قال: وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال: فوالله إنني لفي المسجد إذ كبر معاوية في الخضراء فكبر أهل الخضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاخنة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي/٢:٤٧٧ .

(٢) راجع ترجمته في الإستيعاب وراجع/١٧٥ ، من كتاب شيخ المضيرة .

من خوخة لها فقالت: سرّك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذي بلغك فسررت به ؟ فقال معاوية: موت الحسن بن علي ، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم بكت وقالت: مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله ! فقال معاوية: نعمًا والله ما فعلت إنه كان كذلك أهلاً أن تبكي عليه . ثم بلغ الخبر ابن عباس فراح فدخل على معاوية قال: علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي؟ قال: أذلك كبرت؟ قال: نعم^(١)

المثال السادس: تقدم الجيش بقيادة الصحابي عمرو بن سعد بن أبي وقاص... ولما تكاثرت العساكر على الحسين عليه السلام أيقن أنه لا محيص له فقاتل حتى قتل . وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج وأخذ رأس الحسين وانطلق به إلى ابن زياد وهو يقول: أوقر ركابي فضة وذهباً أنا قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أمأ وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فسلبوه جبته وخذاءه كما يروي البلاذري في أنساب الأشراف ، ولم يكتفوا بذلك ، إنما أمر الصحابي عمرو بن سعد أن يوطئوا خيلهم جثة الحسين ، فانتدب لذلك إسحاق بن هبيرة الحضرمي في نفر منه فوطئوه بخيلهم!^(٢) وعاد عمرو بن سعد بن أبي وقاص مظفراً ، بعد أن أباد ذرية محمد ، وماتوا وهم عطاشى ، وبجانبهم الفرات حلالاً حتى للكلاب وحرام على ذرية محمد صلى الله عليه وآله !

المثال السابع والأخير: قال الحسن عليه السلام أثناء اجتماعه بمعاوية « يا أهل الكوفة لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي ، وسلبكم ثقلي ، وطعنكم في بطني ، وإني قد بايعت معاوية»^(٣) وكان عليه السلام بعد تولي الخلافة قد خرج

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٤٧٨/٢ - ٤٧٩ .

(٢) راجع مقتل الحسين في أنساب الأشراف للبلاذري .

(٣) راجع مروج الذهب: ٩/٣ .

في جيش قوامه اثني عشر ألفاً وعسكر في المدائن فقام بعض من معه بمباغتته وسلبوه رحله ، وتفرقوا عنه وخذلوه ، بل أن بعضهم أراد أن يوثقه ويسلمه لمعاوية موثقاً ، وبعضهم أراد قتله .

تحليل هذه الأمثلة

التقتيل والتدمير والتحريق ، وإبادة البدرين ، وقتل أحد عشر ألف مسلم بيوم واحد من أهل المدينة المنورة بلا ضرورة ، أمرٌ يناقض العدالة . وقتل الأطفال وقتل كل من يظن أنه يهوى ولي الله علياً أمرٌ لا يتفق ودعوى العدالة . وسمُّ الحسن ، وقتل الحسين ، والدوس على جثته الطاهرة بسنابك الخيل ، وإبادة آل محمد ومنعهم من أن يشربوا من ماء الفرات ، أمرٌ يناقض الزعم بالعدالة .

هذه الأمور وأمثالها مما لا يحصى تنقض بوقوعها مزاعم كل الذين يقولون إن الصحابة كلهم عدول ، وإنهم كلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار لأننا لو قلنا بذلك لكان فيه مكافأة للذين انتهكوا محارم الله .

إن سمَّ الحسن وقتل الحسين وإبادة أهل البيت ، وإبادة أفاضل الصحابة لا يمكن أن يكون إجتهداً إنما هو عدوان . ومن يفعل ذلك لا يمكن أن يكون من العدول بكل المعايير العقلية والدينية ووفق كل الشرائع الوضعية التي عرفها البشر يترفع أي قائد أمريكي أو فرنسي أو روسي أو وثني من أن يقوم بقتل طفلين صغيرين في غياب أبيهما كما فعل ابن أرمطة ، فقتل الطفلين ذبحاً بخنجره ، وقتلهما لا يقدم ولا يؤخر في ملك معاوية أو ملك ابنه ، فهو عمل بكل المقاييس وحشي لا يمكن تبريره ، فهل يعقل أن من يقوم بهذا العمل أو يأمر به من الصحابة العدول ؟ وهل يعقل أن يدخله الله الجنة ؟ لكن التقليد يجعلك تقبل كل

غريب ، أما وفق قواعد الشرع الحنيف فإنه غير مقبول .
 ومن هنا فإن واقع الحال وما جرى بعد وفاة النبي ﷺ ينقض نقضاً كاملاً
 نظرية كل الصحابة عدول ، لأن ما جرى يناقضها !
 بل ما وجدت هذه النظرية أصلاً إلا لغايات سياسية كما سنثبت ذلك ،
 ولتغطية الخروج على الشرعية ، ولتبرير توسيد الأمر لغير أهله ، والله غالب على
 أمره ، ثم تناقل الناس هذه النظرية تقليداً كما يتناقلون الأزياء .

تهافت نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم كما
 جاء في شرح النهج: «أن أكثر الأحاديث في فضائل الصحابة قد افتعلت أيام
 بني أمية ، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم . وقد صيغت
 بأسلوب يجعل من كل صحابي قدوة صالحة لأهل الأرض ، وصبت اللعنة على
 كل من طعن في أحد منهم ، كما جاء فيما رووه عن أنس بن مالك: من سب
 أحداً من أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن عابهم أو
 انتقصهم فلا تؤاكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه» ! وقد جاءت بهذا الأسلوب ولم
 تفرق بين صحابي وصحابي !

عرض

ولي الله بالنص ، وأخو رسول الله بالنص ، وعميد آل البيت بالنص ، وباب
 مدينة العلم اللدني بالنص ، هو على الأقل صحابي يحمل هذا اللقب كما يحمله
 غيره ، فما حكم من يسبه ويفرض سبه والانتقاص منه في جميع المقاطعات التي
 كانت تخضع لحكم معاوية ؟ وما حكم الذين أطاعوا معاوية بسبه ؟ هل يشملهم

هذا الحديث الأنف ؟ وعند ما نصح معاوية بعض خالصائه للتوقف عن سب علي وشيعته قال: والله لا أدع سبه وشتمه حتى يهرم عليه الكبير ويشب عليه الصغير . وقد بذل للصحابي أبي سمرة بن جندب خمسمائة ألف درهم ليروي له عن النبي أن الآية « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » نزلت في علي بن أبي طالب . وإن الآية « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » نزلت في عبدالرحمن بن ملجم لأنه قتل علياً ^{الثالثة} . فما لهذه النظرية تفرق بين صحابي وصحابي وتطبق على أناس دون آخرين ؟ لا عاقل في الدنيا ينفي أن شتم علي وآله فرضته الدولة على كل رعاياها ، وأنهم قد شاركوا الدولة هذا الإثم رهبة أو رغبة .

دور الصحابة في التشريع

في عهد الصحابة والطبقة الأولى من التابعين كان دور الصحابة منحصراً على نقل أقوال الرسول وأفعاله . لكن بعد أن كانت السنة لا تتعدى أقوال الرسول وأفعاله عند متقدمي الصحابة ، أصبحت في العصور التي تعددت فيها المذاهب تتسع لرأي الصحابي وفتواه ، فإذا لم يجدوا نصاً على حكم الواقعة في كتاب الله وسنة الرسول أصبحت آراء الصحابة في أحكام الحوادث التي كانت تعرض عليهم المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد كتاب الله وسنة رسوله ! ولعل أئمة المذاهب الثلاثة وعلماءهم: الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصباً من الشوافع كما يبدو ذلك من تصريحاتهم ومجاميعهم الفقهية . ومع أن أبا حنيفة كان متحمساً للقياس ويراه من أفضل المصادر بعد كتاب الله ، فقد كان

يقدم رأي الصحابي إذا تعارض في مورد من الموارد . وجاء عنه أنه كان يقول: إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه ، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة آخذ بقول من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين . وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم ، أن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: ١ - النص . ٢ - فتوى الصحابة . وأن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص الكتاب بعمل الصحابي لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص وقوله بمنزلة عمله .^(١)

وما أبعد ما بين أهل السنة وبين أهل الشيعة القائلين بعدم جواز الإعتماد على السنة في مقام التشريع إلا إذا تأيدت بآية من القرآن لأن فيه تبيان كل شيء ، وقد نزل بلغة العرب وبأسلوب يفهمه كل عربي ، وذلك لأن السنة رواها عن الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ والكذب ، وكانوا لا يقبلون مرويات بعضهم أحياناً ، ويعمل كل منهم بما يوحيه إليه إجهاده ، وقد تراشقوا بأسوأ التهم واستحل بعضهم دم بعض.^(٢)

ومهما كان ، فأقوال الصحابة وآراؤهم واجتهاداتهم ، من أبرز أصول التشريع عند الجمهور بعد كتاب الله تعالى ، بل في رتبته ، بل قبله ، فهم يخصصون بها عمومات القرآن ، ويقيدون بها مطلقاته ، وينسخون بها آياته ! وكأنها وحي من السماء قبل القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !

(١) راجع أبا حنيفة لأبي زهرة/٣٠٤ وراجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم/٨٧ وما فوق لقد لخصنا ما ذكره في هذا المجال الإيماني لموافقته للصواب .

(٢) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدواليبي/٢١٧ .

وهذا الغلو في تقديس الصحابة لا يختلف عن العصمة في شيء ، بل يزيد عنها ، وهو يتسع للمنافقين وللمشركين الذين أرغموا على التظاهر بالإسلام ! وقد تحول هذا الغلو عند تأسيس المذاهب الفقهية الى وسيلة لمحاربة أئمة أهل البيت عليهم السلام في فقههم وأصولهم وجميع تعاليمهم التي تجسد الإسلام في جميع مراحلها وفصوله ، صافياً كما ورثوه عن جدهم علي عليه السلام الذي هو مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله . وقد كان الأئمة عليهم السلام يقولون: « إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فأطرحوه » .

كما كان الإمام الصادق عليه السلام يقول: « حديثي حديث أبي . وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله ، وحديث رسول الله قول الله » ^(١)



(١) لقد اقتطفنا هذا الموضوع من كتاب آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي ، فارجع إليه /٨٧ وما فوق وغايتنا وضع الحقيقة الشرعية أمام طلابها .

نظرية عدالة الصحابة عند الشيعة

١ - موالاة الشيعة للصحابة

يقول السيد مرتضى الرضوي: الشيعة يوالون أصحاب محمد ﷺ الذين أبلوا البلاء الحسن في نصره الدين ، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم .
واتهام الشيعة بسب الصحابة وتكفيرهم أجمع هو اتهام بالباطل ، ورجم بالغيب وخضوع للعصبية ، وتسليم للنزعة الطائفية ، وجري وراء الأوهام والأباطيل .

٢ - من هم الصحابة عند الشيعة

الصحبة تشمل كل من صحب النبي أو رآه أو سمع منه ، فهي تشمل المؤمن والمنافق والعاقل والفاسق والبرّ والفاجر...

وليست بمجرد عاصمة تلبس صاحبها أبراد العدالة ، وإنما تختلف منازلهم وتتفاوت درجاتهم بالأعمال ولنا في كتاب الله وأحاديث رسول الله كفاية عن التمحل في الاستدلال على ما نقول ، والآثار شاهدة على ما نذهب إليه ، وأن فيهم العدول من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ورسخت أقدامهم في العقيدة

وجرى الإيمان في عروقهم ، وأخلصوا الله فكانوا بأعلى درجة من الكمال .
وقد وصفهم الله عز وجل بقوله: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا»^(١) وهم المؤمنون: «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» وقد أمر الله باتباعهم والإقتداء
بهم ، بقوله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مَعَ الصَّادِقِينَ» .

هؤلاء هم أصحاب محمد العدول . والشيعنة إنما يناقشون أعمال ذوي الشذوذ
من الصحابة بحرية فكر ، وتزن كل واحد منهم بميزان عمله ، فلا يوادون من
حادّ الله ورسوله ويتبرؤون ممن اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله . وهم
بهذا الأسلوب لا يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح في تمييز
الصحابة.

٣ - نقطة الخلاف الجوهرية

أهل السنة يقولون بعدالة كل الصحابة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي .
والشيعنة يقولون بعدالة المتصف بالعدالة من الصحابة فقط .

٤ - دعاء الشيعة لأصحاب محمد

إن الدعاء الذي تردده الشيعة لأصحاب محمد لدليل قاطع على حسن ولاء

الشيعة للصحابة وإخلاص المودة لهم . فهم يدعون الله لاتباع الرسل عامة ولأصحاب محمد خاصة بما ورثوه من أئمتهم الطاهرين .

٥ - من أدعية الشيعة للصحابة

من أشهرها دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في صحيفته المعروفة بالصحيفة السجادية ، وهو: «اللهم وأتباع الرسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند معارضة المعاندين لهم بالكذب ، والإستباق إلى المرسلين بحقائق الإيمان ، في كل دهر وزمان أرسلت فيه رسولاً ، وأقمت لأهله دليلاً ، من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله ، من أئمة الهدى وقادة أهل التقى على جميعهم السلام ، فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان . اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا له ، ومن كانوا منظومين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القربابات إذ سكنوا في ظل قرابته ، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك ، وأشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم . اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين» يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» خير جزائك ، الذين قصدوا سمتهم وتحروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم ، لم يشنهم ريب في

نصرتهم ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم ، مكاتفين ومؤازرين لهم يدينون بدينهم ويهتدون بهداهم ، ينفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم . اللهم صل على التابعين لهم من يومنا هذا إلى يوم الدين ، وعلى أزواجهم وعلى ذرياتهم ، وعلى من أطاعك منهم صلاة تعصمهم بها من معصيتك ، وتفصح لهم في رياض جنتك ، وتمنعهم بها من كيد الشيطان ، وتعينهم بها على ما استعانوك عليه من بر ، وتقيهم طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير ، وتبعثهم بها على اعتقاد حسن الرجاء بك ، والطمع في ما عندك ، وترك التهمة في ما تحويه أيدي العباد ، لتردهم إلى الرغبة إليك والرغبة منك ، وتزهدهم في سعة العاجل ، وتحجب إليهم العمل الآجل والإستعداد لما بعد الموت ، وتهوّن عليهم كل كرب يحل بهم يوم خروج الأنفس من أبدانها ، وتعافيهم مما تقع به الفتنة من محذوراتها ، وكبّة النار وطول الخلود فيها وتُصيرُهم إلى أمنٍ من مقيل المتقين).^(١)



(١) الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين عليه السلام / ٤٣-٤٥ .

بذور للتفكر في نظرية عدالة الصحابة

١. ابن عباس يصف الصحابة لمعاوية

سأل معاوية ابن عباس عن عدة أمور ، ثم سأله عن الصحابة فقال ابن عباس: يا معاوية إن الله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه خصّ نبيّه محمداً بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال: «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»^(١) قاموا بمعالم الدين وناصروا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقة وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت أعلامه ، وأذلّ بهم الشرك وأزال رؤوسه ومحا معالمه ، وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة أولياء وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء رحلوا إلى الآخرة قبل

أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها» . فقطع عليه معاوية الكلام وقال: يا ابن عباس حدثنا في غير هذا»^(١)

٢. شهادة ووصية الصحابي حذيفة بن اليمان

كان حذيفة عليلاً بالكوفة سنة ٣٦ فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال: «أخرجوني وادعوا للصلاة جامعة . فوضع علي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال: أيها الناس إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً وآزروه ، فوالله إنه لعلى الحق آخراً وأولاً ، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة .

ثم أطبق بيمينه على يساره ثم قال: اللهم اشهد أنني قد بايعت علياً . وقال لابنيه صفوان وسعد: إحملاني وكونا معه فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا أن تستشهدا معه ، فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ، ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوماً ، ونفذ الولدان الباران وصية أبيهما واستشهدا يوم صفين وهما يقاتلان إلى جانب علي^(٢)

٣. الزبير وحسن الخاتمة

خرج علي^(عليه السلام) بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله لا سلاح معه ، فنادى: « يا زبير أخرج علياً » فخرج إليه الزبير شاكياً في سلاحه ، فقيل ذلك لعائشة فقالت:

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٦٥/٣ - ٦٦ و ٤٢٥/ - ٤٢٦ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٦٥/٣ - ٦٦ و ٤٢٥/ - ٤٢٦ .

واثكلك يا أسماء ، فقيل لها: إن علياً حاسر فاطمأنت ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال علي « ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟ قال: دم عثمان ، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان ، أتذكر يوم لقيت رسول الله في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك إليّ رسول الله وضحكت إليه وأنت معه ، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع علي زهوه ، فقال لك: ليس به زهوٌ ، أتجبه يا زبير؟ فقلت: إني والله لأجبه فقال لك: إنك والله ستقاتله وأنت ظالم له ! فقال الزبير أستغفر الله ، والله لو ذكرتها ما خرجت ! فقال له: يا زبير إرجع ، فقال الزبير: كيف أرجع الآن وقد التقت حلقتنا البطان ؟ هذا والله العار الذي لا يقبل . فقال علي: يا زبير إرجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار ! فرجع الزبير وهو يقول:

أخذت عاراً على نار مؤججه ما إن يقوم لها خلق من الطين .

نادى عليُّ بأمر لست أجهله عارٌ لعمرك في الدنيا وفي الدين»^(١)

والخلاصة إنه انسحب من التجمع الآثم ، ولقيه عمرو بن جرموز فقتله .

٤. طلحة وحسن الخاتمة

نادى علي طلحة حين رجع الزبير ، وقال له: يا أبا محمد ، ما الذي أخرجك ؟ فقال: الطلب بدم عثمان ، قال علي: «قتل الله أولانا بدم عثمان ، يا طلحة أما سمعت رسول الله يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ . فقال طلحة: أستغفر الله ، ثم رجع» .

(١) مروج الذهب: ٢/٤٠٠-٤٠٢ .

٥. الحليف يقتل حليفه

قال مروان بن الحكم بن العاص: رجع الزبير ويرجع طلحة ، ما أبالي رميت هاهنا أم هاهنا ، فرماه في أكحله فقتله ، وقال طلحة وهو يجود بنفسه:
«ندمتُ ما ندمت و ضلُّ حُلْمِي ولهفي ثم لهف أبي وأمي
ندمت ندامة الكسعي لما طلبت رضا بني جرم بزعمي»

٦. نهاية الصحابي عمار بن ياسر

قال عمار: «والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل . وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضع فاستسقى ، فأنته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم بعسل فيه لبن فدفعته إليه فقال: الله أكبر الله أكبر ، اليوم ألقى الأحبة تحت الأُسنة ، صدق الصادق وبذلك أخبرني الناطق ، وهو اليوم الذي وعدنا فيه»

وكان النبي أخبره بأن الفئة الباغية تقتله وآخر شرابه ضياح من لبن .
وقال عمار: «أيها الناس هل من رائح إلى الجنة تحت العوالي ، والذي نفسي بيده لنقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله ، وتقدم وهو يقول:
نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقلبه ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله» .

فقتله أبو العادية وابن جون السكسكي ، واختلفوا في سلبه فاحتكما إلى

الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص !

٧. حجة معاوية

لقد تمرد معاوية على الإمام الشرعي طالباً منه معاقبة قتلة عثمان فقال له الإمام « أدخل في الطاعة وحاكم القوم إليّ أحكم بالعدل » ولكن معاوية أبى أن يدخل في الطاعة ، واتخذ من قتل عثمان جسراً يعبر منه إلى الملك ونجح معاوية وتوج ملكاً على المسلمين ودانت له الرقاب رغبة ورهبة !

٨ . معاوية لم يعاقب قتلة عثمان: قدم إلى المدينة فدخل دار عثمان فصاحت عائشة ابنة عثمان: أبتاه ، وبكت ! فقال معاوية: يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً ، وأظهرنا لهم حلاً تحت غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولئن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني من عَرَضَ المسلمين»^(١)

٩. رأي الحسن البصري في معاوية

روى الطبري أن الحسن البصري كان يقول: « أربع خصال كن في معاوية ، ولو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة . واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير . وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجراً وأصحابه ، ويل له من

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ٣/٣٠٠ وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية/١٨٢.

حجر وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه»^(١) .
 ولم يكتف هذا الصحابي (العادل) بما فعل ، حتى لعن الإمام علياً لتقتدي به
 الأمة وتلعن الإمام كما لعنه الخليفة !^(٢) وأصدر أوامره أن يسبوا علياً بن أبي
 طالب عليه السلام !^(٣) وابتغاء لمرضاته كان عماله يسبون علياً عليه السلام !^(٤)



(١) راجع الطبري من حوادث سنة ٥١ وابن الأثير/٢٠٢-٢٠٩ وابن عساكر: ٣٧٩/٢ والشيخ محمود أبو رية/١٨٤-١٨٥ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه: ٣٦٦/٤ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٣٥٦/١ و٢٥٨/٣ و: ٥٦/٤ .

(٣) راجع صحيح مسلم: ٣٦٠/٢ وصحيح الترمذي: ٣٠١/٥-٣٨٠ والمستدرک للحاكم: ١٠٩/٣ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ٢٠٦/١-٢٧١ و ٢٧٢ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي: ٤٨ ودرر السمطين للزرندي الحنفي: ١٠٧ وكتاب الطالب للكنجي الشافعي: ٨٤-٨٦ والمناقب للخوارزمي الحنفي: ٥٩ وأسد الغابة لابن الأثير: ١٣٤/١ و: ٢٥/٤-٢٦ والإصابة لابن حجر العسقلاني الشافعي: ٢ ص ٥٠٩ و القدير الأميني: ٢٥٧/١ و: ٣٠٠/٣ والعقد الفريد: ٢٩/٤ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٨٢/٩٢ وشرح النهج: ٢٥٦/١ و٣٦١ وتذكرة الخواص للسبط الجوزي: ٦٣ والمراجعات للعالمي وملحقها للسيد حسين راضي .

(٤) راجع تاريخ الطبري: ١٦٧/٥-١٦٨ والكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤١٣/٣ والمستدرک للحاكم: ٣٨٥/١ و: ٣٥٨/٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٣٥٦/١ و ٣٦١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩٠/١ والعقد الفريد: ٣٦٥/٤ ، والقدير للأميني: ٢٦٤/١ عن إرشاد الساري في شرح البخاري للسقطلاني: ٣٦٨/٤ وتحفة الباري للأنصاري بذيّل إرشاد الساري ، والمراجعات للإمام العالمي وملحقها لحسين راضي: ٢١٨ .

طريق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب

استدكار وتلخيص لوجهتي نظر السنة والشيعه

رأينا أن الصحبة لغة واصطلاحاً تعني كل الذين لقوا النبي وآمنوا به أو تظاهروا بهذا الإيمان وماتوا وهم على هذا الإيمان أو التظاهر به ، وإن أهل السنة قد أجمعوا على أن كل هؤلاء عدول بلا استثناء ، ورأينا أن نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع النصوص الواردة في السنة المطهرة القولية والفعلية والتقريرية ، وتتعارض مع النصوص الشرعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم ، بل وتتعارض مع الغاية من الحياة ، ومع منطق الأشياء والروح العامة للإسلام .

وقد أثبتنا هذا التعارض ، وحرصنا على سوق الأمثلة والتبسيط ، وتبين لنا أن الصحابة شرعاً وبالضرورة قسمان: ١ - الصادقون: وهم عدول بإجماع كل المسلمين من شيعة وسنة ، ولا خلاف بينهم في هذه الناحية .

٢ - غيرهم ، وهم موضع الخلاف . فبينما يرى أهل السنة أن كل الصحابة بلا استثناء عدول لا فرق بين أول من أسلم وبين صبي رأى النبي أو رآه النبي ، من حيث وصف العدالة ، فالكل عدول ولا يجوز التعرض لهم لا من قريب ولا من بعيد بأي دراسة تؤدي إلى نقدهم أو إلى الإنتقاص من أي واحد منهم ، ومن يفعل ذلك فهو زنديق أثيم لا تجوز مؤاكلته أو مشاركته ولا الصلاة عليه . بينما يرى أهل الشيعة أن العدل من عدله الله وعدله رسول الله .

والحقيقة الشرعية المجردة هي ضالة المؤمن ، وقد بينَ الشرع الحنيف وسائل استكشافها ، ورشد حركة المسلم في هذا الإستكشاف ، وأعطاه الملكات العقلية التي تساعده على ذلك ، وتحقق غايته إن تجرد من الهوى .

فإذا كان سيد الخلق محمد بشراً يصيب ويخطئ - كما يقولون - فما الذي يمنع طفلاً رأى النبي أو رآه النبي من أن يخطئ أو أن يكذب؟ وأين هو الحكم الشرعي الذي يحجر على العقل البشري ويمنعه من أن يتحرى الحقيقة عند هذا أو ذاك . فهناك من الصحابة من قتل الصحابة ، وهناك من سرق ، وهناك من كذب ، وهناك من زنى ، وهناك من أحيل للقضاء بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى . فكيف نتحرى الحقائق؟ وكيف يقام العدل؟ وكيف تستفيد الأمة من تجارب الماضي فتجنب الخطأ وتنهج منهج الصواب؟ ومن هنا فإن الشيعة ترى وتؤمن بعدالة الصادقين من الصحابة ، وتدعو لهم في كل صلاة ، أما غيرهم من الصحابة ، فالذي يُعدُّله هو دينه وعمله بالموازين الشرعية . وهم يرون أن عدالة كل الصحابة بالمعنى الذي يطرحه أهل السنة نظرية سياسية تكونت ونشأت برعاية حكم الطلقاء ، وبوسائل إعلام دولة الطلقاء رُسِّخت قواعدها ، ثم تلقفتها الأجيال اللاحقة تقليداً وبدواعٍ مختلفة وبنوايا مختلفة .

وتقول الشيعة: أما العقوبة التي خصصها بعض الفقهاء تأييداً لنظرية عدالة كل الصحابة ، فهي عقوبة بغير نص ولا يملك أحد أن يعاقب مسلماً بغير نص شرعي . وإن العقوبة هي ظلم وهي باطلة بكل الموازين الشرعية ، وتؤدي بالنتيجة إلى تكريس حالة انقسام الأمة ومنعها من الاستفادة من دروس الماضي وعبره ، والتفكر في مآلات الأشياء وكيف آلت إلى ما آلت إليه ، وبالتالي إيجاد العوائق في طريق استشراف المستقبل وتوحيد الأمة على نور وبصيرة .

خلط الأوراق

لو كان الصحابة كلهم عدولاً لما حدثت الفتنة ، ولو كان الصحابة كلهم عدولاً لما تفرقت الأمة ، ولو كان الصحابة كلهم عدولاً لما قتل الصحابي صحابياً مثله ، لأن العادل لا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .
ولو كان الصحابة كلهم عدولاً لما وُسِّدَ الأمر لغير أهله ، ولما أصبحت الخلافة ملكاً وغنيمة يأخذها الغالب .

والقول بعدالة كل الصحابة خلط للأوراق وتعمية للناس ، وحجرٌ على عقولهم لأن من يقتلون لا يمكن أن يكونوا جميعاً على الحق ، لأن الحق ضد القتل وضد الفتنة ، ويمنع الفرقة ، ويمنع من توسيد الأمر لغير أهله . فكيف يصح أن نأتي الآن وبعد مضي ألف سنة لنقول: تلك أمة قد خلت ، ولنبدأ من جديد دون أن نعرف من هو المحق حتى نقضي أثره ، ومن هو المبطل الذي اتبع هواه حتى نتجنب مسالكه ، ومعنى ذلك أننا نهمل الاستفادة من تجربة دامت ألف عام ونيف ، ونبدأ بالحياة من الصفر كأننا بلا تجارب ، هذا هو الخلط ! لقد كان هذا الخلط مصلحة لهذا الحكم أو ذاك ، وتسترأ على هذا الشخص أو ذاك ، فما هي مصلحتنا الآن بهذا الخلط وهذا التستر ؟ خاصة وأنه خلط وتستر وإلغاء يتم على حساب الدين الحنيف ، ويُنفذ تحت شعار مصلحة الإسلام .

واقعة للإستكشاف الشرعي

قامت جموع غاضبة فقتلت بعد تردد طويل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بزعم أنه قد انحرف عن سيرة صاحبيه الصديق والفاروق ، فبايع أهل المدينة علياً عليه السلام وتبعهم أهل الأمصار باستثناء أهل الشام وواليهم معاوية بن أبي سفيان ،

الذي لم يبايع لأنه حسب قوله يريد معاقبة قتلة عثمان . فقال له الخليفة: أدخل في الطاعة وسأقضي بالحق للجميع ، فرفض معاوية وتحصن في ولايته ، وأخذ يكيد للإمام ويعلن خروجه عليه ويزعزع قواعد استقرار الدولة ، ويهيئ الأمة للانقسام ، مستغلاً أموال ولايته ، وصارفاً لها بغير الوجوه الشرعية المخصصة لها ، وما زال يكيد حتى انقسمت الأمة حقيقة وسالت الدماء ، ثم قتل الإمام واغتصب معاوية أمر الأمة بالقوة ، وتأمراً عليها وفيها السابقون من الصحابة الذين قاتلوه وقاتلوا أباه على الإسلام ، ونسي معاقبة قتلة عثمان أو تناساهم ، وأوصى أن يكون الملك من بعده لابنه يزيد وهو سكير خمير صاحب قردة وطنابير ، على حدّ تعبير الحسن البصري ، ومن ذلك التاريخ صارت رئاسة الدولة غنيمة يختص بها من غلب . وبما أن القديم على قدمه ، فقد صارت الغلبة وسيلة شرعية (نحن مع من غلب) .

عدالة كل الصحابة

الذين وقفوا مع علي ، والذين وقفوا مع معاوية كلهم صحابة وكلهم عدول ولا يدخل أحد منهم النار ، وكلهم في الجنة وكلهم مجتهد وكلهم لم يخطئ ، ومن عابهم أو عاب أيّاً منهم فهو زنديق لا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلّي عليه حسب إجماع أهل السنّة ! إمدحهم جميعاً كما يحلو لك فهم أهل لهذا المدح ، ولكن إن قلت أن واحداً منهم أخطأ فأنت زنديق...! هذا التفكير الأعمى أصبح سنة حقيقية ، وصورت هذه السنّة كأنها إرادة الله وإرادة رسوله .

التكليفات المنطقية

وفق معايير البحث العلمي أمامنا ثلاثة تصورات أو احتمالات: ١ - كلهم محق: علي عليه السلام ومن معه ، ومعاوية ومن معه . وهذا غير وارد لأن الحق واحد وله طريق

يقيني واحد ٢. - كلهم مبطل ، وهذا غير وارد لأن علياً ولي الله بالنص ، ولأنه مع الحق والحق معه ، يدور حيث دار كما سيأتي ٣. - أحدهما محق والآخر مبطل .

تساؤل: لو كانوا جميعاً على الحق لما اختلفوا ولما تقاتلوا ، وإن اختلفوا فلن يصلوا إلى التقاتل وقتل عشرات الألوف ، إنما سيحل بالوسائل الشرعية سلمياً .

استخلاص: إذن بالضرورة أحدهما محق والآخر مبطل ، والقول بأنهم جميعاً عدول وأنه لا يجوز عليهم الخطأ (طيبة) تصل إلى درجة السذاجة والغفلة ، لأن القتل لا يتم إلا باليقين الشرعي ، والقتل العمد جريمة ، وتفريق الأمة جريمة والخروج على الشرعية جريمة... ومن يمارس القتل بالظنون أو استناداً إلى مصلحة أو هوى لا يمكن أن يكون عادلاً ، وبالتالي يجوز عليه الكذب والخطأ والمعصية. والإطار العام للصحة لا يمنع من ذلك ، لأن الصحة ليست نبوة .

كيف نعرف العدول من الصحابة من غير العدول في هذه الواقعة ؟ كمثال للتبسيط؟: ١- بوجود حق ووجود منظومة حقوقية له تغطي مساحة الأفعال والنوايا . والحق موجود والمنظومة الحقوقية موجودة هي الإسلام (القرآن والسنة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير ، وهي المنظومة الحقوقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، إنها دين الله التي ارتضاها لعباده ، وصنعه ووحيه .

٢- وجود إمام وولي شرعي يسمع كل الآراء ويكون قوله الفصل عند اختلاف الاجتهادات ، ويرشد الحريات وينسق الطاقات ويوجه الجماعة إلى الحق . وقد كان النبي هو الولي وعين علياً ولياً فقال: إنه وليكم بعدي ، إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي ، من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . تلك حقيقة لا يوجد في الدنيا كلها من يجرؤ على إنكارها ، حتى

معاوية نفسه . وسأقوم بتوثيق هذه الحقيقة فيما بعد .

٣- بحث الوقائع بموضوعية وتجرد بحيث يكون هدف المسلم عين هدف الله تعالى . ٤- العقل الذي يقوم بعملية استيعاب المنظومة الحقوقية وتكييفها على الوقائع ، وعرض ثمرة هذه العملية على الولي .

الموالاتة كمفتاح للعدالة

علي بن أبي طالب ، هو أول من أسلم بأرجح الأقوال ، وهو ولي الله ، وأخو رسوله ووالد سبطيه ، وزوج البتول ، وقائد العمليات العسكرية ضد الشرك ، وهو فارس الإسلام بغير منازع وقاتل أعدائه ، وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم بالنص الشرعي كما سأثبت ذلك . وهو ابن أبي طالب حامي النبي وعميد البيت الهاشمي الذي حاصرته كل قبائل العرب مجتمعة ثلاث سنين في شعاب أبي طالب لغاية واحدة ، وهي أن يُسَلِّمَ الهاشميون النبي أو يُخَلُّوا بينه وبين قريش .

أما معاوية ، فهو الطليق ابن الطليق ، ابن أبي سفيان ، قائد الأحزاب وحارب النبي في كل المواقع ، وحاول أن يقتل النبي ، وقاد ضده موجة العداة وجيش الجيوش لمحاربتة ، وهو ابن هند التي رتبت عملية الغدر بحمزة ، ولم تكتف بقتله إنما شقت بطنه وشوهت بجثمانه الطاهر ، وقاتل معاوية وأبوه الإسلام بكل فنون القتال حتى دخل النبي مكة فاتحاً وأحيط به وبأبيه ولم يجدا مفرأ من إعلان إسلامهما ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، كان يعطى من الصدقات .

الصحابة العدول

كل الذين وقفوا مع علي ووالوه هم صحابة عدول ، وهم بفضل الله ومنته الأكثرية الساحقة من صحابة النبي ، ومن عارضه منهم كالزبير وطلحة ندمأ ولم يموتا حتى دخلا في طاعته بالرضى . ويكفي الإسلام شرفاً أنه لم يقف مع معاوية

من الأنصار إلا اثنان لا ثالث لهما، ولو كان أبو بكر حياً لوقف معه ، ولو كان عمر حياً لوقف معه وهو القائل: إنه مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، اللهم ارض عنهم واجزهم عنا وعن الإسلام ما هم أهله .
أما الذين وقفوا مع معاوية ووالده ، فهم موضوع البحث وبالوسائل الشرعية ، وهم أقلية الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي ، ومن أجلهم اخترعت نظرية (كل الصحابة عدول) لتبرير الواقع وإضفاء الشرعية عليه .

نماذج من غفلة أهل الشام والعراق

قال المسعودي: وذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: «ابن من أبو تراب هذا الذي يلغنه الإمام على المنبر؟ فقال: أراه لصاً من لصوص الفتن» .
وحكى الجاحظ قال: «سمعت رجلاً من العامة وهو حاج ، وقد ذكر له البيت يقول: إذا أتيت من يكلمني؟ وأنه أخبر صديقاً له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد ، ما تقول في محمد؟ أربنا هو؟!»
وذكر ثمامة بن أشرس قال: «كنت ماراً في السوق ببغداد ، فإذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون ، فنزلت عن بغلتي وقلت: لشيء ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس فإذا برجل يصف كحلاً معه أنه ينجح من كل داء يصيب العين ، فنظرت فإذا عينه الواحدة برشاء والأخرى مأسوكة ، فقلت له: يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك . فقال لي: يا جاهل أها هنا اشتكت عيناى؟ إنما اشتكتا بمصر فقال كلهم: صدق . وذكر أنه ما انفلت من نعالهم إلا بعد كد» .
وأخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم قال: «كنا نقعد نتناظر في أبي بكر

وعمر وعلي ومعاوية ، ونذكر ما يذكره أهل العلم ، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا ، فقال لي ذات يوم أحدهم وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية: كم تظنون في علي ومعاوية وفلان وفلان؟ قلت: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: من تريد؟ قلت: علياً ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبا فاطمة؟ قلت: ومن كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبي ﷺ عائشة أخت معاوية . قلت: فما كانت قصة علي؟ قال قتل في غزاة حنين مع النبي»^(١).

هؤلاء الذين أطاعوا معاوية

«وقد بلغ من أمرهم في طاعته أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء! وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحموه بها! وركنوا إلى قول عمرو بن العاص إن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته! ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير!»^(٢) هل هذا هو أسلوب الصحابة العدول ببيان الحقيقة؟ فالذي قتل عمار بن ياسر هو علي بن أبي طالب!! وهل هذا هو أسلوب العدول بتفقيه الناس بأمور دينهم وتعريفهم على صحابة محمد الأجلاء الذين قام الإسلام على أكتافهم!!؟



(١) ٢: لقد نقلت هذه الروايات حرفياً من مروج الذهب للمسعودي: ٣٩/٣ - ٤١.

(٢) حرفياً من مروج الذهب للمسعودي: ٣٩/٣.

الباب الثاني

الجدور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الفصل الأول:

الجدور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الجدور القبلي - عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة

بطون قريش: تتكون قريش من خمسة وعشرين بطناً^(١) وأشرف هذه البطون على الإطلاق وأفضلها بالنص الشرعي بنو هاشم بن عبد مناف^(٢) ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف ، و... بنو الحارث بن عبد مناف و... بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو نوفل بن عبد مناف . وبنو هاشم هم سادة قريش ، فقد سادوا بعد أبيهم ويقال لهم: المُجَبَّرُونَ ، وهم أول من أخذ العصم لقريش فانتشروا من الحرم . فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام ، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ نوفل حبلاً من الأكاسرة ، وأخذ عبد المطلب حبلاً من حمير ، فاختلفت قريش بهذه الأسباب إلى بلاد العالم . وكان يقال لهم: أقداح النضار لسيادتهم على العرب .^(٣)

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٢٩١/٢ .

(٢) راجع السيرة الحلبية: ٣/١ - ٤ ، والجامع للأصول: ٤١٩/٣ وما فوق ، و ١٥٦:٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(٣) راجع الطبقات: ٧٥/١ و كتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ٩٣ .

ب - الصيغة السياسية

توصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية قائمة على اقتسام مناصب الشرف فيما بينها - المناصب السياسية - من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة... إلخ والأسهم السياسية المحددة في هذه الصيغة أقصى ما استطاعت البطون أن تنتزعه ولاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة سياسية على الإطلاق، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب. فالمناصب السياسية قدر مشترك بين البطون ولا مصلحة لأي بطن بتغيير هذه الصيغة، لأنه لو حاول التغيير فلا يعرف على وجه الجزم واليقين عواقب محاولته، فقد يفقد ما حققه. لقد استقامت الأمور ونظمت ولاية البيت الحرام فارتاحت كل البطون لهذه الصيغة، ومع الأيام أصبحت عنوان عقيدة سياسية وأثراً ماثوراً مما تركه الأولون، لا يجوز الخروج عليه من قبل أي كان.

ج- محاولات لزعة الصيغة

في السنين العجاف لم يكن لمكة غير هاشم، يطعم الناس ويشبعهم، وقيل له: أبو البطحاء وسيد البطحاء، ولم تنزل مائدته منصوبة في السراء والضراء، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف^(١) فخشي أمية بن عبد شمس منه وحسده، فتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم، فعجز عن ذلك، فعيرته قريش فدعا هاشماً للمنافرة فأبى، ثم تنافرا على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين، ففضى الحكم بأن هاشماً أشرف من أمية، فنحرت النوق وجلا أمية إلى الشام، فكانت هذه بذرة العداة الأولى بين البيتين الهاشمي والأموي. ولعل الذي دفع

(١) راجع تاريخ الطبري: ١٨٠/٢ والسيرة الحلبية: ٥/١ والطبقات لابن سعد: ٧٦/١.

أمية هو الحسد لهاشم والخشية من أن يشكل هاشم خطراً على هذه الصيغة ، لأن القيادة بيد بني عبد شمس ، وبرز نجم هاشم يززع الصيغة ويستخف الناس.^(١)

د - إشاعة النبوة

أشيع في مكة أن نبياً سيبعث ، وأنه سيكون من سلالة عبد مناف ، وممن استقرت في أذهانهم هذه الإشاعة أبو سفيان ، فقد كان على علاقة وطيدة بأمية بن أبي الصلت . وأبو سفيان موقن أن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية ، وسيأخذ منه القيادة . وطالما أن القيادة لبني أمية فإن هذه النبوة من أكبر الأخطار ولكنه اطمأن بعد عذاب ومعاناة ، فالشائعة تقول (إن النبي من بني عبد مناف) ولا يوجد حسب رأيه من هو جدير بالنبوة سواه^(٢) فمن المؤكد أنه سيكون النبي المرتقب .

هـ - إعلان النبوة

أعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة والجنس البشري عامة ، وأن برهانه على هذه النبوة هو كلام الله . واتبعه نفر قليل ممن عرفوا بالحصافة وبعد النظر ، ومن أولئك الذين مستهم البشرية مساً أليماً .

و - احتضان الهاشميين للنبي

احتضن الهاشميون محمداً بكل قوة ، وهددت زعامة قريش بقتل محمد ، وأشيع أنه قتل ، فجمع أبو طالب بني هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة

(١) راجع السيرة الحلبية: ١٥/١ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ١٧٠-١٧٢ .

(٢) السيرة الحلبية: ٨٠/١ .

صارمة وسار مع الهاشميين والمطلبين ونادى: « يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا: لا ، فأخبر الخبر وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة . فقال أبو طالب: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفاني وإياكم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبو جهل»^(١)

ز - حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام

قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمداً وبكل أساليب المقاومة ، ولم ينثن ، وأمام إصرار ورفض بني هاشم لفكرة تسليمه اتفقت بطون قريش بدون استثناء على ما يلي:

١ - مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة ، فقاطعتهم قريش كلها ومعها بنو عدي وبنو تيم وحصروهم في شعب أبي طالب ثلاث سنين، واضطروهم الى أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع ، واضطروا أطفالهم أن يمصوا الرمال من العطش . تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد . ولم يركع محمد ولم يركع الهاشميون، وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتها ، وفشل الحصار بعد أن استمر ثلاث سنين .

٢ - عندما سمعت قريش أن محمداً سيهاجر إلى يثرب بعد أن تمكن من إيجاد قاعدة له ، قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتل محمداً ، فاخترتوا من كل قبيلة رجلاً حتى يضربه هؤلاء الرجال ضربة واحدة فيضيع دمه بين القبائل ، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، لأنه إن ذهب إلى يثرب نجح وسلبهم القيادة والشرف . وفي اللحظة التي أجمعوا بها أمرهم دخلوا فوجدوا علي بن أبي طالب نائماً في فراشه ، وجن جنون القيادة المكية وخصصت الجوائز لمن

(١) راجع الطبقات لابن سعد: ٢٠٢/١-٢٠٣ .

يقبض على محمد حياً أو ميتاً. وفي الطرف الآخر كان محمد وصاحبه ودليلهما المشرك يشقون طريقهم سالمين بإذن الله. وتلك حقيقة ساطعة كالشمس.^(١)

ح - حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لاحقاً بالأصنام

لم تياس بطون قريش وقيادتها الأموية من هزيمة محمد وبني هاشم ودينهم ، ولم يياس محمد والهاشميون وأصحابه من هزيمة الشرك وقيادته ، وانقسم العرب أثلاثاً ، قسم مع قريش وقيادتها المشركة ، وقسم قليل مع محمد ، والقسم الثالث يتربص ليتبع الغالب ! واشتعلت الحروب في بدر و أحد ، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب وزحفت إلى المدينة المنورة عاصمة النبي وفشلت الأحزاب . ثم فوجئت قريش وقيادة الشرك بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك بقيادة رسول الله ﷺ ، وركعت زعامة مكة واضطرت للدخول في الإسلام . وبركوعها ركع كل العرب ودانت الجزيرة لدولة النبي ، وأخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجاً .

ط - النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه

رفضت بطون قريش بزعامتها الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد الهاشمي بكل أصناف الرفض وألوانه ، وقاومت بكل فنون المقاومة ، لا وفاء للأصنام ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي ، وتكره أن تكون للهاشميين القيادة ، وأن تهتز الصيغة السياسية ! وأخيراً فوجئ أبو سفيان بجند الله قرب مكة ،

(١) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية: ١/٨٠ و ١/٣٣٢ .

ويوقفه العباس فيرى جند الله ، فيدخل الرعب في قلبه وينتزع منه فتيل المقاومة ، ويفصح قائد الحزب عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول: ما رأيت ملكاً مثل هذا ، لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر^(١) ويجره العباس إلى محمد ﷺ فيقول له: « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ » فيقول أبو سفيان: لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغنى عني شيئاً . قال النبي ﷺ: « يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ » قال أبو سفيان: أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء . صاح العباس: ويحك يا أبا سفيان أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق وبعد الإحاطة وضعف الحيلة أسلم لينجو بنفسه !

ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه: ليت شعري بأي شيء غلبني؟ فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان ، فقال له الرسول: (غلبتك بالله)^(٢) وأدركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه ، ولا علاقة لها باختيارها ، ولو كان لها أي دور بهذا الاختيار لما قبلت أبداً أن يكون النبي من بني هاشم ، والنبوة ظاهرة لن تتكرر ، وأنه أي بطن من بطون قريش لن يلحق بمقام بني هاشم فقد سبقوا تماماً ، وأدركت بطون قريش أن صيغتها السياسية قد اهتزت ونسفت تماماً وأضمرت العمل على وقف ما تعتبره زحفاً هاشمياً للجمع بين النبوة والملك وحياسة الشرف كله .

(١) السيرة الحلبية: ٧٩/٣ وما فوق ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

(٢) السيرة الحلبية: ٧٩/٣ وما فوق ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

ي- أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي

كل بطون قريش مجمعة على أن النبوة الهاشمية قد هزت هزاً عنيفاً الصيغة السياسية التي كانت قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل المكية . وكل البطون رفضت هذه النبوة الهاشمية باستثناء بني المطلب بن عبد مناف حيث وقفوا مع الهاشميين . لكن أكثر البطون رفضاً واندفاعاً لوقف الزحف الهاشمي والحيلولة بين جمع الهاشميين الملك والنبوة هم بنو أمية وذلك لعدة أسباب:

١ - ماضٍ طويل من الشحناء والعداوة والحسد لبني هاشم قبل الإسلام .

٢ - بسبب النبوة الهاشمية فقد الأمويون القيادة .

٣ - الهاشميون قتلوا سادات بني أمية ، فعتبة والوليد وشيبة قتلهم حمزة وعلي وعبيد الله ، فالأمويون لا يكرهون الهاشميين فحسب بل يحقدون عليهم ! وهند أم معاوية وزوجة أبي سفيان عكست مقدار هذا الحقد ، فهي لم تكتف بقتل حمزة إنما مثلت بجثمانه الطاهر . ولكن مع انتصار النبوة وشمول نور الإسلام وتأخر الأمويين عن دخوله ، وذكريات باعهم الطويلة في محاربتة ، فإنه يتعذر عليهم الجهر والمناداة علناً بمنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الملك .

ك - التيار الغلاب

لقد تحولت مقولة لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك إلى تيار غلاب ولكنه ساكن ومستقر في النفوس وملجوم بوجوده ﷺ وبوحدة الصحابة الصادقين تحت قيادته ، فلو فقد عنصر من هذه العناصر الثلاثة فستهتز الشرعية ،

وسيتحول الصحابة الصادقون إلى شعرة بيضاء في جلد ثور أسود - على حد تعبير معاوية - وسيأخذ الأمر من يغلب .

ل - القرابة الطاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة

عندما دخل المهاجرون الثلاثة إلى سقيفة بني ساعدة احتجوا بما يلي: قال أبو بكر: نحن عشيرة رسول الله ﷺ وأنتم وزرأؤه ووزرأؤنا في الدين . وقال عمر: لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبهها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم... لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة .^(١) قالت الأنصار كلها: لا نبايع إلا علياً ، وعلي غائب . قال بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً .^(٢) وسريعاً أبرم الأمر للصديق ، ودعي علي لمبايعة أبي بكر فقال علي: «أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا غصباً أهل البيت ؟ أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل ما أحتججتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً...» إلخ.

(١) راجع الإمامة والسياسة ٦-٧-٨ .

(٢) تاريخ الطبري: ٣/١٩٨ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٢/٢٦٦ .

م - الانقلاب وانفلات التيار الغلاب

وعمر على فراش الموت يتفكر بمستقبل أمة محمد ، ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة قال: لو أدركت أبا عبيدة باقياً استخلفته ووليته ، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته ، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته ، ولو أدركت سالمًا مولى أبي حذيفة وليته... وسالم من الموالي فارسي ، ومعاذ من الأنصار ، ويوم السقيفة لم يكن جائزاً تولية الأنصار ! وخالد من بني مخزوم ومن الطبقة العاشرة من طبقات الصحابة حيث هاجر في الفترة الواقعة بين صلح الحديبية وفتح مكة .

قال عمر لابن عباس أثناء خلافته: «يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ﷺ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه ، فقلت: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري ، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة ، فَبَجَحُوا على قومكم بجحاً بجحاً ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت .

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتميط عني الغضب تكلمت ، قال: تكلم . قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت لأنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة ، فإن الله عز وجل وصف قومًا بالكراهية فقال: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . فقال عمر: هيهات يا ابن العباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني ! فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كان حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كان باطلاً فمثلي أباط الباطل عن نفسه . فقال

عمر: بلغني أنك تقول: صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً، قال ابن عباس: فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون. فقال عمر: هيهات هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول! قال: فقلت: يا أمير المؤمنين مهلاً لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.^(١)

ن- قصة ذات دلالة تأسيسية

الواقعة التي يرويها المسعودي في كتابه مروج الذهب، والتي جرت بين ابن عباس وبين الفاروق رضي الله عنهما، تؤكد حدوث الانقلاب الفكري وانفلات التيار الغلاب الذي كان ساكناً في النفوس وملجوماً أثناء حياته ﷺ وقبل أن تتأسس دولة الخلافة الراشدة:

ذكر عبدالله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: «يا ابن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء وأعياني ذلك فما رأيك في العمل؟ قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال عمر: وما تريد إلى ذلك؟ قال ابن عباس: أريده فإن كان شيئاً أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنني لست من أهله، فقبلت عمك هنالك فإني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته. فقال: يا ابن عباس، إنني خشيت أن

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢٤/٣ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ١٠٧/٣ أخرجه في تاريخ بغداد: ٩٧/٢، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٤١.

يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فتقول هلم إلينا ، ولا هلم إليكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم . قال: والله قد رأيت من ذلك فلم تره فعل ذلك ؟ قال عمر: والله ما أدري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك فما رأيك ؟ قال ابن عباس: أرى ألا أعمل لك . قال: ولم ؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك ، قال: فأشر علي . قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك^(١) . فمن فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يسلطوا على رقاب الناس ، ولن يحكموا أمة محمد !

وبالإجمال تحولت هذه المقولة إلى تيار غلاب أفصح عن ذاته ، وفرض نفسه كقناعة عامة تؤمن بها السلطة وآمنت بها الأكثرية الساحقة على اعتبار أن هذه المقولة هي الوسيلة المثلى لمنع الإجحاف الهاشمي ، وإنصاف البطون القريشية لتداول الخلافة بينها كرد على النبوة الهاشمية ، أو كتعويض لها عن اختصاص الهاشمي بالنبوة ، وأخيراً على اعتبار أن هذه المقولة مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقيها ، على حد تعبير الفاروق .

وباستمالة أبي سفيان إلى جانب السلطة ، وإعطائه ما بيده من الصدقات التي جمعها زمن النبي ، وتولية ابنه يزيد قائداً على جيش الشام ، وتعيين ابنه الثاني معاوية مع أخيه يزيد ثم خلافته له كوالٍ على الشام بعد وفاته ، كل هذا كَوَّن حلفاً حقيقياً بين السلطة وبين الطلقاء ، لهم قناعة سياسية مشتركة تقوم على عدم تمكين الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، وبهذا التحالف قطع دابر

المعارضة وحُجِّمت ، وتم تكريس مبدأ تحريم الخلافة على الهاشميين !
وهكذا فقدت العترة الطاهرة حتى نصيبتها من امتيازات الشرف التي كانت
مخصصة لها بموجب الصيغة السياسية التي سادت مكة قبل الإسلام ، وعزلت
تماماً وحُجِّمت ! أنظر إلى قول الفاروق مخاطباً العباس وبني هاشم (إي والله
وأخرى: إننا لم نأتكم حاجة منا إليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما
اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم) ! وبلغت الإستهانة بهم حداً أن
عبدالله بن الزبير همّ بأن يحرق بيوتهم بمن فيها لولا أن تدخل أهل الخير .
ومعنى ذلك أن أي قبيلة من القبائل التي حاصرت الهاشميين في شعاب أبي
طالب ثلاث سنين ، وأرسلت مندوبها للإشتراك بقتل النبي ، هي أسعد حظاً من
الهاشميين ، والفرد منها أولى وأحق برئاسة الدولة من أي هاشمي !
فالرئاسة والولاية حلال لكل الناس وحرام على أي هاشمي من الناحية العملية
كل ذلك من أجل عدم تمكين الهاشميين من الجمع بين النبوة والخلافة ، وهل
جزاء الإحسان إلا الإحسان !؟

س- التكييف الشرعي لمقولة تحريم جمع الهاشميين الخلافة والنبوة

هذه مقولة جاهلية من كل الوجوه ، وتتعارض معارضة تامة مع النصوص
الشرعية ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية . فداود النبي ورثه ابنه
سليمان ، فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معاً ، وأوتي الأنبياء عليهم السلام وذرياتهم
الحكم والنبوة والكتاب ، ولم يعترض عليهم أحد ، لأن الفصل بيد الله ، والخلافة
منصب ديني وبالدرجة الأولى دنيوي والخليفة قائم مقام النبي ، ومن مهام النبوة
البيان والحكم ، وعملية البيان والحكم عملية فنية تماماً واختصاصاً .

ومن هو على علم بالتقاطيع الأساسية للنظام السياسي الإسلامي ، يتبين له بأقل جهد ممكن أن هذه المقولة نسفت نفساً تاماً النظام السياسي الإسلامي كنظام إلهي وفرغته تماماً من مضمونه ، وحولته من الناحية العملية إلى نظام وضعي لا يختلف عن الأنظمة الوضعية إلا بالشكل (سياسياً) ! بل والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنيمة وطعمة يأكلها الغالب والغالب وحده ، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي (أو حصيرته) ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة ، فإن غلب الطليق الذي قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط به فأسلم رغبة أو رهبة ، فإنه يتأمر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركة ! ويصبح ولي الله المخصص شرعاً لرئاسة الدولة الإسلامية مجرد مواطن عادي من رعاياه ! ويتكلم الجاهل ويسكت العالم ، ويتقدم المحاصر ويتأخر المحاصر !

كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ، ومنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، أو بتعبير أدق من أجل العودة عملياً إلى الصيغة السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام ، ولكن بثوبها الجديد . فالصيغة السياسية الجاهلية كانت تقوم على اقتسام مناصب الشرف ، بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها منها ، وبتطبيق المقولة أصبحت القبائل تتداول رئاسة الدولة وبنفس الوقت تتشارك بالشرف والمناصب أثناء عملية التداول .

أما الأحكام الإلهية المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي فهي موضوع آخر ، فهي لا تستجيب للصيغة السياسية التي وجدت قبل الإسلام في مكة .

ع - نتائج تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين النبوة والخلافة

النتيجة الأولى: زوال الفوارق نهائياً بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط بهم فأسلموا ، وبين أولئك الذين قاتلوا مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه ونصر نبيه وأقام دولة الإيمان ! فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا أو ذاك ، فكلهم مسلم وكلهم في الجنة ، فالهاشمي الذي حاصرته قريش ثلاث سنين هو تماماً مثل أي شخص كان على الشرك واشترك بالحصار ، ألم يسلم ذلك الشخص؟ أليس الإسلام يجب ما قبله؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماماً كوحشي من الناحية العملية السياسية ، فالقاتل كالممتول تماماً ، والمهاجر كالطليق ، والجاهل كالعالم ، ولو غلب الجاهل لكان لزاماً على العالم أن يطيعه سياسياً ويتبعه وينقاد إليه !

بل على العكس فلو كان هنالك هاشمي عالم كعلي بن أبي طالب ، وكان هنالك أنصاري بدرجته أو أقل علماً منه فالأنصاري العالم مقدم على الهاشمي . أنظر إلى قول الفاروق رضي الله عنه بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول: لو أدركت معاذ بن جبل لوليته ، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته ! خالد قاتل الإسلام في أحد وفي أكثر من وقعة ، وعلي قاتل مع الإسلام في كل مواقعه ، ومع هذا فالأولى هو خالد ! حتى أن الفاروق لو أدرك سالماً مولى أبي حذيفة وهو من الموالي لولاه الخلافة وأمره على علي بن أبي طالب ، مع أن علياً هو مولى عمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن ومؤمنة، باعتراف الفاروق وإقراره.

النتيجة الثانية - زرع بذرة الخلاف ونموها

طالما أنه لا فرق بين المهاجر والطلق ، ولا بين القاتل والمقتول ، ولا بين المحاصر والمحاصر ، ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وأن يستقرب حول هذا الفهم ، فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة ومفاهيم متعددة وقناعات متعددة ، وكل فريق يزعم أنه على الحق ! ففريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين ، وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال بزاوية كذا... ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقربها الجميع ! بهذا الجو زُرعت بذرة الخلاف ونمت بأرض خصبة ، فلو قال علي عليه السلام كلاماً وقال واحد من الطلقاء كلاماً آخر ، فالذي يزن القولين هو السامع ، لأنه عملياً لا فرق بين علي وأي طليق ، فكلاهما في الجنة وكلاهما صحابة ، أي أنهم لا يقرون عملياً بأي ترجيح شرعي لقول علي ، فهو وغيره لمتساوون تماماً ؟ فهذه قطعة ذهبية تساوي حجماً وشكلاً ومقداراً وقيمةً مع قطعة أخرى ، فخذ ما شئت وإياك والتمييز . فالوفاق وفاق ظاهري وتحتة ينمو الخلاف ويشب ويتحول إلى سرطان عاجلاً أم آجلاً ، يمزق وحدة الأمة ويخرجها من الشرعية إلى الغامض المجهول.

النتيجة الثالثة - رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي

بمعنى أنه لا شيء على الإطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية شريطة أن يتمكن من الوصول إليها والإستحواذ عليها ، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان ، شريطة أن لا يكون من بني هاشم لأنهم اختصوا بالنبوة ، والنبوة تكفيهم . وهذا الحق حوّل الطمع برئاسة الدولة إلى

كابوس بغيض وآلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها ، وحولتها إلى حقل تجارب لكل الطامعين بالرياسة ، وعطلت نظامها السياسي الشرعي . أما من أي قبيلة هذا الرئيس؟ ما هو علمه؟ ما هو دينه؟ ما هي سابقته؟ من الذين سيحكمهم؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العملية ، ولا يعول عليها لأن الغالب غالب ، والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته .

فما الذي يمنع يزيد بن معاوية وهو المشهور بعهره وفجوره من أن يكون رئيساً للدولة الإسلامية لأنه ابن معاوية الرئيس ، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في الجنة بالنص وريحانة النبي من هذه الأمة بالنص والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنص ، فما الذي يمنعه من أن يكون أحد رعايا يزيد ، وأحد الذين يتأمر عليهم؟ فكلاهما مسلم وكلاهما في الجنة! يزيد القاتل المجرم في الجنة ، والحسين الإمام المقتول في الجنة ، فكلاهما صحابي! ومن ينقد هذا الرأي فهو زنديق لا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلّي عليه .

النتيجة الرابعة - اختلاط الأوراق

اختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل والخير بالشر والعلقم بالشهد ، وأصبح المتأخر كالمتقدم واللاحق كالسابق والمجاهد كالقاعد والقاتل كالمقتول والمحاصر كالمحاصر ، ومن وقف مع الإسلام تماماً مثل من وقف ضده ، ومن قاتل الإسلام تماماً كمن قاتل معه! لقد دخل الجميع بدين الله وشاهد النبي أو شاهدوه ، فكلهم صحابة وكلهم في الجنة! وضاع الصادقون وتفرقوا في الأمصار وأصبحوا - على حد تعبير معاوية - كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود ، وانهار النظام السياسي الإسلامي وتأخر المتقدمون وتقدم المتأخرون ، والله عاقبة الأمور .

الجذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة

أ - اختلاف الواقع عن المثال

النظام السياسي الذي تم تطبيقه في التاريخ السياسي الإسلامي ، بدءاً من وفاة الرسول ﷺ وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان ، يختلف تماماً عن النظام السياسي الإسلامي الإلهي الذي أنزله الله تعالى على عبده محمد ﷺ ، ليسوس المسلمين في كل الأزمان ! ومع الإصرار على الوجود المؤكد لهذا الاختلاف ، فلا بد من التوضيح بأن حجم هذا الاختلاف متفاوت من شخص إلى شخص ومن عهد إلى عهد . ومن نافلة القول أن نؤكد بأن هذا الاختلاف لا يخفى على ذي بصيرة لو تركنا التقليد الأعمى . لأنه لو طبق النظام السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول بالشكل والمضمون الإلهيين لما : ١ - انهارت دولة الإسلام ٢ - ولما حدثت تلك الفتن والمذابح . ٣ - ولما تفرقت الأمة الإسلامية . ٤ - ولما توقف المد الإسلامي المبارك عند هذا الحد ولعم الإسلام العالم كله ، فغير تغييراً جذرياً مجرى التاريخ البشري .

في كتاب تجربة في التاريخ العام: « يقول الفيلسوف الإنجليزي ولز ، وهو أحد أبرز مفكري العصر الحديث: لو أن الإسلام سار سيرته الأولى ولم تنشب الفتن لفتح العالم أجمع»^(١) وعلماء العالم العربي يعتقدون - وهذا مبلغهم من العلم - أن

(١) راجع كتاب شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية/١٧٣ .

نظام الخلافة هو عينه النظام السياسي الإسلامي ، وهو عينه الذي يطالبون بإعادة تطبيقه ! مع أن النظام السياسي الإسلامي تكون بصورته النهائية وطبق في زمن النبي ﷺ قبل أن يتكون نظام الخلافة لأن الخلافة تعني خلافة النبي ، فإذا كان النظام السياسي الإسلامي هو نظام الخلافة ، فما هو النظام الذي طبقه النبي؟! إن النظام الذي طبقه النبي هو النظام السياسي الإلهي السابق لنظام الخلافة ، والذي طبق بحذافيره قبل أن يعرف نظام الخلافة ، وهو الأصل وهو المثال ، وما سواه فروع وأشكال تتمدد وتتكيف ، بحسب قربها أو بعدها من الأصل والمثال .

ب - النظام السياسي الإسلامي

هو النظام الذي طبقه النبي إبان الدعوة على علاقته بتابعيه ، ثم طبقه في عصره الراشد بعد أن تحولت الدعوة إلى دولة ، وخلال رئاسته المباركة للدولة والتي استمرت عشر سنين . وقبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى أكمل الله الدين وأتم النعمة وبين كل شئ - كل شئ - على الإطلاق . وباستقرائه تجد أنه نظام إلهي معد ومصاغ ليكون النظام العالمي الأمثل لعالم أمثل ، لأنه النظام الإلهي بصورته المثلى وبصياغته الأخيرة والنهائية .

ج - أركان النظام السياسي الإسلامي

يقوم النظام السياسي الإسلامي على أربعة أركان ، متصلة مع بعضها اتصالاً عضوياً يتعذر الفصل بينها . وإذا وقع الفصل بينها فقد النظام صفته الإسلامية بحجم هذا الفصل ، وعاجلاً أم آجلاً سيتداعى النظام ، لأن هذه الأركان هي التي تميزه عن غيره وتكاملها وحده الذي يعطي الثمرة المرجوة من تطبيق هذا النظام:

الركن الأول - القيادة السياسية: القيادة السياسية في العقائد الإلهية عامة ومنها

الإسلام تعين ، أو إن شئت فقل: (ترشح) من قبل الله مباشرة ، كما حدث لداود وسليمان ومحمد ﷺ . فالله سبحانه هو نفسه الذي اختارهم أنبياء ورؤساء لدول الإيمان ، وتبلغوا القرار الإلهي بالذات أو بشكل غير مباشر كاختياره تعالى لطالوت ليكون القائد السياسي لبني إسرائيل ، فقام نبي بني إسرائيل بإخبار الإسرائيليين بأن الله قد اختار لكم طالوت ملكاً ، فاحتج الإسرائيليون فزعموا أن طالوت غير جدير بالملك ، فبين الله أنه أهل لذلك لأسباب كثيرة منها: أن الله زاده بسطة في العلم والجسم ، ثم إن الفضل بيد الله وهو الأعلم بمن هو جدير بهذا الفضل ، وكاختياره تعالى لعلي بن أبي طالب ليكون ولياً للأمة بعد وفاة وليها ، وتبليغه بهذا الاختيار بواسطة محمد ، على مرأى ومسمع من مائة ألف مسلم في حجة الوداع .

ما هي الغاية من الترشيح الإلهي للقيادة السياسية؟ : لأن هدف المحكومين المصنفى من الغرض والشهوة هو أن يتولى قيادتهم الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين ، وتلك أمور خافة عليهم ، ويتعذر وفق إمكانياتهم أن يجزموا جميعاً بأن هذا أو ذاك هو الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين . فرحمة من الله تعالى بخلقه المؤمنين بين لهم بأن مرادهم هو فلان.. إذا كانوا حقيقة صادقين بالبحث عن الأفضل والأعلم والأنسب ، لأن القيادة عملية فنية واختصاص وهي في الغالب خلافة لنبوة ، ومن مهام النبوة القدوة والتبليغ والبيان وسعة الصدر بالمحكومين ، والقول الفصل ، بحيث يلتقي فهمه تماماً مع المقصود الإلهي من كل قاعدة من قواعد المنظومة الحقوقية الإلهية... وتلك أمور لا يمكن أن تترك لأهواء الناس المتباينة وأمزجتهم المختلفة . وهذا الركن هو الفارق العملي الوحيد الذي يميز الأنظمة الوضعية عن النظام السياسي الإسلامي .

فالأنظمة الوضعية تترك الأمر لأهواء الناس وإجتهاداتهم لاختيار القيادة الأعلّم والأنسب ، على سبيل الفرض والتخمين لاعلى سبيل الجزم واليقين الذي يتحصل باتباع النمط الإلهي.

الركن الثاني - الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها: ما أنزل الله كتاباً إلا

على عبد ، ولا خص البشرية بهداية إلا ومعها هاد ، ولا أرسل رسالة إلا برسول . فالصلة عضوية بين الكتاب والهداية والرسالة من جهة وبين العبد والهادي والرسول من جهة أخرى . فلا بد من بيان الكتاب وتوضيح الهداية والرسالة وسياسة الأتباع بمقتضاها ، ولتكون الفسحة الواقعة بين البداية والنتيجة محطة ترجمة ونقل للمضامين من النص إلى التطبيق ، وبالتالي تجربة غنية تثري الرسالة والكتاب والهداية وتبين ما فيها . ولو كان مجدياً العكس لأرسل الله نسخاً من كتبه السماوية لكل واحد من المكلفين ، لكنها عملية فنية واختصاص ، فمحمد ﷺ بالذات هو الفني وهو المختص الأوحد ببيان الإسلام بياناً يقينياً يتطابق مع المقصود الإلهي في كل نص من النصوص ، وهو بالذات الأعلّم بالرسالة والكتاب والهداية ، وهو أفضل أتباعها ، وهو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع سياسياً وسياستهم وفق أحكامها ، ومن ينسبه النبي لخلافته بأمر ربه هو بالذات المؤهل لإدامة هذه الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها السياسية .

الركن الثالث - المنظومة الحقوقية الإلهية: الإمام أو القائد السياسي في النظام

السياسي الإسلامي ليس حراً ليحكم برأيه ، إنما هو مقيد بالمنظومة الحقوقية الإلهية بحيث يكون حكمه في أي أمر من الأمور متطابقاً تماماً مع الإرادة الإلهية بحيث يكون التكيف هو عين التكيف الإلهي والمضمون عين الحكم الإلهي ، لأن المنظومة الحقوقية من صنع الله وهي بمثابة القانون النافذ الواجب تطبيقه على

كل الداخلين في ولاية الإمام أو القيادة السياسية ، وهذه المنظومة الحقوقية ليست من صنع القائد ولا من صنع المحكومين ، إنما هي من صنع الله . وما يبدو لنا أنه من قول محمد مآهو في الحقيقة إلا ثمرة وحي إلهي وبيان لما أنزله الله . وهذا فارق آخر بين النظام السياسي الإسلامي وبين الأنظمة الوضعية . فالأنظمة تسن بنفسها قوانينها وتلتزم المحكومين باتباعها ، بينما في النظام الإسلامي الله هو الذي يضع المنظومة الحقوقية ويلتزم الحاكم والمحكوم باتباعها تحت إشراف الله . فالذين ينفذون القوانين ليسوا عبيداً للحاكم ، إنما الحكام والمحكومون عبيد الله ينفذون أوامره ، ويخضعون له وحده ولا لسواه .

الركن الرابع: موافقة المحكومين ورضاهم: الشعب يبحث عن منظومة حقوقية

مثلى تحدد له الأهداف العامة والخاصة ، وتبين له وسائل بلوغ تلك الأهداف ، ويبحث عن قيادة سياسية تكون هي الأعلم بالمنظومة الحقوقية ، والأفضل والأنسب لقيادته . فجاءت العناية الإلهية لتنقذه من هذه الحيرة ، وتبين له أن المنظومة الحقوقية التي تحقق ما يريد هي الإسلام بقرآنه وسنة نبيه ، قوله وفعله وتقريره . أما القائد الأعلم بهذه المنظومة والأفضل من بين الموجودين والأنسب لقيادة الشعب فهو محمد ﷺ ، وبعد موته هو الذي ينسبه محمد بأمر من ربه ، ثم الذي يليه ثم يليه عليه السلام... إلخ . فإن وافق الشعب على هذا التكليف الإلهي للمنظومة الحقوقية وللقيادة السياسية فقد اهتدى ، ودخل الخير من أوسع الأبواب بعد أن قبل بهذا التكليف الإلهي . وإن أبي فإن الله لن يجره جراً إلى الخير إنما يتركه ليحرب ويدوق وبال المعصية ، وليحيا حياة ضنكاً لأنه رفض التكليف الإلهي ووالى قيادة سياسية غير التي أرادها الله ورشحها.

بساطة النظام السياسي الإسلامي

كيف تعرف أنك سائر على الدرب الإلهي؟ من يوالي القيادة السياسية التي عينها الله تعالى هو مع الله. فالذين والوا محمداً هم من حزب الله، والذين عادوا محمداً ووالوا غيره هم من حزب الشيطان، حتى لو صلوا الليل كله وصاموا العمر كله، لأن الولاية والموالاتة هي القول الفصل بعضوية الحزبين، كذلك من يوالي وليه من بعده أو يعاديه يتحدد موقعه بأحد الحزبين، وبحجم هذه الموالاتة سلباً كانت أم إيجاباً. لقد كانت الموالاتة لمحمد هي الميزان الحق بين الصادق والكاذب. فقد بنى أناس المساجد وصلوا وأنفقوا واعتذروا عن عدم خروجهم مع الرسول، ولكنه تعالى وسمهم بالنفاق، لأن ولاءهم لمحمد ليس صحيحاً.

المناخ السياسي الذي نشأت فيه نظرية عدالة كل الصحابة

بعد مقتل الفاروق آلت الأمور إلى عثمان بن عفان، وهو بطبعه مولع بحب أقاربه. وبتولية عثمان بدأ بنو أمية ينزون حوله واحداً بعد الآخر، وبدأ هو بتجميعهم حتى أصبحوا رجال الخليفة ومستشاريه، وأصبحت مقاليد الأمور عملياً بيد مروان بن الحكم، حتى أن عثمان بعث محمد بن أبي بكر والياً على مصر ومعه مرسوم الخليفة ومعه طائفة من الصحابة، فأمر مروان بقتله دون أن يستشير الخليفة حتى مجرد استشارة وختم الأمر بخاتم الخليفة والخليفة لا يدري، وبتعبير علي عليه السلام: «صار عثمان سيفه بيد مروان يسوقه حيث شاء، بعد كبر السن وصحبه الرسول»^(١) وما أدراك ما مروان؟ ظليق من المؤلفة قلوبهم، وأبوه الحكم بن العاص كان محرماً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وزمن أبي

(١) تاريخ ابن الأثير وراجع، والطبري باب مقتل عثمان. وكتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٧٥ وما فوق.

بكر وعمر . وعندما تولى عثمان أدخله معززاً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم .
 ومما ساعد حزب الطلقاء أيضاً على تكوين دولتهم عبدالله بن أبي سرح والي
 مصر بكل خيراتها . وما أدراك ما عبدالله بن أبي سرح ؟ إنه الذي افتري على الله
 الكذب ، وأباح الرسول دمه حتى ولو تعلق بأستار الكعبة - كما يروي صاحب
 السيرة الحلبية في باب فتح مكة - وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب له الأمان ،
 وسكت الرسول على أمل أن يقتل عبدالله خلال فترة سكوته ، ولما لم يقتل
 أعطاه الأمان . ثم إن الغرسة التي زرعت في زمن أبي بكر ، وهي معاوية ، ضربت
 جذورها في الأرض فقد ضل والياً على الشام عشرين عاماً يجمع كما يشاء
 عملياً ويعطي كما يشاء . مروان الطليق ، ومعاوية الطليق ، وعبدالله بن أبي سرح
 الطليق ، والوليد بن عقبة الطليق أيضاً صلى الصبح أربعاً وهو والي الكوفة ، كلهم
 على مدرسة أبي سفيان حتى أن أبا سفيان حاول أن يخرج عثمان من مدرسته
 فقال يوماً لعثمان كما روى الجوهري لما بويع لعثمان: « كان الأمر في تيم وأنى
 لتيم هذا الأمر ثم صارت (الخلافة) لعدي فأبعد وأبعد ! ثم رجعت لمنازلها
 واستقر الأمر قراره فتلقفوها تلقف الكرة ! وقال لعثمان يوماً: بأبي أنت وأمي أنفق
 ولا تكن كأبي جحر وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة ، فوالله ما من
 جنة ولا نار . وكان الزبير حاضراً فقال عثمان لأبي سفيان (أغرب) فقال أبو سفيان:
 يا بني أهاهنا أحد؟ فقال الزبير: نعم والله لا كتمتها عليك»^(١)

وبإيجاز قال مروان بن الحكم كما يروي ابن الأثير في تاريخه الجزء الثالث
 قبيل مقتل عثمان: « شامت الوجوه تريدون أن تسلبوا منا ملكنا ! فقد أصبحت
 الخلافة في أواخر عهد عثمان ملكاً أموياً ، فلا تجد مصرأ إلا وواليه أموي طليق

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣٠٧/١ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

أو موال لبني أمية . فأى خليفة سيأتي بعد عثمان إما أن يصبح أداة بيد الأمويين أو يدخل ليلاً مظلماً ويسير على أرض مليئة بالعثرات والألغام .

ونتيجة الفتوحات كثر عدد المسلمين الأحداث والمنتفعين من الدولة ، وقلَّ عدد الصحابة الأجلاء الذين قامت الدولة المحمدية على أكتافهم ، وأصبح الصحابة السابقون كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود من حيث العدد ! وتلك أمور لم تكن خافية على معاوية الذكي ، فقال مهدداً قبل قتل عثمان: « ما أنتم في الناس إلا كالشامة السوداء في الثور الأبيض » . فكل الولايات كانت أموية أو موالية لبني أمية ، ومعاوية ابن قائد الأحزاب ورضيع هند آكلة الأكباد أصبح قطب الرحي ! فهو والي الشام كلها ، وهو الوصي على بني أمية ، وقد رفع شعار المطالبة بدم عثمان ليضمن استمرار الملك الأموي الذي نشأ عملياً يوم ولى أبو بكر أخاه يزيداً وتوطد الأمر بعده لمعاوية وتحول في عهد عمر وعثمان إلى ملك حقيقي ! وهذا معنى قول مروان: شأهت الوجوه تريدون أن تسلبوا منا ملكنا ! فقضية معاوية هي الملك وليست معاقبة قتلة عثمان لأنه صار خليفة ولم يعاقبهم !

قتل الروح المؤمنة عندهم ليس بذى قيمة ، ألم يصدر مروان بن الحكم أمراً بقتل محمد بن أبي بكر ومن معه من الصحابة بدون جريرة وذنب ؟ أليس معاوية قتل الحضرمي الذي كتب فيه ابن زياد أنه على دين علي ؟ أليس معاوية هو قاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت العبادة وجهه ؟ أليس هو قاتل حجر بن عدي وأصحابه العابدين المخبتين الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ؟ أو ليس هو الذي سلط ابن زياد الذي قتل عباد الله وصلبهم في جذوع النخل . المهم عند معاوية الملك بالدرجة الأولى ، والإنقاذ من قاتل جده وخاله وابن خاله وأخيه . وقد انتهاز فرصة حروب الجمل فأخذ يحرض طلحة والزبير وعائشة ويظايرهم ،

وكان يعد طلحة والزبير بالبصرة والكوفة بأن يحكم كل واحد منهما إحداهما ، حتى إذا انتهت الحرب بهزيمة من أثاروها أشعل الحرب بينه وبين علي...^(١)

يقول الأستاذ عباس العقاد في كتابه معاوية في الميزان: كانت لمعاوية حيلته التي كررها وأتقنها وبرع فيها واستخدمها مع خصومة في الدولة من المسلمين وغير المسلمين ، وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذييل بين خصومة بإلقاء الشبهات بينهم وإثارة الإحن فيهم ، ومنهم من كان من أهل بيته وذوي قرباه ! كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خط على وفاق ، وكان التنافس الفطري بين ذوي الأخطار مما يعينه على الإيقاع بينهم.^(٢)

ومضى معاوية على هذه الخطة التي لا تتطلب من صاحبها حظاً كبيراً من الحيلة والرؤية ، فلو أنه استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل ، ولو حاسبه التاريخ الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات ، ولكن العبرة لقارئ التاريخ في زنة الأعمال والرجال أن نجد من المؤرخين من يسمي عامه حين انفرد بالدولة (عام الجماعة) لأنه فرق الأمة شيعاً فلا تعرف كيف تتفق إذا حاولت الإتفاق ، وما لبث أن تركها بعده تختلف في عهد كل خليفة شيعاً شيعاً بين ولاية العهود.^(٣)

وباختصار حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريق والتفريق بين الناس ، وبشتم أنصار رسول الله وأصحابه ، واستغلاله أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام لتوطيد سلطانه فرتب عطاء إسمه عطاء

(١) راجع شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية/١٧٤-١٧٥ .

(٢) راجع معاوية في الميزان لعباس محمود العقاد/٦٤ و ٦٦ .

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

البيعة (رزق البيعة) يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد !

تجاهل الهدف المعلن للخروج على الشرعية

لقد عصى معاوية الخليفة الشرعي مطالباً بمعاينة قتلة عثمان ، وخرجت عائشة أم المؤمنين للمطالبة بمعاينة قتلة عثمان ، وعند ما استولى معاوية بالقوة على أمر المسلمين واغتصب رئاستهم ، لم يعاقب قتلة عثمان ولم تخرج عليه أم المؤمنين ولم تطالبه بمعاينة قتلة عثمان .

الصحوة من الغفلة

استقام الأمر لمعاوية وأصبح هو القائم مقام النبي فهو خليفته ، مع أنه الطليق ابن الطليق ، وقد قاتل هو وأبوه الإسلام بكل فنون القتال ، حتى أحيط بهما وبمن شايعهما ، فأسلموا رغبة ورهبة .

كيف حدث هذا الانقلاب ؟ كيف هزم الحق ؟ كيف أصبح المتأخر متقدماً والمتقدم متأخراً ؟ وأصبح الطليق أفضل من المهاجر ؟ والذي حاصر الإسلام وأبناءه أفضل من الذي تحمل الحصار في سبيل الإسلام ؟

ومن العجيب أن العام الذي هزمت فيه الشرعية وانتصرت فيه القوة ، سمي سمي عام الجماعة ! وأسقط بيد الصادقين وعمهم شعور عميق بالإحباط وندموا ولات مندم ، لكنهم كانوا في غفلة ثم استفاقوا من حلم مرعب فوجدوه الحلم حقيقة . وانشغلوا بتحليل ما جرى وبرزت نظريات وأفكار ذهبت بأصحابها مذاهب شتى ، كفكرة التصوف وفكرة الإرجاء وفكرة الجبر ، ونظرية عدالة كل الصحابة ، وكان الأمويون ومن والاهم وراء هذه النظريات ، فهي أسلحة استغلوها بكفاءة عالية لخدمة الملك الأموي وتشيت خصومه والوقية بينهم !

ما هي الغاية من ابتداء نظرية كل الصحابة عدول

١- التبرير

١ - تبرير غصب السلطة: معاوية طليق وابن طليق و من المؤلفة قلوبهم ، وقد وجد نفسه رئيساً لدولة الإسلام أو إن شئت فقل ملكاً عليها ، والقائم بأعمال خليفة النبي بل هو رسمياً الخليفة لرسول الله . هذا غير معقول !! ولا يصدق !! وبكل الموازين العقلية والشرعية الإلهية والوضعية ، فأبوه هو رأس الأحزاب ومرجعية الشرك في كل معاركه ضد الإسلام .

لا بد من مبرر يبرر هذا الانقلاب ، وأفضل وسيلة لتبريره هو القول بعدالة كل الصحابة ، وبما أن معاوية وشيعته هم صحابة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي ، وبما أن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ، ولن يدخل أحد منهم النار ، ولا فرق بينهم لأنهم كلهم عدول وكلهم صحابة ، فما الذي يمنع من أن يكون معاوية الخليفة وولي أمر المسلمين . وما الذي يمنع شيعته وهم صحابة أيضاً بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي من أن يكونوا بطانة لمعاوية ، طالما أنهم كلهم عدول وكلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ؟ فنظرية عدالة الصحابة بثوبها الفضفاض هي المبرر الأمثل لملك معاوية ، وقد ألبسه معاوية النظرية ، فهو المنظر الحقيقي والمبتكر في فن الوقعة والدهاء .

٢ - تبرير أفعال معاوية وشيعته: لقد أنزل معاوية وشيعته أعظم النكبات

بالإسلام والمسلمين ، فقائده بُسر بن أرطاة قتل في شهور في عارته على الحجاز واليمن ثلاثين ألفاً، وأوصى ابنه يزيد أن يرمي أهل المدينة بمسلم بن عقبة ففعل الأفاعيل التي ضجت منها السماء وأدمت القلوب حتى لو كانت من صلخد جلمود فقد قتل في وقعة الحرة كل البدرين ولم يبق بعدها بدري واحد ، وقتل من قريش ومن الأنصار سبعمائة ، ومن الموالي وسائر العرب عشرة آلاف .

ولا شئ يمنع معاوية وابنه من قتل الأطفال كما فعل بسر بن أرطاة بطفلي عبيد الله بن عباس. ومن الكبر الأعظم الذي تولاه معاوية وشيعته عندما حاولوا إبادة آل محمد إبادة تامة وأساليبه الملتوية بالقتل ، فقد سم معاوية الحسن (عليه السلام) ، وسم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد - كما ورد في ترجمته في الإستيعاب لابن عبد البر - وسم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - كما ورد في الإستيعاب أيضاً وسم مالك بن الأشتر ، ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك (إن لله جنوداً من عسل ...) وفرق معاوية الناس وجعلهم شيعاً . فلو حاولت أمة محمد أن تتفق لما استطاعت - كما يقول العقاد - وشوه الحكم الإسلامي . يقول الدكتور أحمد أمين: (فالحق أن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً... الخ.) .

كيف يمكن تبرير هذه الأفعال بغير نظرية عدالة كل الصحابة ؟ فطالما أن معاوية وشيعته من الصحابة ، وطالما أن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة فإن معاوية وشيعته لم يخطئوا ، فلو كانوا على خطأ لما قال النبي ﷺ بزعمهم: (إن الصحابة كلهم في الجنة) والنبي صادق مصدق لا ينطق عن الهوى ، وبالتالي فإن معاوية كصحابي مجتهد هو مأجور ، فإن قُتِلَ وهو على الحق فله أجران ، وإن قُتِلَ وهو على غير حقٍ فله أجر واحد ، فمعاوية على الحق

في حربه وسلمه ، في هجومه ودفاعه ، في أخذه وإعطائه ، لماذا؟ لأنه صحابي
والصحابي من العدول !

٣ - التحصن ضد النقد والسب والشتم والانتقاص: علاوة على أن نظرية

عدالة الصحابة تبرر غضب معاوية للسلطة ، وتبرر أفعاله وأفعال شيعته من بني
أمية ، فإنها أيضاً تمنحه الحصانة ضد أي نقد ولو كان بناء ، والحصانة ضد السب
والشتم والانتقاص من قدره لأنه صحابي ومن العدول ، ومن ينتقص أو يسب أو
يشتم أي صحابي عادي فكيف برئيس دولة ، من يفعل ذلك فهو زنديق لا
يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه - كما يروي الذهبي في ميزانه - وليس في
الدنيا خطة يمكن أن تحصن معاوية مثل نظرية عدالة كل الصحابة !

٤ - مقارعة خصوم معاوية وشيعته: نظرية عدالة كل الصحابة تؤمن فوز

معاوية في أي مقارعة بينه وبين خصومه ، أو تؤمن - على الأقل - المساواة بينه
وبين هؤلاء الخصوم ، فلو قال آل محمد إنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيراً ، لانبرى معاوية وشيعته إلى الرد الفوري عليهم: نحن أصحاب
محمد العدول لا يجوز علينا الكذب ، ولا يجوز علينا الخطأ ، لأننا في الجنة ولا
يدخل أحد منا النار! ولو قال آل محمد: من عادانا فقد عادى الله ، لرد معاوية
وشيعته ونحن الصحابة أيضاً ، قال النبي فينا: من آذى صحابياً فقد آذاني...إلخ.
ويختلط الحق بالباطل والعاصي بالمطيع والمحسن بالمسيء !

٥- التفريق بين المسلمين: إذا تمكن معاوية وشيعته من تأصيل هذه النظرية

بثوبها الفضفاض هذا وإشاعتها بين المسلمين ، فستبناها طائفة منهم وستعارضها
طائفة أخرى وينشب الجدل أظافره في أفكار الطائفتين ، ويتعصب كل فريق

لرأيه ويختلفان ، وتدون آراء كل طائفة ويتبناها اللاحقون بحكم التقليد وبحكم الدفاع عن الحق أو وجهات النظر ! فالذين يؤيدون النظرية لم يقصدوا تأييد معاوية إنما قصدوا تأييد الصحابة ، والذين يعارضون النظرية لم يقصدوا معارضة الصحابة إنما قصدوا كشف الأحابيل والألاعيب السياسية الخافية على الفريق الآخر ! لكن عملياً كل فريق وقف وجهاً لوجه ضد الفريق الآخر وشغلوا عن معاوية بينما معاوية هائ يتفرج على المتصارعين ، وهو مستعد ليكون حكماً بينهم ! هذا هو الفن الذي أشار إليه العقاد في كتابه الرائع: (معاوية في الميزان) .

نشوء نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - وهو من أكابر المحدثين - أن أكثر الأحاديث في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية ، تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم ! وقد صفت هذه الأحاديث بأسلوب يجعل من كل صحابي (بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي آنفي الذكر) قدوة صالحة لأهل الأرض وتصب اللعنات على كل من سب أحداً منهم أو اتهمه بسوء^(١) .

وقد أجمع الباحثون على أن نشأة الإختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله ﷺ إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته ، ثم اتسع الإختراع واستفاض بعد مبايعة علي ، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغصب الحق من صاحبه ويجعلها أموية ! وتوالت الأحداث بعد ذلك ، ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع ما عقدوا ، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين ، غير أن بناء

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم/٨٥ للسيد مرتضى الرضوي .

الجماعة قد انصدع وانفصمت عرى الوحدة بينهم ، وتفرقت المذاهب في الخلافة وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم ، كل ينصر رأيه على رأي خصمه بالقول والعمل وكانت نشأة الإختراع في الرواية والتأويل وغلا كل قبيل فافترق الناس . ولم يرزأ الإسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه ، وما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه ، فذلك ما جلب الفساد على عقول المسلمين ، وأساء ظنون غيرهم في ما بُني عليه الدين ، فكثر الناقلون وقل الصادقون ، وامتنع كثير من أجلاء الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه .^(١)

وأشار الإمام محمد عبده إلى ما صنعه معاوية وأنه وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على علي عليه السلام للطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله ، فاختلفوا له ما أرضاه ، منهم أبو هريرة!^(٢) ويقول الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام: «ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الأمويين فعلاً قد وضعوا أو وضعت لهم أحاديث تخدم سياستهم من نواحي متعددة»^(٣) وقد بذل معاوية للصحابي أبي سمرة بن جندب خمسمائة ألف درهم ليروي له عن النبي صلى الله عليه وآله أن آية: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ، نزلت في علي بن أبي طالب . وإن آية: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ، نزلت في عبدالرحمن بن ملجم لأنه قتل علياً!^(٤)

(١) مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد/٧-٨ وشيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية/٢٠١-٢٠٣ .

(٢) مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد/٧-٨ وشيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية/٢٠١-٢٠٣ .

(٣) ضحى الإسلام: ١٢٣/٢ لأحمد أمين . وراجع شيخ المضيرة للأستاذ أبو رية .

(٤) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي/٨٥-٨٦ .

رواة الأحاديث

أبو هريرة الدوسي ، أحد أصحاب معاوية وشيعته ، روى عن النبي خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً . روى منها البخاري أربعمائة وستة وأربعين حديثاً وأبو هريرة هذا لم تتجاوز صحبته للنبي سنة وبضعة أشهر . بينما كبار الصحابة الذين لازموا النبي من يوم بعثته إلى لحظة انتقاله للرفيق الأعلى لم يرووا عنه ما يزيد عن مائة حديث رواها البخاري ، وهؤلاء الكبار هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل وسلمان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب . إن في ذلك لعبرة !

فضائل معاوية

قال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: «تحقق على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث . وبعد أن أورد ابن الجوزي الأحاديث الواردة في معاوية في باب الموضوعات ، ساق عن إسحاق بن راهويه (شيخ البخاري) أنه قال: «لم يصح في فضائل معاوية شيء» . وللنسائي قصة مشهورة في أمر فضائل معاوية ، قال الدارقطني: «خرج النسائي حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة ، فقال احملوني إلى مكة وتوفي بالرملة ، وكان أصحابه في دمشق قد سألوه عن فضائل معاوية فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يفضل؟ فما زالوا يدفعونه حتى أخرج من المسجد!»^(١)

(١) راجع شيخ المضيرة أبو هريرة للأستاذ أبو رية/١٨٣ .

رأي الشافعي في معاوية

روى أبو الفدا عن الشافعي أنه أسر إلى الربيع أن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد^(١) وربما كان هذا هو السر الذي دفع ابن معين للقول عند ما سئل عن الشافعي قال: إنه ليس بثقة .

قول الحسن البصري

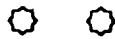
روى الطبري أن الحسن البصري كان يقول: «أربع خصال كن في معاوية ولو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة . ١- انتزأؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزوها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة . ٢- استخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير . ٣- ادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر . ٤- وقتله حجراً وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه .»

(١) راجع الطبري حوادث سنة ٥١ وابن الأثير: ٢٠٢/٣ - ٢٠٩ وابن عساكر: ٣٧٩/٢ وشيخ المضيرة للأستاذ أبو رية/١٨٥ .

نظرية عدالة كل الصحابة تحمل الطابع الأموي

مع أن كل الصحابة وفق هذه النظرية عدول ، فيفترض أن يكون آل محمد بوصفهم صحابة عدولاً ، وأن يكف الأمويين عن الإنتقاص منهم والإساءة إليهم . إلا أن معاوية زعيم الفئة الباغية وقف من الإمام على موقف أبي سفيان من النبي ، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جده من النبي وموقف أبيه من علي . وكان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابرههم ! ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختتم بشتم علي ، وكتب الى ولاته أن لا يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة ، وأن يمحووا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده ، ويسقطوا عطاءهم وورزقهم .^(١)

يقول العقاد في كتاب معاوية بن أبي سفيان في الميزان: « وإذا لم يرجح من أخبار هذه الفترة إلا الخبر الراجح عن لعن علي على المنابر بأمر من معاوية ، لكان فيه الكفاية لإثبات ما عداه ، مما يتم به الترجيح بين كفتي الميزان » .^(٢)



(١) راجع شيخ المضيرة للأستاذ أبو رية / ١٨٠/ وقد نقلها عن ابن عساكر: ٤٠٧/٣ .

(٢) معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس محمود العقاد وراجع المرجع السابق .

الفصل الرابع

الجدور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة

الذين أوجدوا نظرية عدالة كل الصحابة ، صاغوها ونظروا لها بصورة تضمن الحماية التامة لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، وتضفي على أحوالهم رداء الشرعية والمشروعية ! وفصلوا لها من الأثواب ما يضمن حضورها الفعال في كل أمر من الأمور يمكن: ١- أن يمسه من قريب أو بعيد. ٢- أو يؤثر على قريبهم أو بعدهم من الشرعية. ٣- أو يؤصل ويجذر مواقع الخلاف في معسكر خصومهم. ٤- أو يفرق الخصوم في بحار من الشك والحيرة والإضطراب .

والمثير حقاً أن النظرية ترمز عند عشاقها ومؤيديها اليوم لحبهم لمحمد ولأصحابه ، مع أنهم في الواقع يصارعون نيابة عن مخترعي هذه النظرية ، الذين وقفوا خارج الحلبة كأنهم لا علاقة لهم بما يجري .

أما الذين يطالبون بتعديل هذه النظرية فهم لا يقلون حباً لمحمد وأصحابه المخلصين عن أولئك المؤيدين لنظرية عدالة كل الصحابة ، ولكنهم يطالبون باعتماد العقل والشرع لترشيد هذا الحب ، وترك التقليد والتعصب الأعمى الذي يعطل العقل ونعمة الحوار الهادف الذي خص به الصفوة من عباده الصالحين .

المرجعية الفقهية

أجمعوا الباحثون على أن نشأة الإختراع في الرواية ، ووضع الحديث على

رسول الله ، كثر في أواخر عهد عثمان ، ثم اتسع الإختراع حتى مبايعة علي عليه السلام . وما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغصب الحق من صاحبه ، وعندما سيطر بنو أمية تطور فن الإختراع ووضع الحديث ، حتى جعلت الدولة الأموية لمن يتعاطون فن الإختراع ووضع الحديث جعلاً يرغب في مثله ، على حد تعبير الإمام محمد عبده^(١) وهذه المرويات المخترعات بقيت إلى جانب غيرها من مرويات عدول الصحابة مرجعاً للجمهور على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم الفقهية في التشريع وغيره من الأمور.^(٢)

١ - كل الصحابة مرجعية لأهل السنة

الذين اعتبروا كل الصحابة عدولاً ، أخذوا كافة مروياتهم عن الصحابة الصادقين ومعها المرويات التي وضعت ، خاصة في العهد الأموي ، ولم يفرقوا بين صحابي وصحابي لأنهم كلهم عدول وكلهم في الجنة ، ومن المحال عقلاً أن يتعمد الكذب رجل من أهل الجنة !

والصحابة الذين نالوا حظوة في البلاط الأموي كانوا من أكثر الصحابة حديثاً فهؤلاء هم الصحابة وجمهورهم غلب عليهم إسم أهل السنة ولم يعرف الجمهور بإسم (أهل السنة) قبل أواخر القرن الأول^(٣) وصار أي حديث يرويه أي صحابي جزءاً من الدين عند (أهل السنة) لأن الصحابة كلهم عدول وفي الجنة ! وحتى يكون الراوي أهلاً للثقة يجب أن لا يكون متهماً بالتشيع لعلي أو لأهل البيت ، فإذا ثبت ذلك فهو ليس بثقة من حيث المبدأ . قال يحيى بن معين: « وقيل

(١) تاريخ محمد عبده: ٣٤٧/٢ راجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية/ ٢٠١- ٢٠٢ .

(٢) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي/ ٨٦ .

(٣) آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم/ ٩٢ وأضواء على السنة/ ٣٤١- ٣٤٤ وص ٨٩ .

له في سعيد بن خالد البجلي حين وثقه: هذا شيعي . قال شيعي وثقة؟!»

ما هو السند الشرعي لأهل السنة بمرجعيتهم للصحابة؟

يقول أهل السنة: إن الرسول ﷺ قال: « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وفي رواية: « فأيهم أخذتم بقوله» يقول ابن تيمية شيخ الحنابلة ، ويلقب عند الجمهور بشيخ الإسلام» وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه . وهذا الحديث باطل بالإجماع». راجع ٥٥١/ من كتاب حجة المنتقى للذهبي

أئمة أهل البيت وثقات الصحابة هم مرجعية أهل الشيعة

أهل السنة اتخذوا مرجعاً فقهياً لهم الصحابة كلهم في مقابل الشيعة الذين رجعوا إلى الأئمة من أهل البيت ، وإلى ما رواه ثقات الصحابة عن النبي ﷺ بالإضافة إلى كتاب الله في جميع ما جاء به الإسلام من أصول وفروع ، وقد ورثوا فقههم وأصولهم وجميع تعاليمهم عن جدهم أمير المؤمنين الذي وصفه رسول الله بأنه باب مدينة العلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد المدينة فليأت الباب» . وكان لهذه المرجعية ضوابط ثابتة ، فقد كان الأئمة عليهم السلام يقولون: «إنا إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله، وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطرحوه». كما كان الإمام الصادق يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله تعالى»^(١)

وسندهم الشرعي هو النصوص الشرعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة ، وهي موضع اتفاق بين أهل السنة وأهل الشيعة .

(١) آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم/٨٩.

فأئمة أهل البيت الكرام هم من الذين «أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»^(١) بالنص القرآني والقرآن هو الثقل الأكبر وهم الثقل الأصغر بالنص الشرعي ، والهداية لا يمكن أن تدرك إلا بالتمسك بالثقلين ، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين^(٢) وهم لهذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق بالنص الشرعي أيضاً^(٣) وهم أمان لأمة محمد من الإختلاف ، بالنص الشرعي أيضاً^(٤) ونسوق بأدناه طائفة من الأدلة على كل نص ثم نورد لها مجتمعة في باب الميزان .

دور المرجعيتين

كانت روايات أهل السنة في الدرجة الأولى لا تتعدى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله عند المتقدمين ، وعند ما تعددت المذاهب وتوزعت في الأمصار شملت رواياتهم أقوال الرسول وأفعاله وأقوال الصحابي وأفعاله ، وأصبحت آراء الصحابة في الحوادث المصدر الثالث من مصادر التشريع: القرآن ، السنة ، رأي الصحابي ! والمذاهب الثلاثة: الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصباً لآراء

(١) آية التطهير في تفسير فتح القدير للشوكاني وابن كثير وتفسير الطبري والخازن ، وأي تفسير ترغب به .

(٢) راجع صحيح الترمذي: ٣٢٨/٥ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي/ ٢٣٢/ وينابيع المودة/ ٣٣ و ٤٥ و ٤٤٥ وكنز العمال: ١٥٣/١ وتفسير ابن كثير: ١١٣/٤ ومصايح البغوي/ ٢٠٦ وجامع الأصول/ ١٣٧ ومشكاة المصابيح: ٢٥٨/٣ وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف/ ١١٤ والفتح الكبير للنبهاني: ٥٠٣/١ و: ٣٨٥/٣ والدر المنثور للسيوطي: ٧/٦ و ٣٠٦ والصواعق المحرقة/ ١٤٧ لابن حجر والمعجم الصغير للطبراني: ١٣٥/١ ومنتخب تاريخ ابن عساكر: ٤٣٦/٥ ومقتل الحسين للخوارزمي: ١٠٤/١ والطبقات الكبرى لابن سعد: ١٩٤/٢ ... الخ.

(٣) تلخيص المستدرک للذهبي والصواعق المحرقة لابن حجر/ ١٨٤ و ٢٣٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي/ ١٠٩ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي/ ٢٣٥ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي/ ٣٧٨ ... إلخ .

(٤) الصواعق المحرقة/ ٩١ و ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف/ ١١٤ ومنتخب الكثر بهامش أحمد: ٩٣/٥.

الصحابة من الشوافع . ومع أن أبا حنيفة كان متحمساً للقياس ويراه من أفضل المصادر بعد القرآن إلا أنه كان يقدم رأي الصحابة عليه إذا تعارضاً ، قال: « إن لم أجد نصاً في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، أخذت بقول أصحابه ، فإن اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة أخذت بقول شئت وأدع من شئت ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين»^(١) وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم: « إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول النص والثاني فتوى الصحابة ، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص كتاب الله بعمل الصحابي ، لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص وقوله بمنزلة عمله»^(٢) فأنت تلاحظ أن أهل السنة قد أمعنوا بالغلو في تقديس الصحابة ، هذا التقديس الذي لا يختلف عن العصمة في شيء .^(٣)

وعندما انتشرت المذاهب الفقهية ، استغل هذا الغلو المفرط في محاربة التشيع لأئمة أهل البيت ، وصارت أقوال الصحابة تعامل كأنها وحي من السماء فيخصصون بها عموم الكتاب ويقيدون بها مطلقاته !

أما أهل الشيعة فهم يقولون إن القرآن جاء تبيانياً لكل شيء ، وما ثبت عن النبي ثبوتاً قطعياً لا يرقى إليه شك هو بمثابة النص ، وما عدا ذلك لا يجوز الإعتماد عليه في مقام التشريع إلا إذا تأيد بآية من القرآن ، وذلك لأن السنة رواها عن

(١) راجع أبا حنيفة لأبي زهرة/٣٠٤ والإمام زيد/٤١٨ وآراء علماء المسلمين/٨٧ و٨٨ للسيد مرتضى الرضوي .

(٢) المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدواليبي/٢١٧ وكتاب السيد مرتضى الرضوي/٨٨ .

(٣) المدخل إلى علم أصول الفقه للدواليبي/٢١٧ وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي/٨٨ .

تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف عن كتاب الأمة للشافعي/٢٢٨ وكتاب السيد مرتضى الرضوي/٨٨ .

الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ والكذب ، وكانوا لا يقبلون مرويات بعضهم أحياناً ويعمل كل واحد منهم بما يوحيه إليه إجهاده . وقد تراشقوا بأسوا التهم واستحل بعضهم دماء البعض الآخر ^(١) . وباختصار فإن القول الفصل عند الشيعة هو القرآن الكريم المبين لكل شئ ، وما ثبت من البيان (سنة الرسول القولية والفعلية والتقريرية) ثبوتاً يقينياً ، لا يرقى إليه الشك .

اختلاف المنطلقين يؤدي لاختلاف النتائج

١ - انطلق أهل السنة من منطلق مفاده أن الصحابة كلهم عدول ، لا يجوز عليهم الكذب ولا يجوز عليهم التزوير ، بمن فيهم الحكم بن العاص طريد رسول الله وطريد صاحبيه ، وعبد الله بن أبي سرح الذي افتري على الله الكذب ، ومعاوية . فكانت النتيجة من جنس المنطلق ، فما يقوله الصحابي الذي ثبتت صحبته صحيح لا يأتيه الباطل لأنه من العدول ، فإذا تعددت أقوال الصحابة في المسألة الواحدة فالمجتهد حر أن يأخذ بقول أي صحابي شاء ولا حرج عليه ، ويدع من يشاء ولا حرج عليه ^(٢) فلو قال الحكم بن العاص قولاً في مسألة ، وقال أبو هريره قولاً آخر في ذات المسألة ، وقال حذيفة بن اليمان قولاً ثالثاً في ذات المسألة ، وقال أبو بكر قولاً رابعاً في ذات المسألة ، فالمجتهد مخير أن يأخذ بأي قول من هذه الأقوال ، لأنهم صحابة وكل الصحابة عدول . والأهم من ذلك أن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص القرآن نفسه بعمل الصحابي وقوله ، فيكون عمل الصحابي على خلاف عموم النص دليلاً على التخصيص ، وقوله

(١) تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف عن الأم للشافعي/٢٢٨ وكتاب السيد مرتضى الرضوي/٨٨

(٢)..انظر:أبا حنيفة لأبي زهرة/٣٠٤.

بمنزله عمله .^(١) وما يثير الدهشة حقاً هو أنهم يقصدون بالصحابي أي صحابي على الإطلاق بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي . وهذه مرتبة ترقى بالصحابي إلى درجة العصمة ، وتجعل منه شريكاً بالتشريع .

٢- أما أهل الشيعة فالأمر مختلف جداً عندهم من هذه الناحية ، فهم يوالون أصحاب محمد الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الدين ، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم . والدعاء الذي تردده الشيعة لأصحاب محمد دليل قاطع على حسن الولاء وإخلاص المودة ، وجاء فيه: « وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكاتفوه وأسرعوا إلى قيادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته ، وفارقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء في تثبيت نبوته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته ، اللهم ما تركوا لك وفيك وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك ، وكانوا من ذلك لك وإليك»^(٢) هؤلاء هم الصحابة الذين تعظمهم شيعة آل محمد ويدينون بموالاتهم ، ويأخذون تعاليم الإسلام فيما صح عنهم .

والخلاصة: أن الشيعة لا يثبتون العدالة إلا لمن اتصف بها ، وكانت فيه تلك الملكة . وأصالة العدالة لكل صحابي لا دليل عليه ولا يمكن إثباته . والشيعة بهذا لا يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح في تمييز الصحابة ومن هو مصداق هذا الإسم حقيقة . ومن هنا فتحت على الشيعة باب الإتهامات

(١) تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف/ ٢٢٨ .

(٢) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثقناه ، وراجع كتاب السيد الرضوي/ ٩٣- ٩٤ .

الكاذبة .^(١) ولأن الشيعة انطلقوا من هذا المنطلق المختلف عن منطلق أهل السنة ، فإنهم قد توصلوا لنتائج مختلفة عن النتائج التي توصل لها أهل السنة .

تعدد المرجعيات

في زمن النبي ﷺ ، كثيراً ما كانت تختلف الآراء حول المسألة الواحدة وتتعدد فيسمعها النبي كلها ولا يضيق بها صدره ، ثم يبسط حكم الشرع في المسألة سواء أكانت نصاً قرآنياً أم سنة محمدية ، فيقبل الصادقون هذا الحكم فيوحدهم بعد اختلاف ، ويدخلهم حظيرة اليقين بعد شك في هذه المسألة . وتتكرر الحوادث ، وتتكرر أحكام الحلول مما يجعل الخلاف بوجهات النظر وتعدد هذه الوجهات مظهراً من مظاهر إثراء الفكر ولوناً من ألوانه ، لأن للناس مرجعية واحدة قولها الفصل وحكمها العدل . فوحدة المرجعية هي الأساس الذي تقوم عليه وحدة المجتمع ووحدة العقيدة ، فإذا تعددت المرجعيات يقع الخلاف المحظور . والإختلاف والوحدة نقيضان فيضطر الحاكم لمصادرة حق الناس بطرح أفكارهم ليضمن وحدتهم . لكن نتيجة نظرية عدالة كل الصحابة أنها عددت المراجع ، فكان في المجتمع الإسلامي عشرات الألوف من المراجع ، كل مرجع له رأيه وتصوره وفهمه ! وتتعدد هذه المراجع انقسمت هذه الأمة إلى شيع وأحزاب ، كل شيعة تؤيد مرجعها وتعتقد أنه المصيب والموصل إلى رضوان الله تعالى . ولكن عملياً ، بما أن السلطة الحاكمة هي المسيطرة على وسائل الإعلام ، فإن بإمكانها أن تسلط الأضواء على مرجع أو مراجع وتصورها على أنها وحدها هي الفئة الناجية وعلى الحق المبين ، فتتشر فتاواها وتحيطها

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم/١٠٠ .

بهاالة من الإنبهار ، وتدعو الناس للوثوق بها بغض النظر عن أهلية تلك المرجعية أو عدم أهليتها . فأبو هريرة صحابي مغمور لم يكن له دور في عهد الخلفاء الراشدين ، وكان يخدم الناس مقابل قوت بطنه ، ولم تتجاوز صحبته للنبي ﷺ سنة وبضعة أشهر ، لكن لقربة من البلاط الأموي تحول إلى مرجعية هائلة ، وتحولت أقواله على تفاوتها إلى الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورووا عنه من الأحاديث أكثر من كبار الصحابة، لأن الدولة تبنته ورشحته ليكون في مرجعيتها !

حكم الشرع في تعدد المرجعيات

ما من دين على الإطلاق إلا وله مرجعية ، وما من عقيدة إلا ولها مرجعية ، فمحمد هو المرجعية الوحيدة لدين الإسلام ولعقيدته ، فقوله الفصل ، وإذا وجدت مرجعية ثانية بأمر الله، فإنها مرتبطة به بالدرجة الأولى بوصفه الأعم والأفهم بالعقيدة .

والديانة اليهودية لها مرجعية واحدة ، فموسى هو المرجع ، وهارون تابع له وإذا انفرد موسى عن هارون فهو خليفته ، فإذا عاد موسى عادت تبعية هارون له .

والديانة المسيحية لها مرجع وهو عيسى، والحواريون مرتبطون به مسخرون لخدمة الدين تحت إمرته . فإذا انتقل محمد وموسى وهارون وعيسى إلى الرفيق الأعلى ، فيستتبع بالضرورة وجود مرجعية واحدة لكل عقيدة من هذه العقائد الثلاث ، معينة من قبل المرجعية الأولى بأمر ربها ، وترك الدين والعقيدة بلا مرجعية ، تفريط تترفع عنه ملكات الأنبياء ﷺ ويتناقض مع كمال الديانات .

وفي الإسلام ، فإن مرجعية المسلمين بالنصوص الشرعية القاطعة هم أهل بيت محمد ، وبالتحديد عميد هذا البيت الطاهر في كل زمان . أما لماذا أهل بيت

النبوة فهذا فضل الله يؤتیه من يشاء ، ومن جهة ثانية فقد أعدهم الرسول إعداداً علمياً ، واحتضنوا الرسول ودعوته ، وقد بين لنا الله أنهم هم الأفضل في كل زمان وتلك من لوازم المرجعية . وقد كان واضحاً بعد وفاة النبي أن مرجعية المسلمين هو عميد أهل بيت النبوة وهو علي بن أبي طالب عليه السلام فكل مسلم قد تبلغ بأن علياً هو مولاه ومولى كل مسلم ومسلمة . أنظر إلى قول الفاروق: « هذا مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة » تلك هي المرجعية الشرعية .

إلغاء المرجعية الشرعية يستتبع بالضرورة إيجاد مرجعية بديلة

تلاحظ أن المرجعية الشرعية في الإسلام قد عطلت بعد موت نبيه صلى الله عليه وآله ، فصار المرجع الرسمي أو القائم مقام المرجع الشرعي هو الخليفة . ودارت الأيام فعاد المرجع الشرعي علي عليه السلام ليقوم بوظيفته كمرجع شرعي للأمة فقامت الدنيا ولم تقعد إلا بعد أن قتل ! وجاء ابنه الحسن فأدرك أن الدنيا ما زالت قائمة وأنها لن تقعد إلا بقتله فترك الأمر ! وأحيط بالحسين في كربلاء فقتل وأبىد أهل بيته فأصبحت الأمة بغير مرجعية شرعية ! وبما أن المرجعية ضرورة من ضرورات وحدة المجتمع ، ركز الحاكمون الأمويون ليكونوا المرجعية وليقنعوا الأمة أنهم المرجعية الشرعية ، ومن الطبيعي أن يكون لكثير من طلاب الدنيا مصلحة بالتعاون معهم لتحقيق هذه الغاية .

نظرية عدالة كل الصحابة هي الطريق الفرد لإيجاد المرجعية البديلة

فصّلت نظرية عدالة كل الصحابة بحيث تتسع بالحاكمين الأمويين ، ثم أضيفت صفة العدالة على الصحابي أي صحابي ، وبما أن المرجع الشرعي عادل ولا يجوز عليه الكذب ، وبما أن الصحابي عادل ولا يجوز عليه الكذب وهو من

أهل الجنة ، فمعنى ذلك أن الحاكم الأموي عادل ومؤهل ليكون المرجع الشرعي لأمة محمد ، وهذا هو مفتاح سير الأحداث .

لو جاءت النظرية عن طريق غير الحاكمين لفشلت

لو نادى بنظرية عدالة كل الصحابة أشخاص عاديون لفشلت تماماً ، لكن نادى بها صحابة بتأييد مادي ومعنوي من الحكام ، حيث خصصوا جعلاً لمن يضع الأحاديث للطعن بالمرجعية الشرعية بعد وفاة النبي ، وقربوا القائلين بنظرية عدالة كل الصحابة ، وبذلوا لهم المال والجاه ، وسخروا كل وسائل إعلام الدولة للترويج لهذه النظرية . ومن الطبيعي أن لا تخفى هذه الأساليب على ذوي البصيرة من الصحابة الكرام ، لكن أياديهم مغلولة والأمة متفرقة مغلوبة على أمرها ، فاستنكرها كبار الصحابة بالقول والفعل ، لكن هذا الإستنكار كان يموت لحظة ولادته في زوايا البيوت ، بينما كان تأييد هذه النظرية يعمم بكل وسائل الإعلام بدعم الدولة نفسها . فعمليات التنقيص من ولي الأمة ومرجعها الشرعي ولعنه وشتمه كانت أموراً يومية تمارسها الأمة بقوة السلاح ، وعنفاً عن إرادتها ، ومن يعارض ذلك فمصيره مصير حجر بن عدى ، وهو القتل وحرمانه من العطايا الشهرية أو لقمة العيش . وبنفس الوقت كانت عملية إيجاد المرجعية البديلة تشق طريقها بريح ملائمة.

المرجعية البديلة أصبحت شرعية

مات جيل الصحابة الكرام ، ومات التابعون الصادقون ، وماتت المعارضة المعاصرة لهم ، واختفت حجة هؤلاء جميعاً ، ولم يبق منها إلا النزر اليسير ، وبقيت كافة المعلومات الضرورية لإضفاء الشرعية على المرجعية المزيفة

والبديلة موجودة بكامل تفاصيلها ، لأنها جزء من وثائق الدولة المحفوظة ، وبالتالي أصبحت شرعية حقيقية من حيث الظاهر بعد أن مات كل الذين يعرفون الحقيقة ، وأخفيت حجتهم ومعارضتهم ولم يبق منها إلا اليسير ، فاعتقد اللاحقون أن المرجعية الشرعية التي أمر الله بها وأوجدها هي عينها التي نقلت إليهم عن طريق الدولة من أسلافهم ، فأصبحت معارضة هذه النظرية معارضة للدين نفسه لا معارضة للذين أوجدوها ! وأصبحت تقليداً لا تقبل المناقشة ، ومن يناقشها أو يعارضها أو ينتقص من الذين وضعوها فهو زنديق لا يؤاكل ولا يشارب... الخ! ولأن الشيعة بزعامة أهل البيت يعارضون ذلك ولا يقبلون به ، فمن الطبيعي أن تصب عليهم كل اللعنات ، وأن يصوروا كأنهم أعداء للدين وكفار مجرمون . وهذا ما استقر بذهن العامة وبذهن العلماء الذين تخرجوا من جامعات هذه النظرية ، ورووا التاريخ من خلالها !

الحل

إنه لا بديل عن الصبر ، ولا بديل عن الإقتداء بمحمد ﷺ فقد قاومه الناس ولم يركع ، بل استطاع بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأساليب الشرعية ، وبالحجة القاطعة والبراهين الساطعة أن يهتك حجب التقليد ، ويزيح عن وجه الحقيقة ما علق بها حتى اقتنع الناس في النهاية . وتلك هي الوسيلة الوحيدة أمام عشاق الحقيقة الشرعية .

في غياب المرجعية الشرعية

انقسم الناس إلى شيع وأحزاب متنافرة متعارضة ، كل حزب يدعي أنه على الحق وأن غيره على الباطل ، وهم جميعاً يعلمون أن الأمة في غياب المرجعية الشرعية ستتنقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وهم يعلمون

أنه لا يوجد إلا حق واحد ، وهو الذي تسير عليه هذه الفرقة الناجية ، والفرقة الناجية هي التي تتبع المرجعية الشرعية ، وهذا الإنقسام كان واحداً من المبررات التي وجدت من أجلها نظرية عدالة كل الصحابة .

الإنقسام الفقهي

في غياب المرجعية المخصصة لبيان المقصود الشرعي من النص وتكييف النص على الوقائع ، انقسم المسلمون إلى عشرات الشيع والأحزاب الفقهية ، والتي تحمل في ثناياها طابعاً سياسياً بالضرورة ، وتمركزت بخمسة قوى:

- ١ - مذهب أهل البيت: وهو أول المذاهب الإسلامية وأصلها ، وهو مذهب الفئة الناجية كما سنثبت ، وأطلق عليه المذهب الجعفري نسبة إلى جعفر الصادق.
- ٢ - المذهب الحنفي: نسبة إلى أبي حنيفة ، وقد أخذ عن الإمام جعفر ثم انفرد بمذهب خاص .
- ٣ - المذهب المالكي: نسبة إلى مالك ، وأخذ عن أبي حنيفة وانفرد بمذهبه أيضاً .
- ٤ - المذهب الشافعي: نسبة إلى الشافعي ، وقد أخذ عن مالك وانفرد بمذهبه .
- ٥ - المذهب الحنبلي: نسبة إلى أحمد ، وأخذ عن الشافعي وانفرد بمذهبه . وأنت تلاحظ أن الإمام جعفر الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة وهم يفخرون بذلك . بينما يعتبر العوام أن أتباع المذهب الجعفري على الضلال ، وأن العوام على الصواب .

جذور مطاردة أهل البيت

تمت مطاردة أهل البيت الطاهرين طوال التاريخ السياسي الإسلامي لغايات:

١. إصرار المطاردين - بكسر الراء - على إجبار أهل البيت للتخلي عن

خصوصيتهم التي خصهم الله بها من دون المسلمين .

٢. وبنفس الوقت تأويل هذه الخصوصية وإخراجها عن معانيها ووظائفها .
٣. إيجاد خصوصيات وضعية منافسة للخصوصية الإلهية لسلب معاني ووظائف خصوصية أهل البيت .
٤. نظرية عدالة كل الصحابة جاءت كخصوصية وضعية أريد منها أن تقوم بسلب خصوصية أهل البيت الكرام .
٥. ولو أن أهل البيت الكرام عطلوا خصوصيتهم وقبلوا الأمر الواقع فإنهم لن يتركوا وهم بحالة مطاردة مستمرة . لماذا ؟
٦. لأن السلطة فاتنة جميلة تزوجها الحكام بالإكراه وسلبوها من زوجها الشرعي ، فملكوا الجسد أما قلب الزوجة وروحها فمع زوجها الشرعي ، فهي تحلم به علناً وهي بقبضة الحكام ، فثبت في قلوب الحكام طوال التاريخ غيرة مجنونة وقادتهم هذه الغيرة إلى أفاعيل مخزية !

خصوصية القرابة الطاهرة

البطن الهاشمي خير بطون الناس عامة ، وخير بطون العرب خاصة بالنص الشرعي . وبيت عبد المطلب هو أيضاً خير بيوت الناس عامة ، وخير بيوت العرب خاصة بالنص الشرعي أيضاً^(١) وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي .^(٢)

وآل محمد هم أفضل الآل ، وقد افترض الله مودتهم بالكتاب ، وجعل الصلاة عليهم ركناً من أركان الصلاة ، وهذا معنى قول الشافعي:

يا أهل بيت نبي الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

(١) سيرة ابن كثير: ١٩٣/١، والطبقات لابن سعد ، وكنز العمال عن الحاكم والبيهقي والطبراني وابن عساکر.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد: ٧٥/١.

كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(١)
 وأهل بيت محمد هم عقل هذه الأمة ، وهم الشجرة التي يتداوى بها ، وهم
 العترة (وعترة الرجل هم نسله ورهطه الأقربون)^(٢) وقد طهر الله أهل بيت نبيه
 وأذهب عنهم الرجس ، وآية التطهير لا تخفى على أي مسلم ، وبفضل الله عليهم
 وجهادهم في سبيل الله تقدموا على ما سواهم ، فهم المرجعية الشرعية للمسلمين
 وللدن ، ومنهم القيادة السياسية ، وهذا مجد لا يضاهيه مجد ، وشرف يقصر عنه
 كل شرف ، وخصوصية لآل محمد ﷺ .

ما هي الغاية من هذه الخصوصية ؟

الغاية الشرعية من خصوصية القرابة حقيقة أنها تشريف ، ولكنها بجوهرها
 تكليف لها معنى ولها وظائف . فمعناها أنها نقطة ارتكاز للمسلمين ، فبهم تكتمل
 الدائرة ويتحدد مركزها ، فيستقطبون الأمة كلما تفرقت ، فتقدم لهم الحل
 بالتأشير على نقطة الإرتكاز الإلهية فلا يذهبون للشرق ولا للغرب ، ولا للشمال
 ولا للجنوب ، إنما يذهبون للقرابة الطاهرة ، ويتجمعون حولها فتجمعهم ، وهي
 بنفس الوقت مرجعية للدين ومرجعية للمسلمين ، تبين الدين للمسلمين ولغير
 المسلمين ، ثم تقدم الفهم الأمثل ، الموافق تماماً للمقصود الإلهي .

وظائف القرابة الطاهرة

فوظائف القرابة الطاهرة أنها: ١ - نقطة ارتكاز واستقطاب . ٢ - مرجعية للدين
 لبيان للناس عامة وللمسلمين خاصة . ٣ - ثقل أصغر ، والقرآن هو الثقل الأكبر ،

(١) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر المكي ٨٨/ ، والنبهاني ٩٩/ في الشرف المؤيد وأرسلها الشافعي إرسال
 المسلمات كما يقول الإمام شرف الدين .

(٢) مختارات الصحاح ٣١/ و ١٨٥ و ٧٠ و ٤١٠/ والمعجم الوسيط ١/ ٢١: ٥٨٨ .

والهداية لا تدرك إلا بالثقلين ، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً . فلو تمسكت الأمة بالقرآن الكريم وحده وتركت العترة الطاهرة فستضل حتماً . لأن القرآن هو الدواء والعترة هي الطبيب ، والطب عملية اختصاصية .^(١) ٤ - قيادة سياسية للأمة ، فعند ما تكون القيادة السياسية بعترة محمد تطيب نفوسهم جميعاً بها لأنها الحل الجذري الذي يقطع دابر الخلاف ، ويميت الطمع والتنافس عليها ، ويحقق الاستقرار ، وقد تكفل الشرع ببيان لمن تكون هذه القيادة ، وكيف تنتقل .

لماذا أعطيت القرابة الطاهرة هذه الخصوصية ؟

لماذا اختار الله محمداً للرسالة ولم يختار أبا سفيان؟ هذا فضل الله يؤتيه من يشاء . لماذا فضل الله بعض النبيين على بعض؟ هذا فضل الله . لماذا اختار محمداً من بني هاشم ولم يختره من بني عدي أو بني تيم أو بني أمية؟ هو الذي بيده الفضل يؤتي فضله من يشاء . ولكن باستقراءنا العميق لتاريخ الإسلام يمكن أن نجد بعض التعليقات لهذا الاختيار .

تعليقات

- ١ - لقد بين الله سبحانه وتعالى أن قرابة محمد هم خير الناس وأفضلهم ، ومن مصلحة العباد أن يقودهم الأفضل والأحسن . وقد وثقنا هذه الناحية قبل قليل .
- ٢ - الإنذار الصادر عن بني هاشم والموجه لبطون قريش كلها عند ما همت

(١) راجع: ٤٤/١ من كثر العمال ، وقد نقله عن النسائي والترمذي عن جابر عن رسول الله . وأخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم ، وأحمد من حديث زيد بطريقتين صحيحين في أول ١٨٢/ وفي آخر: ١٨٩/٥ من مسنده ، وعن ابن أبي شيبه وأبي يعلى وابن سعد عن أبي سعيد ، والحاكم في مستدركه: ١٤٨/٣ وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه . والذهبي معترفاً بصحته على شرط الشيخين . راجع تلخيص المستدرک للذهبي .

بقتل محمد ، إذ أنذرهم أبو طالب قائلاً: « والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى وإياكم» وأثبت لهم أنه قد هم بقتل زعماء قريش عند ما أشيع بأن محمداً قد قتل !

٣- إن كل بطون قريش قررت مقاطعة بني هاشم ، وكتبوا كتاباً بأن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم . وحصروهم في شعاب أبي طالب ثلاث سنوات ، وانحاز بنو عبد المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه ، وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، وسمعت أصوات صبيانهم من وراء الشعب ، ولقريش مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمداً لقريش لقتله ، أو يخلي الهاشميون بين قريش وبين محمد ، لكن الهاشميين أبوا ذلك ودافعوا عن محمد بأرواحهم وأموالهم وأولادهم واستقروا بهم .

٤- فشل الحصار فاضطرت قريش خوفاً من القرابة الطاهرة أن تختار من كل قبيلة رجلاً اشترك بقتل محمد ويضيع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، وتحرك مندوبوا القبائل فعلاً ليقتلوا النبي ، ولكن الله نجاه .

٥- والقرابة الطاهرة في الجاهلية ناصية قريش ولا تقطع الأمور دون مشورتهم .

٦- وهم وسيلة النجاة بالنص الشرعي ، وهم الأمان بالنص الشرعي .
لهذه الأسباب مجتمعة ومنفردة بعد الفضل الإلهي أعطيت القرابة الطاهرة هذه الخصوصية بالإضافة إلى الإعداد الرباني لعمداتهم من الناحية العملية والتربوية .

تحولت هذه الخصوصية إلى حجة سياسية طوال التاريخ

قال الصديق مخاطباً الأنصار: «الناس تبع لنا ، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ»^(١)
وقال الفاروق مخاطباً الأنصار: «إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم .. لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة » وقال بشير بن سعد مخاطباً الأنصار ومعقباً على قول الفاروق والصديق: «إن محمداً رسول الله ﷺ رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم» .

فسلم الأنصار وقالوا: لا نبايع إلا علياً ، وعلي غائب مشغول وأهل البيت بمصائبهم . وبايعت الأكثرية الحاضرة في سقيفة بني ساعدة أبا بكر وخرج كخليفة وخرج عمر كنائب للخليفة ، وخرج أبو عبيدة كنائب ثان للخليفة ، وخرج الذين بايعوه كجيش للخليفة . وفوجئ الإمام علي بما جرى ، وطلب منه نائب الخليفة وولي عهده عمر بن الخطاب أن يبايع أبا بكر كخليفة للمسلمين ، فقال علي مخاطباً أبا بكر وعمر «أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ؟ أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٨٤.

(٢) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٨٤.

(٣) راجع تاريخ الطبري: ٣/١٩٧-١٩٨ .

(٤) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٢٠ وما فوق .

كان محمد منكم ، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة . وأنا احتج عليكم بمثل ما احتجتم به على الأنصار . نحن أولى برسول الله حياً وميتاً ، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال له عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع ! فقال له علي: إحلب حلباً له شطره ، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً .

الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به ، لأننا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر ما كان فينا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية . والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى ففضلوا عن سبيل الله فتزادوا من الحق بعداً » فقال بشير بن سعد الأنصاري: « لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»^(١)

ولما ماتت فاطمة عليها السلام أرسل علي إلى أبي بكر أن أقبل إلينا ، فأقبل أبو بكر حتى دخل على علي وعنده بنو هاشم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « أما بعد يا أبا بكر ، فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكاراً لفضيلتك ولانفاسة عليك ، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً ، فاستبددت به علينا ، ثم ذكر قرابته من رسول الله ، فلم يزل يذكر حتى بكى أبوبكر . فقال أبوبكر: لقرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي»^(٢)

أتى المغيرة بن شعبة فقال: « الرأي يا أبا بكر أن تلقوا العباس فتجعلوا له في هذه الإمرة نصيباً ، وتكون لكما الحجة على علي وبني هاشم » فانطلق أبوبكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة إلى العباس ، ومما قاله أبو بكر للعباس: « وقد جئناك

(١) راجع الإمامة والسياسة / ١١-١٢ .

(٢) راجع الإمامة والسياسة / ١٤-١٦ .

ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً.. الى أن قال: على رسلكم يا بني عبد المطلب فإن رسول الله منا ومنكم ، فأجابه العباس على كل النقاط التي أثارها إلى أن قال: وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم فإنه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها» .

وقد آلت الأمور إلى عمر لأن أبا بكر أوصى له ، ولأنه من قريش عشيرة النبي ثم آلت إلى عثمان لنفس الأسباب ، فقد أوصى له عمر عملياً ، ولأنه من قريش ، وآلت الأمور إلى علي لأنه الولي ولأن الناس بايعوه ، كذلك الحسن عليه السلام ، وعند ما غضب معاوية الأمر بالقوة كان من مبررات حكمه أنه من قريش ومن أقارب النبي فهاشم وعبد شمس إخوة ، فسندّه الظاهري القريب والغصب ، وهكذا سند الحكم الأموي كله . وجاء بنو العباس وقد تسلحوا بالقراية ، وضربوا على وتر الآلام التي لحقت بأهل البيت كمقتل الأئمة علي والحسن والحسين والذرية الطاهرة ، ثم تسلّموا بالقوة فغلبوا وحكموا . فالحكم من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وحتى سقوط آخر خلفاء بني العباس ، قام في جانب منه على قاعدة أن الأئمة من قريش لأنهم قرابة النبي صلى الله عليه وآله ، وأنت تلاحظ أن القرابة من النبي يحرم منها أهل البيت ، ويستفيد منها الأبعدون .

معاملة الحكام للقرابة الطاهرة من الناحية السياسية

مشى عمر بن الخطاب في جماعة وأخرجوا علياً غير عابئين ببيكاء فاطمة الزهراء وجاء به إلى أبي بكر فقالوا له: « بايع ، فقال علي: إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا نضرب عنقك ! قال علي: تقتلون عبد الله وأخا رسوله ؟ فقال عمر للخليفة أبي بكر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال أبو بكر: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه ، فلحق بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي: ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني

وَكَاذُوا يَقْتُلُونَنِي ! وناذت فاطمة بأعلى صوتها: يا أبت ، يا رسول الله ، ماذا لقينا بعدك من الخطأ وابن أبي قحافة» . «وتخلف قوم عن بيعة أبي بكر وكانوا في بيت علي فبعث أبو بكر إليهم عمر فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقن الدار على من فيها! فقيل: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة ! فقال: وإن»^(١) وخرجوا ولم يحرق الفاروق بيت فاطمة وماتت فاطمة ودفنت ليلاً ، لأنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر ، وبعد موتها بايع علي أبا بكر .

وأوصى أبو بكر لعمر وخلال حياتهما كانا يقدمان أهل البيت عند توزيع العطايا . فقد بدأ عمر بمحمد وآله ، ثم أبو بكر وآله ، ثم عمر وآله ، كما يروى البلاذري في فتوح البلدان ، وكانا يستشيران الإمام علي ويرجعان إليه^(٢) وعصر أبي بكر وعمر في جانب من جوانبه ، عصر ذهبي لأهل البيت ! وجاء الأمويون فحاربوا علياً وسموا الحسن وقتلوا الحسين ، وأبادوا إبادة كاملة من حضر معه من أهل البيت ، ومنعوه من أن يشربوا من ماء الفرات ، وصبوا كل غضبهم على من يحب أهل بيت محمد ! فبعد أن استولى معاوية على الحكم كتب إلى جميع عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابريهم ، كما يقول العقاد في ميزانه / ١٦ ! ولم يقف الأمر عند ذلك ، بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم علي ، كما يروي ابن عساكر (٤٠٧ / ٣) وبالتالي فلم يجيزوا

(١) الإمامة والسياسة / ١٢ ، والعقد الفريد: ٤ / ٢٥٩ و ٢٦٠ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ١٣٤ و ١٩ / ٢ ، والطبري: ٣ / ٢٠٢ وأنساب الأشراف للبلاذري: ١ / ٥٨٦ ، وملحق المراجعات تحقيق حسين راضي / ٢٦١ .

(٢) راجع الاستيعاب بهامش الإصابة: ٣ / ٣٩ . وذخائر العقبى / ٨١ و ٨٢ ، وتذكرة الخواص للجوزي الحنفي / ١٤٤ - ١٤٨ ، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي / ١٩٢ ، والمناقب للخوارزمي / ٣٨ .. إلخ .

لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة ، ومحووا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءه ورزقه .^(١)

وجاء بعدهم العباسيون . وها هو المنصور في ثورة غضبه يقول وقد عزم على قتل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: « قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون ، وتركت سيدهم ومولاهم جعفر بن محمد » .^(٢) ثم قال مشافهة للإمام الصادق: « لأقتلك ولأقتلن أهلك حتى لا أبقى على الأرض منك قامة سيف ، ولأضربن المدينة حتى لا أترك فيها جداراً قائماً »^(٣) ويقول الطبري في تاريخه إن المنصور هذا « ترك خزانة رؤوس ميراثاً لولده المهدي كلها من العلويين ، وقد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه ، ومن بينها رؤوس شيوخ وشبان وأطفال »^(٤) والمنصور هو الذي كان يضع العلويين في الأسطوانات ويسمرهم في الحيطان كما ذكر اليعقوبي في تاريخه ويتركهم يموتون في المطبق جوعاً ، وتقتلهم الروائح الكريهة حتى لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضرورة ! وكان يموت أحدهم ويترك حتى يبلى من غير دفن ، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم أحياء وهم في أغلالهم »^(٥)

كتب المنصور يوماً إلى الإمام الصادق عليه السلام: « لم لا تغشاني كما تغشاني الناس ؟ فأجابه الصادق: ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما

(١) راجع معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس العقاد/١٦ ، وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية/١٨٠ .

(٢) رسائل أبي بكر الخوارزمي/١٧٨ .

(٣) الحياة السياسية للإمام الرضا/٨٧ .

(٤) راجع مناقب ابن شهر آشوب: ٣/٣٥٧ ، والبحار: ٤٧/١٧٨ .

(٥) راجع تاريخ الطبري: ١٠/٤٤٦ وراجع النزاع والتخاصم للمقريزي/٥٢ .

نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنيك ولا تراها نعمة فنغزيك ، فما نصنع عندك؟ فكتب المنصور إليه: تصحبنا لتصحنا . فأجابه الإمام: من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك»^(١) وأما الرشيد فأقسم على استئصالهم وكل من تشيع لهم ، واشتهر عنه قوله: «حتّى مَ أصبر على آل بني أبي طالب ! والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأملقن ولأملغن»^(٢) وكان شديد الوطأة على العلويين يتبع خطواتهم ويقتلهم .^(٣) ويقول أبو بكر الخوارزمي: «والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس الإمامة»^(٤)

نوعا القرابة

- ١ - القرابة القريبة لمحمد ﷺ هم فاطمة وعلي وحسن وحسين ونسلهم ، هؤلاء لاحقتهم خصوصية القرابة وجرت عليه كل الويلات والمآسي ! وتلك مكافأة على موقف أبي طالب نحو الإسلام ونبي الإسلام ، وعلى موقف علي في حروب الإسلام مع أعدائه ، فعليهم الغرم كله والغنم لسواهم .
- ٢ - أما القرابة البعيدة من رسول الله ، فقد حكموا لأنهم من عائلة النبي (قريش) فأخذوا الغنم كله ، وخصوا القرابة القريبة بالغرم كله .

عزل العترة الطاهرة وتأويل الخصوصية

النتيجة المنطقية أن عزل الإمام بعد وفاة فاطمة ، وتجلت رغبة عزل الإمام عن بني هاشم بمحاولة اجتذاب العباس إلى السلطه وإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه .

(١) العقد الفريد: ٨٠/٢ وكشف الغمة في أموال الصادق لابن حمدون: ٢٠٨/٢ .

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا/ ٨٨ .

(٣) الأغاني للأصفهاني: ٢٢٥/٥ .

(٤) معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس للعقاد/ ١٦ ، وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية/ ١٨٠ .

لكن العباس رفض ذلك . ومع الأيام عزلت القرابة القريبة الطاهرة عن بني هاشم وعن آل البيت وعن الناس ، لأن الشخص العادي إذا أُجبر أن يختار بين السلطة وبين خصومها فإنه سيختار السلطة لأنها هي الجانب القوي المالك لزمّام الأمور . فكانت أغلبية الأمة مع الحكام وأقليتها مع أهل البيت ، أو كما عبّر الفرزدق الشاعر للحسين: القلوب مع أهل البيت والسيوف عليهم ومع أعدائهم !

فعمرو بن سعد بن أبي وقاص الذي قاد جيش الخليفة ضد الحسين وأهل البيت في كربلاء صَلَّى الصبح وقال: اللهم صل على محمد وآل محمد ، وبعد أن أنهى الصلاة قام بقتل الموجودين من أهل بيت محمد ! ولم يكتف بقتلهم بل قطع رؤوسهم كلهم ، كما يجمع على ذلك ثقات المؤرخين ، وسلبوا أهل البيت حتى لباسهم وهم أموات ! وتحركت الخيول فوطئت جثة الحسين وجثة من معه من أهل البيت تقرباً إلى ابن زياد وإلى يزيد بن معاوية ! والله في خلقه شؤون ، وتلك ثمرة من ثمرات المقولة : لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك .

ولأن ما ثبته الله لن يهزه البشر ، وما وضعه الخالق لن يغيره المخلوق ، أدرك الحكام أن خصوصية أهل البيت عليهم السلام لن تتغير مهما فعلوا بهم ، فالصلاة عليهم مفروضة وطهارتهم ثابتة في القرآن ، وولايتهم على الأمة ثابتة ، والنصوص بفضلهم آخذة بالأعناق ، وحتى لو تمَّ إبادتهم إبادة تامة ، فإن هذه الخصوصية ستبقى شبحاً يلاحق الحكام ليلاً نهاراً ! ومن هنا لا بديل عندهم من تأويل هذه الخصوصية .



الآمال التي علقت على نظرية عدالة الصحابة

الذين اخترعوا هذه النظرية علقوا عليها الآمال التالية:

- ١ . تأويل خصوصية أهل بيت النبوة تأويلاً يفرغها من مضمونها ووظيفتها
- ٢ . إيجاد خصوصية بديلة تنافسها وتتيح للحكام القيام بوظائف أهل البيت.
- ٣ . خلق الشبهات وإيجاد حالة الحيرة والشك لتفريق المحكومين وإشغالهم عن الحكام بخلافات جانبية ، تحول إلى خلافات عميقة ودائمة في الأمة .

التقابل بالصفات

أهل البيت الكرام أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ومنهم بكل الموازين: فاطمة وعلي وحسن وحسين على الأقل . لقد طهر الله هؤلاء وبشرهم في الجنة قبل أن يبشر المبشرين في الجنة ، وهم سادات أهل الجنة بالنص^(١) .
وغني عن البيان أنهم عدول ، لأن من ملك الأكثر ملك الأقل ، ومن حاز الدائرة حاز ما في ضمنها . أجلاء الصحابة الذين أخلصوا لله قوم مكرمون عدلهم الله ، ولكن الذين حكموا ليسوا من أجلاء الصحابة ، بل هم في غالبهم طلقاء أسلموا بعد أن أحيط بهم ، ولا يوجد طريقة في الدنيا يمكن أن تجعلهم في مرتبة أهل البيت إلا نظرية عدالة كل الصحابة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي ، فهي

(١) يمكنك الرجوع إلى: ٩٣/١٢ وما فوق من كنز العمال ، فقد روى عن أكثر أهل الحديث .

تساوي بين من أسلم من قبل الفتح وقاتل ، وبين من أسلم بعد الفتح . تساوي بين القاتل والمقتول ، والمحاصر والمحاصر ، وبين المهاجر والطيّق ، وبين المؤمن والمنافق ، وتعطيهم جميعاً نفس الصفة (العدالة) !

فعلي بن أبي طالب من أهل البيت وصحابي ، ومعاوية بن أبي سفيان صحابي . هذا عادل وهذا عادل ، هذا مجتهد وهذا مجتهد ، هذا في الجنة وهذا في الجنة ، وكلاهما منزّه عن الكذب . علي أول من أسلم ، وولي الله بالنص ، وحامل لواء النبي في كل معاركه ، وبطل الإسلام في كل مواقعه ، هو تماماً كمعاوية الذي حارب وأبوه الإسلام في كل المواقع ، وأسلماً بعد ما أحيط بهما !

العدالة الوضعية ترفض هذا التكييف ، ومن باب أولى أن ترفضه عدالة السماء الله فرق بين الإثنين ، ونبيه ﷺ فرق بينهما ، والأعمال فرقتهما ، فمن أمرنا بمساواتهما؟ وما هو الدليل عليه غير نظرية عدالة الصحابة؟ تلك النظرية التي وجدت أصلاً للقضاء على الفوارق بين المتقدمين والمتأخرين ، بين المجاهدين والقاعدين ، بين الأولين والآخريين . فما وجدت نظرية عدالة الصحابة وما خلعت صفة العدالة على الجميع إلا لغايات منافسة العدالة للطهارة التي اختص الله بها أهل بيت نبيه ﷺ .

مثال من الواقع

عليّ عميد أهل البيت بالنص ، وولي الأمة بالنص ، وأول من أسلم بالنص ، ومجاراة للذين يكرهون أن يكون الأول هو ثاني من أسلم بالنص ، والحق معه يدور حيث دار بالنص ، وموالاته موالاته لله بالنص ، ومعاداته معاداته لله بالنص ، وهو صحابي باعتراف كل الذين أسسوا نظرية عدالة الصحابة ، وهو مبشر بالجنة . فإذا كان علي صحابياً ، فلماذا فرضتم لعنه فوق كل المنابر وفي كل الأمصار

الإسلامية ؟ ولماذا لعنتموه وشتتموه فعلاً ؟ أستم أنتم الذين حددتم عقوبة من يشتم الصحابي فقلتم: إنه زنديق، لا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه ؟ أم أن عدالة كل الصحابة تعمل لصالح الجميع إلا لصالح علي وأهل بيته؟ حيث تعطل عندهم ولا تعمل ولا تُخلع عليهم صفة العدالة ؟

مثال آخر من الواقع

الحسن بن علي والحسين بن علي سيدا شباب أهل الجنة ، وريحاننا النبي من هذه الأمة ، وهما ابنا رسول الله بالنص ، فقد جعل الله ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذرية النبي من صلب علي ، وهما صحابيان ، ومن العدول لأنهما صحابيان ومن غير الجائز الإنتقاص من صحابي أو شتمه أو طعنه ، ومن يفعل ذلك فهو زنديق لا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه... إلخ .

فما بالكم بمن سَمُّوا الصحابي الحسن بن علي؟ وما هو حكمكم بمن قتل الحسين وحرّم عليه وعلى أهل بيته أن يشربوا من ماء الفرات ، وهو حلال للوحش والطيور والحيوان وحتى للكلاب ؟ ألا يعتبر القتل انتقاصاً ؟

ما رأيكم بمن يقتل ذرية محمد كلها ويسلبها متاعها وهي ميتة ، ويسبي نساءهم ، وهم من الصحابة !؟

تساؤل واستغراب

الذين سموا الحسن صحابة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي، والذين قتلوا علياً صحابة ، والذين قتلوا الحسين صحابة ، والذين أبادوا ذرية النبي في كربلاء صحابة والذين لعنوا علياً وشتّموه ومن والاه صحابة ، والذين لم يقبلوا شهادة من يحب علياً صحابة . الحسن بن علي المسموم من العدول ، لأنه من الصحابة ،

والذين سموه عدول لأنهم من الصحابة ، والحسين بن علي من العدول لأنه صحابي ، والذين قتلوه من العدول لأنهم من الصحابة ، وذرية محمد التي قتلت في كربلاء عدول لأنهم صحابة، والذين قتلوهم عدول لأنهم صحابة .
السَّامُّ (الذي ارتكب جريمة القتل بالسم) ، والمسموم وهو الضحية ، كلاهما في الجنة لأنهما صحابة وعدول ، والقاتل والمقتول في الجنة ومن العدول ، والسالب والمسلوب في الجنة ومن العدول . هذه المساواة تشكل استهتاراً بالعقل البشري ومظهراً من مظاهر العبودية المخجلة للتقليد !

أدت الرسالة

نظرية عدالة الصحابة أدت الرسالة تماماً ! فعلي كعاقبة ، فكلاهما صحابي وهما من العدول ، وكلاهما في الجنة وكلاهما على الحق ، والمنتصر منهما هو ولي الأمة ، والعام الذي انتصر أحدهما على الآخر هو عام الجماعة !

التقابل بالحماية

من آذى أهل البيت فقد آذى النبي ، ويقابلها من آذى صحابياً فقد آذى النبي ومن أبغض أهل بيت محمد فهو في النار ، ومن أبغض صحابياً على الإطلاق فهو في النار . وزيادة على الحماية المخصصة لأهل البيت ، فمن انتقص صحابياً فهو زنديق ويجب أن يعزل فلا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه ، إنما ينبذ كجيفة ميتة! فنظرية عدالة الصحابة أعطت الصحابة الحماية المقررة لأهل البيت وزيادة !

في مجال البيان

القرآن هو الثقل الأكبر ، وأهل بيت محمد هم الثقل الأصغر ، والهداية لا تدرك إلا بالتمسك بالثقلين ، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهما . هذا بالنص الشرعي القاطع وأهل البيت هم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها

غرق بالنص الشرعي القاطع . وهم باب حطة من دخله غفر له بالنص الشرعي القاطع . وهم أمان لهذه الأمة . النجوم أمان لأهل الأرض ، وأهل بيته ﷺ أمان لأمته من الاختلاف ، بالنص الشرعي القاطع ، والأمة بدونهم كالحمار إذا كسر صلبه ! وعميدهم يبين للناس ما اختلفوا فيه من بعد وفاة النبي بالنص الشرعي .^(١)

أمثلة ما تعطيه النظرية لكل الصحابة

(مثل أصحابي في أمتي كالمح في الطعام ، فلا يصلح الطعام إلا بالملح) ! ورد هذا الحديث في الإستيعاب على هامش الإصابة في تمييز الصحابة (١ / ٧) . وانظر إلى الحديث رقم ٣٣٧٩٢ (٢٢ / ١٢) من كنز العمال حيث جاء فيه بالحرف: «قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم، ولا يعطى إلا عليهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح» ! نقله عن ابن عدي في الكامل عن عائشة. وانظر الحديث ٣٣٨٠٧ (٢٥ / ١٢): «أمان لأهل الأرض من الغرق القريش ، وأمان الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش ، قريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب صاروا حزب إبليس»! وروى الترمذي وابن حبان كما ذكر ابن حجر في الإصابة ١٩/ ، أن الرسول ﷺ قال: (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) .^(٢)

نصوص للتدبر

أ - قال ﷺ: « يا علي من فارقتني فقد فارقت الله ، ومن فارقتك فقد فارقتني » .^(٣)

(١) ستاتي توثيقات إضافية لذلك في باب المرجعية والقيادة السياسية .

(٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٩/ .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣/ ١٢٤ ، وصححه على طريق الشيخين .

وقال: «من آذى علياً فقد آذاني»^(١)

وقال: «من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني»^(٢)

وقال لعلي مرة: «حبيبي حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو

الله ، والويل لمن أبغضك بعدي»

وقال: «طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك»^(٦)

وقال: «أوصى من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد

تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ،

ومن أبغضه أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله»^(٣).

ب - قال ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي

من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب

إبليس»^(٤) وانظر إلى قوله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»^(٥)

تساؤلات

ماذا يكون الموقف لو أن صحابياً أبغض علياً أو آذاه ، أو أن علياً أبغض

صحابياً أو آذاه فمن نتبع ومن هو المحق ومن هو المبطل؟ ماذا يكون الموقف لو

أن قريشاً قالت: نحن أمان لهذه الأمة ، وقال أهل البيت: نحن أمان لهذه الأمة،

فمن نصدق؟ ماذا يكون الموقف لو أن قسماً من الأمة اتبعوا قريشاً ، وقسماً آخر

(١) أخرجه الحاكم في: ١٣٠/٣ ، من المستدرک .

(٢) أخرجه الحاكم في: ١٣٠/٣ ، من المستدرک .

(٣) راجع الحديث ١٥٥:٦/٢٥٧٦ من الكنز ، وأخرجه الطبراني .

(٤) سأوثق ذلك في باب القيادة السياسية .

(٥) سأوثق ذلك في باب القيادة السياسية .

اتبعوا أهل البيت ؟ وكل فريق زعم أنه على الحق ، فمن الذي على الحق في الحق والحقيقة ؟

أنظر إلى الحديث المكذوب على رسول الله ﷺ وهو: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . الذي يقول ابن تيمية فيه: « وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه » ! فلو أن مجموعة من الصحابة وقفوا مع علي ، ومجموعة أخرى وقفوا مع معاوية ، ومجموعة ثالثة اعتزلت الفريقين ، ومجموعة رابعة تربصت لترى من يغلب فتقف معه ، فهل يعقل شرعاً وعقلاً أن من يتبع أي مجموعة من هذه المجموعات الأربعة هو محق ؟ فمن يكون المبطل إذاً ؟!

ماذا يكون الموقف لو أن صحابياً قال: إن الحق عندي هنا في الشرق ، وبنفس الوقت قال صحابي آخر: إن الحق عندي في الغرب ، ثم قال ثالث: إن الحق عندي هنا في الشمال ، وقال رابع: إن الحق عندي هنا في الجنوب ، وقال خامس: إن الحق عندي هنا في زاوية ٤٥ شمال... الخ. وانقسمت الأمة ٧٣ فرقة كما أخبرنا النبي وبيد كل فرقة ذريعة ، فهل يعقل بالشرع والعقل أن يكونوا كلهم على الحق ؟ إنه لا يوجد إلا حق واحد ! وإن الفرقة جريمة والوحدة قربة من الله ، فهل يعقل أن يفرق النبي أمته ؟!

تلقين الحجة بالواسطة

قال النبي لعلي: « أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي »^(١) وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم: « إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول: النص ، والثاني: فتوى الصحابة ، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص الكتاب بعمل الصحابي ، لأن الصحابي العالم لا يترك العمل

(١) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ، وأورده أبو نعيم في حلية الأولياء .

بعموم الكتاب إلا للدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص ، وقوله بمنزلة عمله»^(١) لاحظ: (وقوله بمنزلة عمله) ! فقول الصحابي يُخصص عموم القرآن ويقيده مطلقاته ، كأنه وحياً من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! إن نظرية عدالة الصحابة أعطت الصحابة ما لم يعطه الشرع لأئمة أهل البيت !

قال ابن خلدون: «إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان مختصاً بالحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهة ومحكمه ، وسائر أدلته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب ، لأن العرب كانوا أمة أمية ، فاخص من كان قارئاً للكتاب بهذا الإسم لقربته يومئذ ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة » . وعن محمد بن أبي سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: « كان الذين يفتون على عهد رسول الله ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة نفر من الأنصار: عمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت » . وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه: « أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد مشاورة أهل الرأي دعا رجلاً من المهاجرين والأنصار ، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، فمضى أبو بكر على ذلك ، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر » .^(٢)

(١) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدواليبي .

(٢) راجع طبقات ابن سعد: ١٦٨/٤ ، وآراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم / ٥٠ وما فوق .

التوسعة في التفقة

أنت تلاحظ أن نظرية عدالة كل الصحابة نسفت كل الأعراف التي اعتمدت زمن أبي بكر وعمر ، وخرجت عن كل المفاهيم المألوفة في عهده رضي الله عنه ، وأعطت الفرصة لكل صحابي على الإطلاق وبالمعنيين اللغوي والإصطلاحي ليُدلي بدلوه في كل مسألة من المسائل ، ومن حق المجتهد والباحث عن جواب السؤال المطروح أن يأخذ برأي أي واحد من هؤلاء الصحابة . كيف لا وكلهم عدول وكلهم من أهل الجنة ولا يجوز عليهم الكذب ! فاختلطت الأمور ، وصار المتقدم كالمُتأخر ، والطلاق كالمهاجر ، فكلهم ينعم بصفة العدالة ، ولا تثرِب عليه ، ولا معقب لقوله حسب الإطار العام لنظرية عدالة كل الصحابة . وما يروي عنهم وتثبت صحة نسبته إليهم ، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل ، لأنه قد صدر عن عدول بإمكانهم أن يخصصوا العام من القرآن ، وأن يقيدوا المطلق منه . ومن هنا كانت الجهود منصبية بالدرجة الأولى على درس حياة الرواة دون الصحابة ، فإذا توافرت في الراوي صفة الصدق وتحققت نسبة النص إلى الصحابي فهذا النص حق ، لأنه صادر عن صحابي من العدول وكفى .

ووضعوا قيداً على الرواة من حيث المبدأ

يمكن لأحد الرواة أن يتشيع لأبي بكر أو لعمر أو لعثمان أو لسعد ، أو لأي صحابي على الإطلاق ، فهذا لا يخذش بصدقه وأمانته ، ولا يكون محلاً للشبهة ، إنما الشبهة تقع على من يوالي علياً وأهل البيت ويتشيع لهم ، فمن المحال أن يكون ثقة وتقبل روايته ، وإذا اجتمع عدة رواة كلهم ثقات وبينهم رجل يحب أهل البيت ويتشيع لهم ، فيترك الحديث كله ، لأنهم لا يقبلون إلا رواية الثقة ، والثقة والتشيع لأهل بيت محمد رضي الله عنه لا يجتمعان ! قال أبو عمرو بن عبد البر: «

روينا عن محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معين عن الشافعي (محمد بن إدريس الشافعي) فقال: ليس بثقة). ويحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذين جعلوا قولهم في الرجال حجة قاطعة ! فتصور أن الشافعي صاحب المذهب ليس بثقة بنظر ابن معين ، لأن فيه بعض التشيع لأهل البيت . وقد أدرك الذهبي أن هذا غير معقول فقال: وكلام ابن معين في الشافعي إنما كان من فلتات اللسان بالهوى والعصية .

والإمام جعفر بن محمد الصادق أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة ، وصاحب مدرسة تخرج منها أربعة آلاف فقيه ومحدث ، وهو صاحب مذهب أهل البيت الكرام ، وعلم شامخ من أعلام النبوة ، وثقه أبو حاتم والنسائي ، إلا أن البخاري لم يحتج به كأنه ليس بثقة ، مع أن البخاري روى لمروان بن الحكم !

قال يحيى بن معين: وقيل له في سعيد بن خالد البجلي حين وثقه (شيعي)

قال: « وشيعي ثقة»؟ إنه يستغرب أن يتشيع رجل لأهل البيت ويكون ثقة !

أما من لا يواليهم ولا يشايعهم فهو ثقة ، قال العجلي في عمر بن سعد بن أبي

وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين وأهل البيت في كربلاء: هو تابعي ثقة

روى عنه الناس ! وقال العجلي كذلك في عمران بن حطان: ثقة ! وعمران هذا

مدح ابن ملجم لعنه الله ، وابن ملجم هو قاتل الإمام علي . يقول عمران في مدح

ابن ملجم: يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ عند الله رضواناً !

الباب الثالث : المرجعية

الفصل الأول

المرجعية

يبدو واضحاً أن نظرية عدالة الصحابة أوجدت مرجعية واقعية تركت بصماتها على الحياة الفقهية والسياسية الإسلامية ، وصارت بحكم النقل والتقليد كأنها هي المرجعية الشرعية التي حددها الله تعالى وبينها رسوله ﷺ !

أما المرجعية الشرعية نفسها فأصبحت غريبة لكثرة تناسيها وإبراز المرجعية البديلة لها ، وظن بعض الناس - وإن بعض الظن إثم - أن المرجعية الشرعية هي غير شرعية ، وأن المرجعية البديلة هي الشرعية !

وفي سبيل بيان الحقائق الشرعية المجردة ، لا بد من أفراد هذه الناحية .

ما معنى المرجعية

تعني المرجعية تلك الجهة المختصة ببيان أحكام وقواعد العقيدة الإسلامية الإلهية لا على سبيل الافتراض والتخمين ، إنما على سبيل الجزم واليقين ، بحيث يكون بيانها هذا عين المقصود الإلهي من هذه الأحكام ، وبالتالي يتقبل الإنسان المؤمن بيان تلك المرجعية على أنه حقيقة إيمانية أو عقلية ، تصلح كمنطلق فكري أو كقاعدة يبنى فوقها ، أو كطريق يسار عليها . فالنبي في حياته هو المرجع لكل المسلمين في أمور عقيدتهم ، وقوله الفصل لأنه هو الأعلم بأحكام العقيدة . وعميد أهل بيت النبوة ، الإمام ، بعد وفاة النبي ، هو المرجع حسب رأي الشيعة لأنه الأعلم بأحكام العقيدة . والصحابة مجتمعين ومنفردين هم المرجع أو

المراجع بعد وفاة النبي لبيان أحكام العقيدة ، حسب رأي السنة ، وكلهم عدول ومن أهل الجنة وهم الشهود الذين نقلوا لنا هذا الدين^(١) فالإقتداء بأي واحد منهم يقود للهداية حتماً . وبموت الصحابة يكون المرجع هو الحاكم ، ينظر بالآراء والاجتهادات المطروحة أمامه ثم يختار منها ما يريد . وهذه الاجتهادات هي أقوال سابقة للصحابة في مسائل طرحت في أزمانهم ، وبعدهم المرجع هو الحاكم ، أي حاكم لأن المسلمين مع من غلب!^(٢) نحن مع من غلب!^(٣) وهذا قول مشهور للصحابي عبدالله بن عمر ، وهذا رأي أهل السنة ، فكل غالب هو المرجع ، وهو يجتهد بنفسه حتى ولو لم يكن مجتهداً ، أو ينصب من شاء من المشايخ فيجتهد له ، أو يأخذ برأي من شاء من المجتهدين حتى لو لم يكونوا مجتهدين ، كما سنرى !

تلازم المرجعية مع العقيدة

تتلازم المرجعية مع العقيدة وترتبط معها ارتباطاً عضوياً ، فالمرجعية تنهل من العقيدة ، فلا عقيدة بدون مرجعية ولا مرجعية إلا في عقيدة ، لأن المهمة الأساسية للمرجعية بيان العقيدة الإلهية . فالنبي يبين هذه العقيدة بعين البيان الذي يريد الله تعالى ، والمرجع بعد النبي بينها بعين هذا البيان . فالعقيدة الإلهية حددت معاني الأقول والأفعال ، والأهداف ووسائل بلوغها ، ونظمت العلاقات بين المؤمنين بها على كل الأصعدة . فيكون دور المرجع منحصرأ ببيان العقيدة بياناً كاملاً ، وتكييفها على الوقائع المستجدة . فالمرجع هو

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ، وبهامشها الإستيعاب لابن عبد البر ٥/ وما فوق .

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي /٢٤٤-٢٤٥ .

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي /٢٤٤-٢٤٥ .

المسؤول عن ترجمة نصوص وقواعد وغايات تلك العقيدة من النظر إلى التطبيق . ومن الكلمة إلى الحركة على صعيدي الدعوة والدولة معاً .

فبيان النبي للعقيدة الإلهية هو جزء منها لأنه نبي ، وبيان علي أو الحسن أو الحسين أو زين العابدين أو جعفر الصادق ، أو أي إمام هو في الأقل سوابق دستورية لمن يريد أن يلتقي عمله مع المقصود الإلهي ، يلزم المؤمنين ولا يجوز مخالفته شرعاً ، لأنه الإمام الشرعي القائم مقام النبي وطاعته هي طاعة للنبي .

المرجعية اختصاص وعمل فني تماماً

فالعقيدة هي السفينة ، والمرجع القبطان . والعقيدة هي المخططات اللازمة لمشروع الإنقاذ الإلهي ، والمرجع هو المهندس الذي يتولى عملية توضيح وشرح هذه المخططات وبيانها وترجمتها مرحلياً إلى واقع مادي ملموس ومحسوس . فالمرجع معلم البناء ، ومن الجنون تحضير المواد الأولية اللازمة للبناء والشروع بالبناء ، دون مشورة وعلم المهندس أو معلم البناء .

وعلى صعيد العقيدة الإسلامية يجب أن يكون المرجع أعلم أهل زمانه بها ، وأكثرهم إخلاصاً لها ، وأكثرهم اعتصاماً بالله ، وأفضلهم وأنسبهم للقيادة ، لأن المرجع هو الحَكَم ، والناطق بالحُكْم الإلهي ، وما تتبناه عين المقصود الإلهي .

تعددية المراجع

لا يوجد في العقيدة الإلهية الواحدة إلا مرجع واحد ، فالنبي هو المرجع الأعلى لكل ما يتعلق بالإسلام . والنبي موسى هو المرجع الأعلى في زمانه ، وهارون مرجع مرتبط بموسى وتابع له . وهكذا عيسى هو المرجع في كل الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية ، لأن تعدد المراجع في العقيدة الواحدة يؤدي بصورة

حتمية لتفسخ العقيدة وتفرق أتباعها .

فالمرجعية في الإسلام هي مرجعية واحدة ، وهي اختصاص ، ومن أعظم ضرورات الدين ، فإذا انعدمت يركب كل مسلم رأسه ، أو تتركب كل مجموعة من المسلمين رأسها ، وتعتقد لكثرة ممارستها للخطأ أن الحق معها ، وتفرق الكلمة ، ويتشتت شمل الأمة ، ولا يلماها ثانية إلا مرجع واحد تعتبر كلمته حقيقة عقلية وإيمانية يتقبلها المسلمون برضى . وهذه السبيل الوحيدة لتوحيد المسلمين .

الفارق بين العقيدة والمرجعية

هو الفارق بين الدعوة وبين الداعية ، فالدعوة المحمدية تقوم على أساسين: القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير ، وهذه خاصية لمحمد ﷺ . فالعقيدة هي القرآن الكريم وبيانه المتمثل بقول الرسول ﷺ وفعله وتقريره ، والشخص المبين جزء لا يتجزأ من العقيدة ، والوثوق به وموالاته والتسليم بصحة فهمه للدين جزء لا يتجزأ من الدين . لذلك فقوله فصل في كل أمر من الأمور لأنه الأعلم والأفهم بالعقيدة والأفضل والأنسب لقيادة أتباعها . إن العقيدة بناء فكري ، أو إن شئت فقل شخص اعتباري قائم بذاته ، وإن المرجع هو المعبر عن موقف هذا الشخص الاعتباري من القضايا المطروحة . ولك أن تقول: إن العقيدة هي الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء ، وإن المرجع هو الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصرف العلاج اللازم المناسب تماماً لهذا المرض من الصيدلية الكبرى ، وهي العقيدة .

تجذير الحكمة من وجود المرجعية

إذا أوحى الله تبارك وتعالى الى كل إنسان وجره إلى الخير جراً ، وخصص له

ملكاً من السماء يرافقه ويُقوّمه ، فلا يستحق الأجر لأنه مكره على الفعل أو مكره على الإمتناع عنه . والأمر الذي يتناسب مع نظرية الإبتلاء الإلهية أن يُعطى الإنسان القدرة على التمييز بين الحق والباطل بعد أن يبينه له الله ، ويُعطى القدرة على فعل الحق وفعل الباطل والمباح والحلال والحرام ، بإرادته وحرите ورضاه .

هنا فقط يستحق الإنسان المكلف الثواب إذا أصاب والعقاب إذا أخطأ .

تلك هي الأرضية التي انطلقت منها الرسالات الإلهية إلى بني البشر ، وفكرة المرجعية كضرورة من ضروراتها ، فدارت فكرة الرسالة الإلهية حول محورين: ١. رسول يبلغ الرسالة وهو مرجعها الأرضي . ٢. رسالة ذات مضمون يتعذر تبليغها بدون رسول أو مرجع . وهي معدة من قبل الله كمشروع هداية . فالله تعالى هو المرجع الأعلى للرسول في كل ما يتعلق بالرسالة وبيانها .

فالخطوة الأولى هي اختيار الرسول أو المرجع ، والخطوة الثانية إفهام الرسول مضامين هذه الرسالة الإلهية (العقيدة) . والخطوة الثالثة قيام الرسول بتبليغ هذه الرسالة لأصحابها وبيانها بياناً كاملاً ، ورصد ردة فعلهم عليها ليكون هو الشاهد . تلك حقيقة لا يجادل بها إلا جاهل ، فقد كان الرسول أي رسول هو المرجع لمن اتبعه ليوضح لهم مضامين الرسالة وكيف تتحول من النصوص النظرية إلى التطبيق العملي ، وكيف تنفذ على الوجه الذي يرضى الله تعالى .

وإذا مات الرسول فإن العقيدة باقية بالضرورة ما دام لها أتباع ، ولزم بالضرورة وجود مرجع لها يقوم بدور البيان والشهادة . ومقتضى عملية الإبتلاء أن يكون للعقيدة الواحدة مرجع واحد ليقوم بقيادة مسيرة قافلة الإيمان ، سواء على مستوى الدعوى أو مستوى الدولة ، إن نجحت المرجعية بتحويل الدعوة إلى دولته .

المرجعية أكبر من أن تنكر

قلت في مقال نشر في عدد جريدة اللواء الأردنية رقم ٩٥٥ تاريخ ١٧ صفر عام ١٤١٢ هـ ما يلي: «الأحزاب الدينية العربية لاتجهل أن الرسائل الإلهية لبني البشر لم تتوقف طوال تاريخ الجنس البشري على الأرض ، فهل تفضل الأحزاب الدينية العربية مشكورة ومأجورة ، فتبين للمسلمين متى أرسل الله رسالة بدون رسول؟ ومتى خصهم بعقيدة من دون مرجع؟ معكم الدنيا طويلاً وعرضاً ، فوقاً وتحتاً من لدن آدم حتى محمد ﷺ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا بإذن الله ، فقد آن الأوان أن تتركوا التقليد الأعمى وأن تتقوا الله في دينكم وأنفسكم ، وفي أمتكم وفي الجنس البشري الذي يعلق ضميره كبير الآمال على دينكم لينقذه والعالم من برائن المادية المقرفة إلى رحابة التكيف الإلهي للأحداث والأحكام .

كل عقيدة إلهية أو وضعية لها مرجع بالضرورة ، لأن المرجع عنصر أساسي لكل دعوة ولكل تجمع بشري ولكل عقيدة ولكل دولة ، فالأسرة لها مرجع والدولة لها مرجع والنظام له مرجع . والعقيدة الإسلامية لها مرجع هو رسول الله ، وبعد موته ﷺ بينت هذه العقيدة المرجعية من بعده ، لأن المرجعية ضرورة من ضرورات الحياة والرسالات . وإن سبب كل المصائب التي حلت بالمسلمين يعود في جوهره إلى استبعاد المرجعية الشرعية التي عينها الله ، والتمسك بالمرجعية البديلة التي فرضتها الغلبة واستكان الناس لها بحكم التقليد» .

سيقول البعض - وخاصة الأحزاب الدينية العربية - إن علماء المسلمين هم المرجع بالمعنى الذي تقصده ، والخليفة هو مرجع المراجع ، فهو يتبنى الرأي الذي يراه مناسباً من هذه الآراء خلال فترة حكمه !! إذن هم يعترفون بأن الحاكم هو المرجع وأنه خليفة النبي ﷺ ! فهل يتعقل إنسان أن الله تعالى جعل خلافة النبي ﷺ ومرجعته مشاعاً مباحاً لكل من غلب بالسيف ، مهما كانت صفاته !

الفصل الثاني

العقيدة

تعني العقيدة عموماً مجموعة الأفكار والقواعد والمبادئ والقيم المترابطة والمتكاملة ، التي تقدم تصوراً للوجود لما هو كائن ولما ينبغي أن يكون . بغض النظر عن صحة هذا التصور أو فساده ، وشموليته أو محدوديته ، وكماله أو قصوره . ومن الطبيعي أن كل عقيدة بهذا المفهوم تدعي القدرة على سياسة حياة معتنيها وتقديم الحلول الناجعة لمشكلاتهم ، واستشراف المستقبل الأفضل لهم ، وتعمل تلك العقيدة في نفوس معتنيها وتحرك إرادتهم حتى يقدموها كمذهب سياسي له الجاهزية لإثبات دعوى قدرتها من خلال سلطة تسوس الجماعة وفق تصورات تلك العقيدة ، لأن المذهب السياسي هو البرنامج السياسي المتكامل الذي تقدمه تلك العقيدة ، وهو بمثابة إعلان عن جاهزية فكر ومبادئ هذه العقيدة لتوضع موضع المحك والتطبيق . وبهذا المفهوم فإن الرأسمالية التحررية عقيدة وإن الماركسية الشيوعية عقيدة .

نوعا العقائد ، وصناعة العقائد

عرفت البشرية نوعين من العقائد: ١ - عقائد إلهية من صنع الله . ٢ - عقائد وضعية من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد . أو فقل من تجميع فرد أو أفراد . ومن يتعمق بالموضوع يكتشف أن بإمكان الإنسان أن يفهم صلاح العقيدة أو صلاحها ، لكنه عاجز عن صنع عقيدة صحيحة ، فهو بطبعه غير مؤهل لإيجادها ،

بل لو أن الجنس البشري اجتمع كله على صعيد واحد لما استطاع أن يصنع عقيدة صحيحة و يقينية ، وبالتالي فإيجاد العقيدة الصحيحة أمر فوق مستوى البشر وطاقاتهم لأنه يتطلب معرفة يقينية بماضي الجنس البشري وبتفاصيل تجاربه ، ومعرفة يقينية بالفطرة الإنسانية وحاجات الإنسان ودوافعه وميوله ، بالإضافة إلى المعرفة اليقينية بالمستقبل الذي سيشهد زمنياً نجاح أو فشل هذه العقيدة أو تلك . ويتطلب أخيراً معرفة بالكون المحيط بالإنسان معرفة يقينية !

وهذه المعارف لا يدعيها فرد ولا جماعة ، ولا الجنس البشري كله ! فالعقيدة التي يضعها بشر ستنهار عاجلاً أم آجلاً لسبب بسيط هو أن الإنسان غير مؤهل بطبعه لإيجاد عقيدة ، والعقيدة اليقينية التي تصلح أن تكون أساساً دائماً للسلطة هي العقيدة التي وضعها الله الخالق ، وهي عقيدة الإسلام التي كانت بالفعل أساس السلطة لدولة الرسول محمد ﷺ .

ملامح عقيدة الإسلام

١- على الصعيد العملي: الإسلام هو الإنقياد التام لله جل وعلا في كل شأن من شؤون الحياتين الدنيا والآخرة ، بحيث يكون عمل الإنسان وعمل الجماعة المسلمة وعمل الدولة المسلمة على كافة الأصعدة ، خاضعاً لموازن الأوامر والنواهي الإلهية المحددة ، ومتجهاً لتحقيق غاياتها الشرعية ، ونعني بالعمل: الحركة المضبوطة بالفكرة الشرعية والنية الشرعية .

٢- على الصعيد النظري: تعني العقيدة الإسلامية مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية ، التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه محمد ﷺ وقام النبي ببيانها للناس نظرياً عبر دعوة وعبر دولة . ثم وضعها موضع التطبيق من خلال دعوة قادها بنفسه ودولة ترأسها بنفسه .

فالعقيدة تشمل ما أنزله الله وأوحاه إلى نبيه ، وتشمل قول النبي وفعله وتقريره . وهذه العقيدة بمجموعها تبين كيف وجدت الحياة، ولماذا، وكيف تنتهي، ومتى، وما هي مآلاتها؟ وتنظم العلاقات بين الأحياء على الإطلاق ، علاقات الكائنات الحية مع الخالق ومع بعضها ومع الكون الضروري لوجودها والمسخر لخدمتها ، وتبين كيفية انتهاء دورة الحياة كلها، والدورة الحياتية لكل كائن حي مخلوق ، وتكشف عن وجود حياة أخرى هي بمثابة قاعة محاكمة لكل الذين مروا بدورة الحياة الدنيا وهي بمثابة نتيجة يأخذ المصيب أجره كاملاً ويلقى المخطئ عقابه . وهذه العقيدة سجلٌ حافل لتاريخ الخلق عامة والجنس البشري خاصة ، حفظت تجاربهم بموضوعية تصل إلى درجة التصوير الفني المشاهد صوتاً وشكلاً وحركة ظاهراً وباطناً . وهي نظام للفرد كفرد ، وللمجتمع كمجتمع ، وللسلطة كسلطة ، وللجنس البشري كله ، تنظم حياة كل واحد منهم على انفراد ، وتنظم علاقاتهم مع بعضهم ، وعلاقاتهم مع خالقهم ، وعلاقاتهم مع العالم المحيط بهم ، وترفدهم جميعاً بدعوة ، وتعزز الدعوة بدولة ، وتعزز الدولة بأهداف ومثل عليا . وهذه العقيدة غائية بمعنى أنها تحدد الأهداف ، فلكل قاعدة من قواعدها هدف وجدت من أجله ورصدت عليه ، وللفرد هدف وللمجتمع هدف ، وللسلطة هدف وللجنس البشري هدف.. وهذه الأهداف كلها تصب في مكان واحد هو نفس الهدف العام للإسلام ، وهي أهداف محددة و(معيّرة) بشكل تعكس طوعياً كامل الطاقة الكامنة في ذات الفرد وذات الجماعة وذات السلطة وذات الجنس البشري والكائنات المحيطة بهم والمسخرة لخدمتهم ، كامل الطاقة لا زيادة ولا نقصان ، لأن الشيء لا يملك إلا طاقته . ولم تكتف العقيدة الإسلامية بتحديد الأهداف ، إنما حددت الوسائل والسبل والطرق ، اللازمة

لتحقيق هذه الأهداف ، وبينتها على وجه يزيل كل غموض .

التصور اليقيني

بمعنى أن الإسلام كعقيدة يقدم تصوراً يقينياً شاملاً يقوم على الجزم واليقين . ويغطي بالكامل ساحة الأهداف والوسائل العامة والخاصة وكافة نواحي الحياة ، وعلى كافة الأصعدة الفردية والجماعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية.. إلخ . وهذا التصور بمثابة مخططات عامة وتفصيلية دقيقة لما هو كائن ومستقبل هذا الكائن وما ينبغي أن يكون عليه في دائرة الأمانة التي تتحول إلى واقع ، بحيث تفودك هذه المخططات درجة درجة وخطوة خطوة حتى تصل بك إلى الغاية الشرعية من أقصر الطرق وبأقل التكاليف ، وفي كل أمر من الأمور . عندئذ تكون العقيدة هي القائدة والموجهة ، وهي منبع الشرعية ، وتستقر كبنية فكرية كاملة ، وتدعم هذا الإستقرار القناعة الذاتية والرضا بهذه العقيدة القائمة على الجزم واليقين ، بعكس العقائد الوضعية التي تقوم على الإفتراض والتخمين والتي ستتهار في النهاية عاجلاً أم آجلاً .

المنظومة الحقوقية الإلهية

بمعنى أن العقيدة الإسلامية هي مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية ، التي أنزلها الله تبارك وتعالى على عبده محمد ﷺ ، وقام هذا النبي ﷺ ببيانها للناس عبر دعوة قادها بنفسه ، وعبر دولة ترأسها بنفسه . فالمنزل من عند الله والمبين من رسول الله بالقول والفعل والتقرير يشكل منظومة حقوقية إلهية ، هي بمثابة القانون النافذ الصالح لكل زمان . ومُنظَرٌ هذه المجموعة ومبينها بعد وفاة النبي هو المرجع الشرعي .

من هو المختص بتعيين المرجعية؟

قلنا: إن هذا المرجع يجب أن يكون بالضرورة الأعمم بهذه العقيدة والأكثر فهماً لها والأكثر إخلاصاً لها ، لا على سبيل الافتراض والتخمين إنما على سبيل الجزم واليقين . وتلك أمور خفية لا يعلمها العلم اليقيني إلا الله العالم بالسر وأخفى ، ومن هنا اختص تعالى بتعيين هذه المرجعية . وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا جاهل .

وهذه الصفات مجتمعة أعلنت العناية الإلهية أنها متوفرة في كل الأنبياء الذين اختارهم الله وحده عبر التاريخ البشري ، ولم يحفل باعتراضات المعترضين: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ... أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . لأن هذه الاعتراضات تنبع من الافتراض والتخمين ، بينما الحكم الإلهي باختيار هؤلاء الأنبياء وتعيينهم مراجع ^{عليهم السلام} قائم على الجزم واليقين بأنهم الأعمم والأفهم والأنسب لبيان العقيدة الإلهية وقيادة سفينة الإسلام والولاية. والخلاصة أن الله جلت قدرته هو المختص بتعيين المراجع التي تولت بيان العقائد الإلهية طوال التاريخ ، لأنه وحده الذي يعلم المؤهلين لبيان هذه العقائد ، ولم يصدف في التاريخ البشري كله أن ترك تعيينهم إلى أهواء الناس أو آرائهم .

ما هي المهام والوظائف المناطة بالمرجع الذي عينه الله ؟

لا خلاف بأن الرسل عليهم السلام مراجع ، عينهم الله كلهم بلا استثناء ، فما هي المهام والوظائف المناطة بهؤلاء المراجع الكرام ؟

١ - البيان: وتوضيح العقيدة الإلهية توضيحاً كاملاً ، من صميم مهمة كل مرجع على الصعيدين النظري والعملي كما حدث لمحمد صلى الله عليه وآله ولدعوة الإسلام . فالمرجع يبين القاعدة الإلهية نظرياً كما تلقاها من الله بالضبط بلا زيادة ولا نقصان ، ثم يقوم بترجمتها من عالم النظر إلى الحركة والتطبيق ، فيكون البيان كاملاً من الوجهتين النظرية والتطبيقية . فهو الذي يُكَيِّف النص على الواقعة بنفس التكيف الإلهي ، ويتأكد أن النص حقق الغاية من وجوده على كل واقعة .

٢ - تحديد دائرة الشرعية والمشروعية: وهو من مختصات النبي المرجع ، فهو يبين ما أنزله الله تعالى باللفظ والمعنى معاً كالتوراة والإنجيل والقرآن ، أو بالمعنى كالحديث القدسي ، وهو يبينه بشقيه النظري والعملي ، فالعقيدة الإلهية والبيان وجهان لعملة واحدة يتعذر فهم أحدهما بدون الآخر .

٣ - الولاية على الأتباع: ومن مهام النبي المرجع أن يكون الولي والإمام على أتباع العقيدة ، يصرف أمورهم ويسوسهم وفق أحكام وقواعد العقيدة الإلهية . فمحمد صلى الله عليه وآله هو المرجع الديني لأتباعه وهو الولي والإمام الزمني لهؤلاء الأتباع . فولايته دينية وزمنية معاً ، فهو نفسه قاد الدعوة ، وهو نفسه ترأس الدولة ، وهو نفسه الذي أنزل عليه الذكر ، وبينه وطبقه .

٤ - منع حدوث الضلالة: في عهد النبي يتحقق الهدى وتختفي الضلالة ، تتوفر ركنين: ركن عقائدي حقوقي ، وهو اتباع المنظومة الحقوقية للعقيدة الإلهية وركن شخصي هو الولاية والإمامة للنبي المرجع بحيث يسوس أتباعه ويطبق عليهم العقيدة الإلهية بنفس الفهم والكيفية التي يتلقاها من الله تعالى .
والمحافظة على وحدة هذين الركنين ضماناً لسيادة الهدى والشرعية ، وأي خلل تطبيقي فيهما أو بأحدهما يؤدي حتماً إلى الضلالة ، لأن الركن الشخصي تماماً كالركن العقائدي وهما معاً صفة واحدة . فلا يمكن لشخص أن يؤمن بالعقيدة الإلهية ويرفض ولاية محمد ، لأن الولاية جزء لا يتجزأ من العقيدة ، وأي محاولة للتجزئة تدخل صاحبها بالضلالة بحجم تلك المحاولة .

٥ - سفينة نجاة: النبي المرجع سفينة نجاة ، من يركب معه فقد نجا ، ومن يتخلف عنه أو يركب بأي سفينة أخرى يغرق لا محالة .

٦ - النبي المرجع باب للمغفرة: من دخله غفر الله له ومن أبى بقي حاملاً لأوزاره.

٧ - النبي المرجع يقود أتباعه للهدى: فمن يتبعه ويطعه فقد أطاع الله ، لأن طاعة النبي طاعة لله وطاعة الله هي الهدى ، ومن يعص الله فقد ضل ضلالاً بعيداً .

٨ - النبي المرجع أمان للأمة المؤمنة ومانع للخلاف: فعندما تتبع الأمة النبي المرجع تسلك طريق مأمونة تماماً لا يتعثر بها أحد . وبغياب هذه المرجعية يقع الخلاف ويختفي الأمان ويضيع الناس فيتبعون (كل ناعق) ويميلون مع كل ربح . فوجود مرجع يفهم بيقين القواعد الإلهية عصمة للأمة وتذكرة أمان للجميع .

٩ - مضافاً الى أن المرجع: ثقل لأتباعه يتمسكون به ، فلا يسقطون ولا يضيعون . وأنه المرجع والقدوة في العلم والتقوى والإلتزام والحكم ، والنموذج المتحرك للرباني المتمسك بالعقيدة الإلهية ، وأنه يقوم بتكثيف الجهود وتنسيق الطاقات المؤمنة لتعميم الهداية على الجنس البشري كله .

المرجعية خلال حياة النبي ﷺ

تتمثل طاعة الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والذي يعرف كنه الأوامر والنواهي هو رسول الله ﷺ ، فطاعة الرسول عملياً هي طاعة الله ومعصيته معصية الله . وقد تأكدت هذه الحقيقة في القرآن الكريم تسع مرات ، لأن الرسول هو القيم على هذا الدين ، وهو العالم بأسراره ، المطلع على خفاياه ، والقادر على تخصيص العام من أحكامه ، وبيان المعنى المطلوب إن تعددت المعاني في النص الواحد .

وبالتالي فإن المرجعية أثناء حياته محصورة به وحده ، لأن الله عصمه واصطفاه لهذه الغاية ، ولا يمكن لأحد من أتباعه أن يفهم أوامر الله ونواهيه كما فهمها الرسول بالتمام ، لأن الرسول مميز وهو الأعلم والأفهم والأفضل ليرجع إليه أتباعه . ولا أحد يخالف هذه الحقيقة لأنها إيمانية وعقلية معاً .

المرجعية بعد وفاة النبي - قراءة أولية للواقع

قبل أن ينتقل الرسول إلى جوار ربه اكتمل الدين وتمت النعمة ، وترسخت العقيدة ، وطبقت الأحكام ، وقام نظام الدولة وترأسها النبي ﷺ مدة عشر سنين . لكن طبيعة الإسلام كآخر دين ، وطبيعة قواعده المتعمقة ، ومهمته الملقاة

على عاتق المسلمين في هداية الجنس البشري ، تقتضي بالضرورة وجود مرجعية بعد وفاة الرسول ﷺ . وهذا أمر من البدهة بحيث أنه لا يحتاج إلى دليل لولا التقليد الأعمى والتسليم بالواقع ، و(فطرة) أغلبية الناس بإطاعة الغالب .

الحاجة لمرجعية بعد وفاة النبي

رأينا أن كل نبي على الإطلاق مرجع بالضرورة ، كلفه الله تعالى بمهام ووظائف وسيد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ قاد الدعوة إلى الله فنجحت دعوته ، وأسفرت عن دولة طبقت قواعد العقيدة الإلهية بياناً كاملاً نظرياً وعملياً ، وأعلن الله أنه قد أكمل للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته . وخير النبي فاختر ما عند الله ولم يفاجئه الموت ، إنما مرض ثم انتقل إلى جوار ربه تاركاً دعوة قائمة ودولة ماثلة ، وديناً يباهي به الدنيا ، وقرآناً : تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ، على الإطلاق .

فمن هو المرجع من بعده الذي تكفل الله به ليبين القرآن لكل أجيال الأمة فقال: **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ؟ ومن الذي سيقوم بالوظائف التي كان يقوم بها؟ من الذي يبين للناس أحكام العقيدة الإلهية ؟ ومن الذي يحدد دائرة الشرعية والمشروعية ؟ من هو ولي الأمة وركن مجدها القائم مقامه ؟ من هو سفينة النجاة؟ من هو باب المغفرة ؟ من هو الأمان المخلص لهذه الأمة ؟ من هو مثلها الأعلى بعده ؟ من الذي يقود موكب المؤمنين لتحرير سكان العالم وانتشالهم من الظلمات إلى النور؟

تساؤلات تحتاج إلى أجوبة

إذا قال المسلمون إن النبي ﷺ لم يعين المرجع من بعده ، ولم يحدد من الذي سيقوم بوظائفه ، ومن سيبين للناس مفاهيم العقيدة وأحكامها ، ويقود معركة تحرير البشرية وإنقاذها.. فإن قولهم هذا يناقض كمال الدين وتمام النعمة لأن هذه الأمور من صلب الدين ومن صميم النعمة ، ومن المحال أن تغفلها العقيدة الإلهية !

ولو أصروا على ذلك لوجدوا أن العقيدة الإلهية تتحدى إصرارهم هذا وتعيبه ولا تقره ، ويكفي ذلك بيان القرآن لهدف الإسلام: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . بل إن هذا الإصرار يتعارض مع المنطق والعقل وأساسيات الحياة ، فضلاً عن تناقضه الصارخ مع قواعد العقيدة الإلهية وهدفها .



الفصل الرابع

مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي

انقسم المسلمون حول المرجعية بعد وفاة النبي ﷺ إلى قسمين ، وكل قسم يزعم أنه على الحق المبين:

١ - التاريخيون: وهم الذين سوَّغوا ماجرى واعتبروه شرعياً من كل الوجوه ، وبشكل خاص عهد الخلفاء الراشدين ، ويعرفون بأهل السنة ، واصطلاح التسنن وأهل السنة نشأ في العهد الأموي في زمن معاوية حيث انتصرت القوة على الشرعية واستقر الأمر نهائياً لمن غلب ، ودانت الأكثرية الساحقة لهذا الغالب ، فسمي ذلك العام بعام الجماعة ، وسمي الذين دانوا لمن غلب بالجماعة وهم حزب الدولة ، فهم وإن اختلفوا معها في بعض المواقف إلا أن علامتهم موالاته الدولة لأن بيدها الأرزاق تعطى لهم وتمنعها عن يوالي غيرها ، ومن جهة ثانية فإنهم قد اعتبروا الدولة رمزاً لوحدة المسلمين .

٢ - الشرعيون: وهم الذين عارضوا ماجرى واعتبروه غير شرعي ، مع اختلاف بحجم المعارضة ونسبة الخروج على الشرعية . فعصر الخلفاء الراشدين عصر ذهبي بالنسبة لعصر بني أمية ولا مجال للمقارنة بين العصرين : وعصر بني العباس

أكثر سوءاً من العصر الأموي . وهؤلاء يعتقدون أن العقيدة الإلهية عينت المرجع بعد وفاة النبي ﷺ وأن الله لم يترك الأمر سدى ، وأن المرجع المعين شرعاً بعد وفاة النبي هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد رتب الشرع طريقة تعيين المرجعية بنص كل مرجع على الذي يليه . ويعرفون بالشيعة ، وقد نشأ التشيع في زمن النبي وصار الشيعة حزب المعارضة ، وطوردوا من قبل الحكام طوال العهدين الأموي والعباسي خاصة ، وحرموا من كافة حقوقهم ولم تقبل شهاداتهم ، وشطبت أسماءهم من دواوين العطاء ولاحتقتهم لعنة الحكام طول التاريخ . وسنورد حجج الفريقين .

رأي أهل السنة أن النبي ترك الأمة بدون خلف ولا مرجعية

يقول أهل السنة إن النبي ترك الأمة بدون خلف ولا مرجعية ، ولم يبين للمسلمين الإمام أو الولي الذي سيخلفه من بعده ويقوم بوظائفه الدنيوية والأخروية ومنها المرجعية من بعده . واستدلوا على ذلك برد الخليفة عمر بن الخطاب على الذين أشاروا عليه أن يستخلف من بعده على المسلمين فقال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، يعني أبا بكر ، وإن أدع فقد ودع من هو خير مني» يعني النبي ﷺ .^(١) كما استدلوا على ذلك بقول السيدة أم المؤمنين عائشة بأن النبي «مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذه ، ولو أنه قد أوصى لسمعته!» ومن هنا أنكر بخاري ومسلم الوصية بهذا الشأن مستنديين إلى قولها وقول عمر .

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٢٣ ، والطبري:٣٤/٣ ومروج الذهب للمسعودي:٣٥٣/٢ .

ومن المؤكد حسب رأيهم أن النبي إذا بين هذا الإمام والمرجعية من بعده فإنه قطعاً ليس علياً بن أبي طالب كما تزعم الشيعة ، لأنه لو كان علياً لما كان من المعقول أن يتجاهل الصحابة الكرام بيان النبي هذا ويوالوا غيره ! لأنهم عدول ومن أهل الجنة ومن يشك بترتيب الخلفاء (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) فقد أزرى على ١٢ ألف صحابي !^(١) والنتيجة عندهم أن النبي ترك الإمامة ومرجعية الدين للمسلمين أنفسهم لأن خلافة النبي شأن من شؤون المسلمين ، والإمامة والمرجعية تتبعان رئاسة الدولة .

تلاشي عملية ترك الأمة بدون مرجع

وقد اكتشف أهل السنة أن ترك الإمام للأمة بدون أن يسمي ولياً للعهد من بعده خطر ماحق ما بعده خطر ، وأنه يضر بمصلحة المسلمين والإسلام ! أنظر إلى قول السيدة عائشة مخاطبه عبد الله بن عمر: «يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع ، إستخلف عليهم ، ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإني أخشى عليهم الفتنة» فأتى عبد الله فأعلم الخليفة بما قالت أم المؤمنين^(٢) وقد أصابت أم المؤمنين لأن ترك الأمة بدون راع ولا مرجعية يؤدي للفتنة ويترك الناس هملاً .

وقد تلاشت عملية ترك الأمة بدون مرجع فأخذ الخليفة يعين ولي عهد يتولى أمور المسلمين من بعده ، لأن الإمام أو الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية كائناً من كان هو ولي الأمة والأمين عليها ينظر للأمة في حال حياته ، وينظر لها بعد مماته ، ويقوم لها من يتولى أمورها كما كان هو يتولاها ، ويثقون بنظره لهم في

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٨/١ وما فوق ..

(٢) الإمامة والسياسة/ ٢٣ .

ذلك كما وثقوا به في ما قبل ، وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده . إذ وقع بعهد أبي بكر لعمر . وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة...^(١) وقد شرعت ولاية العهد بسبب فعل أبي بكر وعمر وعدم معارضة الصحابة لهما مما جعلها وليدة الإجماع ، والإجماع سند شرعي كما يرى ابن خلدون ، وذلك حرصاً على وحدة المسلمين ومصالحهم وهروباً من الفتنة ، وحتى لا تبقى أمة محمد هملاً بغير راع على حد تعبير عائشة أم المؤمنين^(٢) وتجنباً للوم على حد تعبير عبد الله بن عمر بن الخطاب^(٣) . ويبدو أن الإمام الوحيد برأي أهل السنة الذي لم يسم خليفته ، ولم يتخذ ولياً للعهد هو رسول الله ﷺ ! فهو بالمفهوم عند ابن خلدون: ينظر للناس عند حياته ولا ينظر لهم بعد وفاته ، بعكس بقية الخلفاء أو رؤساء الدول الذين ينظرون لشعبهم بعد وفاتهم!^(٤) والخلاصة أن الصحابة الكرام اكتشفوا أن ترك الأمة دون بيان المرجع والإمام وولي العهد دمار محقق ، وأن الوصية والتسمية أفضل لمصلحة المسلمين فشرعوها أو هكذا صوروا . لكن قولهم هذا تدفعه النصوص القاطعة ، وخلو الدين من هذا الأمر الجوهري يناقض كماله وتمام النعمة ، خاصة وأن الرسول قد خير واختار الموت ، ومرض قبل الموت وعرف أنه ميت في مرضه ذاك ، وقد قذف الله في قلبه محبة هذه الأمة وجعله بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، وأخبر أنه الله أطلعته على مستقبلها والأخطار المحيطة بها بعده ، فهل من الممكن عقلاً أن

(١) مقدمة ابن خلدون/٢١٠ دار الفكر .

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٢٣ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣٥٣/٢ .

(٤) مقدمة ابن خلدون/٢١٠ دار الفكر .

يموت دون أن يبين للناس من هو المرجع من بعده؟ ومن هو خليفته؟ كيف تفوته هكذا أمور فيتلافها أبو بكر وهو ليس نبياً، وعمر وهو ليس نبياً؟ وتحس بخطورتها عائشة أم المؤمنين وهي امرأة وليست نبياً فتحضر عمر على الإستخلاف وتقول إستخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً!! هذا أمر غير وارد ولا يصح قطعاً، بالرغم من تقديرنا للواقع الذي ساد! لقد تثبت أهل السنة بكل شئ ليبرروا الواقع الذي حدث! تشبثوا بالنص، وعند ما خذلهم النص تشبثوا بالإفتراض، وعند ما انهار الإفتراض تشبثوا بالشورى وعند ما انهارت الشورى تشبثوا بالرأفة بالمسلمين والحرص على مصلحتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا هملاً وبلا راع! ثم استقروا بعد طول ترحال على مبدأ أن الإمام القائم أو الخليفة القائم هو الذي يسمي من يليه، أي يحدد للأمة الشخص الذي عليها أن تبايعه!^(١)

المرجع بعد وفاة النبي ﷺ عند أهل السنة

رئيس الدولة القائم هو المرجع الديني والديني معاً عند السنة، كيف لا وهو خليفة رسول الله فما كان الرسول يقوم به يقوم به الخليفة، فهو ينظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم، وهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقوم لهم من يتولى أمورهم كما كان يتولاها، ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل^(٢) فالحاكم عندهم يملك كافة الإختصاصات التي كان يختص بها النبي والصلاحيات المخولة له كإمام وكولي

(١) استعرضنا في النظام السياسي في الإسلام نظريات أهل السنة ونقدناها نقداً علمياً/٨ وما فوق.

(٢) مقدمة ابن خلدون دار الفكر/٢١٠.

للأمة . وقد أفردنا فصلاً في كتاب النظام السياسي لهذه الإختصاصات^(١) ونقلنا قول صاحب كتاب نظام الحكم المرحوم ظافر القاسمي حيث قال: «إن اختصاصات الخليفة تشمل جميع الشؤون الداخلية والخارجية والعسكرية ، وإن أعباءه تقع عليه وحده وإنه إذا فوض شيئاً منها فإن ذلك لا يسقط حقه الأصل بممارستها»^(٢) وقد حاول الإمام الماوردي أن يحدد هذه الإختصاصات على الصفتين ١٥ و ١٦ من الأحكام ، ولخصنا هذه المحاولة في كتابنا النظام السياسي / ١٩٤ . والمرجعية الدينية تابعة بالضرورة لرئاسة الدولة ، لأن رئيس الدولة هو خليفة النبي والنبي كان المرجع الديني والديني معاً ، فما كان يمارسه النبي يمارسه الخليفة ، بل هناك أمور دخلت باختصاصهم وقالوا بأن النبي نفسه لم يمارسها وهي ولاية العهد ! فالنبي ترك الأمة بدون راع وبدون ولي وبدون مرجع وبدون إمام برأيهم ، ثم قام أبو بكر بمبادهة منه وتشجيع من أكابر الصحابة باتخاذ عمر ولياً لعهدده وتوليته خليفة من بعده ، ثم جاء عمر فعهد لسته ، ومن يدقق بالعهد يكتشف أنه عهد عملياً لعثمان لأن عثمان كان يعرف بالرديف والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم!^(٣) وقد أعطى عمر حق النقض لابن عوف وهو صهر عثمان ، فوصيته تؤدي حتماً لاستخلاف عثمان .

لقد سن أبو بكر وعمر مبدأ أن الخليفة هو المرجع وصاحب الحق بتولية الخليفة الذي يليه ، ونسج الخلفاء على منوالهما ، وقد صور هذا الأمر كأنه حق

(١) النظام السياسي / ١٨٧ .

(٢) راجع نظام الحكم للأستاذ ظافر القاسمي / ٣٥٣ .

(٣) راجع نظام الحكم للأستاذ ظافر القاسمي وقد نقلها عن الطبري / ١٩٧ - ١٩٨ .

للخليفة القائم ، وفهم علماء أهل السنة ذلك ومنهم ابن خلدون إذ يقول بالحرف:
«إن الإمام ينظر للناس في حال حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته!»^(١)

الحاكم القائم هو المرجع عند أهل السنة

أهل السنة يعتبرون الخليفة الذي يتولى رئاسة الدولة هو المرجع في كل الأمور الدينية والدنيوية ! فأبو بكر هو المرجع الأعلى في زمانه ، وعمر هو المرجع الأعلى في زمانه ، وعثمان ومعاوية ويزيد ومروان بن الحكم... إلخ. كل واحد منهم المرجع الأعلى في زمانه ، وكذا خلفاء بني العباس وبني عثمان . فالعبرة بالمرجعية الفعلية هو الغلبة ، والحاكم الغالب على الأمة هو وليها وإمامها ومرجعها في كافة الشؤون الدينية والدنيوية . قال أبو يعلى: « روي عن الإمام أحمد مادل على أن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ، ولا تفتقر إلى العقد» فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار: « ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برأ كان أم فاجراً» .

وقال في روايه أبي الحارث في الإمام يخرج عليه: « من يطلب الملك فيكون مع هؤلاء قوم ومع هذا قوم (تكون الجماعة مع من غلب» وذلك إعمالاً للقاعدة الشرعية التي وضعها عبدالله بن عمر بن الخطاب عندما صلى بأهل المدينة يوم الحرة وقال للناس: « نحن مع من غلب والناس يبايعون الغالب»^(٢)

ألا ترى كيف انتهت الأمور واقعياً بالنظام السياسي الإسلامي الى أنه يجب

(١) المقدمة لابن خلدون .

(٢) نظام الحكم للقاسمي .

على الأمة أن تباع الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته وموقف الشرع منه !

من الذي يقوم مقام الحاكم في المرجعية

مادام الحاكم حياً وغالباً فهو المرجع الأعلى للأمة في كافة شؤونها الدينية والدينية . وقبل أن يموت ولو كان في النزاع الأخير يعين للأمة إماماً وولياً ومرجعاً لها من بعده ، وهو أهل لذلك ومخول به ! فهو وليهم والأمين عليهم يقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ، وقد فعل ذلك أبو بكر لعمر بمحضر من الصحابة فأجازوه وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر^(١) . ونضيف: أن تولية معاوية ليزيد تمت بمحضر من بقي من الصحابة ، وعندما يعين الحاكم خليفته ومرجعية الأمة من بعده فعلى الأمة أن تبايعته ، ومن يعارض فهو مفسد في الأرض .

وصلاحيات الخليفة في تعيين من يخلفه مطلقة لا راد لها وهي معللة بأنه موضع ثقة على حد تعبير ابن خلدون: « وأبو بكر على فراش الموت عهد إلى عمر وقال لكاتب عهده عثمان: لو كتبت لك لكنت أهلاً لها»^(٢)

ثم ها هو عمر وهو على فراش الموت أيضاً يفكر بأمر المسلمين ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة ، ويبحث عن الرجل الذي يستطيع أن يقوم مقامه فيقول « لو كان أبو عبيدة حياً وليته واستخلفته ، ولو أدركت خالد بن الوليد استخلفته ووليته ، ولو أدركت سالمًا مولى أبي حذيفة لاستخلفته»^(٣) وبالمناسبة إذا كانت

(١) مقدمة ابن خلدون/٢١٠ دار الفكر

(٢) راجع ٤٢٩:٣ من تاريخ الطبري وص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي .

(٣) راجع مرض عمر وموته في تاريخ الطبري ، وطبقات ابن سعد . وراجع ١٥/ من الإمامة والسياسة .

خلافة سالم جائزة وهو الذي لم يعرف له نسب في العرب ، فكيف لا تكون جائزة خلافة الأنصار أليسوا أقرب عرقياً لرسول الله ؟ ثم ألم يحتج الثلاثة الذين حضروا السقيفة بأنهم أولى من الأنصار لأنهم أهل النبي وعشيرته. ثم ماذا تبقى من قاعدة: الأئمة من قريش ؟ ثم كيف أن معاذ بن جبل من الأنصار وكان لا يجوز تولية الأنصار يوم السقيفة ، فجازت تولية معاذ الأنصاري فيما بعد ؟

ثم إن خالداً قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أسلم ، وعليّ قاتل مع الإسلام بكل فنون القتال ، فبأي مبدأ يقدم خالد على علي ؟ !

وقيل لعمر: « استخلف عبد الله بن عمر » فرفض عمر ذلك لسبب بسيط جداً وهو أن عبد الله بن عمر عجز عن طلاق امرأته ، كما قال عمر^(١) وتصور بربك أن عمر فكر أخيراً بأن يعهد بالخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولكن رهفته غشية ألا ترى أن صلاحياته بتسمية ولي عهده في نظر أهل السنة صلاحيات مطلقة ؟!

والنتيجة: أن ولاية العهد أصبحت مشروعة في نظر علماء السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر وعهد عمر عملياً لعثمان . وأصبح العهد هو الطريقة المتبعة في تولية الخليفة عند الأمويين والعباسيين والعثمانيين إلى الولد أو أحد أفراد الأسرة^(٢) . وتعليهم بأنهم حريصون على مصلحة الإسلام والمسلمين (أكثر من النبي ﷺ)!

المرجعية الجماعية عند أهل السنة

بحلول العهد الأموي تكونت المقاطع الأساسية لنظرية عدالة كل الصحابة ، فأصبح الصحابة جميعاً وبدون استثناء وبدون مقدمات عدولاً ، وكلهم من أهل

(١) على سبيل المثال شرح النهج: ٦٤/١ ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

(٢) على سبيل المثال شرح النهج: ٦٤/١ ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

الجنة ولا يدخل أحد منهم النار^(١) ولا يجوز عليهم الكذب ، وتحولوا لمراجع دينية كل واحد منهم مرجع قائم بذاته ومستقل عن سواه ، وإن أخذت من أي واحد منهم جاز . فرأي أبي بكر شرع له قوة أن يوقف نص القرآن ويخصه ! لأنه صحابي بالدرجة الأولى من العدول . وكذلك رأي عمر وكذلك رأي أي صحابي ! فلدى أهل السنة مرجعية جماعية ، وكل واحد من الصحابة بلا استثناء مرجع قائم بذاته منزه ممتنع عليه الكذب ينطق بالحق المبين لأنه من أهل الجنة . ومن يشك بهؤلاء المراجع جميعاً أو بأي واحد منهم فهو زنديق لا ينبغي أن يؤاكل أو يشارب أو يصلى عليه !

وبعد أن انتقل الصحابة كلهم إلى جوار ربهم حل محلهم التابعون ، وبانتقال التابعين إلى جوار ربهم حل محلهم العلماء من أهل السنة ، والأحزاب التي تكونت عندهم . يقول أبو حنيفة: « إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول اصحابه ، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة الواحدة أخذت بقول من شئت وادع من شئت^(٢) وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم « إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول النص ، والثاني فتوى الصحابة ، فعمل الصحابي على خلاف عموم القرآن دليل على التخصيص وقول الصحابي بمنزله عمله^(٣) » وتقدم قول ابن خلدون: « إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر أدلته بما تلقوه من النبي ﷺ أو من

(١) نقلنا تعريف ابن حجر الذي أجمع عليه أهل السنة وحللتناه في الباب الأول من هذا البحث .

(٢) راجع المستصفى للغزالي/١٣٥-١٣٦ وآراء علماء المسلمين للسيد الرضوي/٨٧ .

(٣) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدواليبي وراجع آراء علماء المسلمين/٨٧

سمعه منهم ومن عليتهم وكانوا يسمون القراء أي الذين يقرأون الكتاب ، لأن العرب كانوا أمة أمية فاخص من كان قارئاً للكتاب بهذا الإسم لغرابته يومئذ ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة»^(١)

كيف تعمل المراجع عند أهل السنة

بعد وفاة النبي وفي زمن الخلفاء الراشدين كان الخليفة هو المرجع الأعلى للمسلمين، فهو صحابي ومن العدول ، وهو الخليفة ، يسأل من يشاء من الصحابة ويأخذ برأيه هو ، أو برأي من يشاء . وغالباً ما كان يسأل أبو بكر وعمر القراء كعلي وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل.. لكنهم لم يبرروها بفكرة عدالة الصحابة التي طرحها الأمويون وروجوا لها ، وكانت أدوار الأكثرية الساحقة من الصحابة في المرجعية محدودة جداً ، بمعنى أنهم لم يكونوا مراجع عملياً .

ولم يختلف الأمر كثيراً في العهد الأموي ، فمعاوية بوصفه صحابي ومن العدول أصبح المرجع الأعلى للمسلمين ، وأخذ يمارس مرجعيته كما مارسها من سبقه بالخلافة ، فله أن يسأل من يشاء ويأخذ برأي من يشاء ، وقد روج فكرة عدالة كل الصحابة لأنها تجعله من أهل الجنة ، وتبررت له الجلوس محل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، مع أنه الطليق ابن الطليق ، وبررت له أن يتمتع بنفس الصلاحيات بوصفه خليفة !

أما طلاب العلوم في كل عصر ، فهم أحرار بقبول ما يرونه من آراء الصحابة في المسألة الواحدة إذا تعددت . وكذلك الأمر مع التابعين ، ومع علماء المسلمين بعد التابعين ، ثم تتكرر الحالة فيما يتصل بالأحزاب .

(١) طبقات ابن سعد: ٤/١٦٨ ، وراجع آراء علماء المسلمين ٥٠/ وما فوق .

وبعد زوال الخلافة الإسلامية أصبح كل عالم من علماء أهل السنة مرجعاً قائماً بذاته ، يفتي لنفسه ولأتباعه ، وأصبح كل حزب من الأحزاب العربية مرجعاً قائماً بذاته ، ومهمته منصبة على إثبات أنه على الحق ، وتكثيف الجهود وتكثيف النصوص ، ليستحوذ وحده على السلطة في أي مصر يتواجد فيه .



الفصل الخامس

المرجعية البديلة

اجتهد البعض في مورد النصوص الشرعية (مع أنه لا إجتهد في مورد النص) وقادهم هذا الإجتهد إلى نتيجة أن المرجعية الشرعية التي عينتها العقيدة الإلهية ليست في مصلحة الإسلام والمسلمين ، لاعتقادهم أن هذه النصوص هي من التحليل العقلي للنبي ﷺ وليست أوامر إلهية ، وأن النبي عندما وضع مرتكزات هذا التحليل كان لا يعرف توجهات الرأي العام الإسلامي ، وأنه يرفض رفضاً قاطعاً أن يجمع لبني هاشم النبوة والخلافة ! وعزَّ على هذا البعض أن يواجهوا النبي صراحة بما في نفوسهم ، وتلاحقت الأحداث سريعاً ووضعت المرجعية البديلة على عجل ، وتصور الذين وضعوها أنهم يحسنون صنعاً ، ويخدمون الإسلام والنبي بفعلتهم هذه ، وتصوروا أنهم وحدهم الذين أناطت بهم العناية الإلهية أمر التخطيط لبناء مستقبل الإسلام ، لأنه برأيهم لا يوجد في صفوف المسلمين من هو أكثر أهلية منهم للقيام بهذا العمل الخطير ، فحزموا أمرهم وشرعوا بترجمة ما بيتوه !

الشروع بوضع معالم المرجعية البديلة

النبي على فراش الموت ، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته ، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه . النبي على علم بمستقبل هذه الأمة ، وقد أدى دوره

كاملاً وبلغ رسالات ربه ، وبين لهم كل شئ على الإطلاق . وهو على علم تام بما يجري حوله ، ومدرك أنه السكون الذي يسبق الانفجار ، فينسف الشرعية السياسية والمرجعية . وينسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة .

ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة ، ولا يقعه شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة . وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة ، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها ، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدي وحتى لا تضل ، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها ، وتنتظر موت النبي ﷺ لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام ، وتعيق حركته وتغير مساره .

المواجهة الصاخبة

النبي على فراش المرض ، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة ، وقد أصرَّ على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام فقال النبي: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» . ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي؟ من يرفض التأمين ضد الضلالة؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟

ثم إن من حق أي مسلم أن يوصي ، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله ، هذا إذا افترضنا أن محمداً ﷺ مجرد مسلم عادي ، وليس نبياً وقائداً للأمة .

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: «إن النبي قد

غلب عليه الوجد وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله» !

فاختلف الحاضرون ، فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، ومنهم من يقول القول ما قاله عمر . فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عني»^(١)

وفي رواية ثانية أن الرسول ﷺ عندما قال: «إتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا: هجر رسول الله ! قال النبي: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»^(٢)

وفي رواية ثالثة قال النبي ﷺ: «إتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فقالوا: إن رسول الله يهجر»^(٣)

وفي رواية رابعة للبخاري أن النبي قال: «إتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجد وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وأكثروا اللفظ . قال النبي: قوموا عني ولا ينبغي عندى التنازع»^(٤)

رواية بلفظ خامس للبخاري ، قال النبي: «إتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا: ما شأنه أهجر ؟ إستفهموه ! فذهبوا يرددون عليه . فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»^(٥)

رواية بلفظ سادس للبخاري ، قال النبي ﷺ: «إتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً . فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر؟

(١) صحيح بخاري كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني: ٩/٧ وصحيح مسلم آخر كتاب الوصية: ٧٥/٥

وبشرح النووي: ٩٥/١١ ومسند الإمام أحمد: ٣٥٦/٤ ح ٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٥١/٦ .

(٢) راجع صحيح بخاري: ٣١/٤ وصحيح مسلم: ١٦/٣ ومسند الإمام أحمد: ٢٢٢/١ و: ٢٨٦/٣ .

(٣) راجع مسلم: ١٦/٢ و: ٩٤/١١ - ٩٥ بشرح النووي ومسند أحمد: ٣٥٥/١ والطبري: ١٩٣/٢ ولابن الأثير: ٣٢٠/١ .

(٤) راجع صحيح بخاري: ٣٧/١ .

(٥) راجع صحيح بخاري: ١٣٧/٥ والطبري: ١٩٢/٣ - ١٩٣ .

استفهموه ! فقال النبي: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»^(١)
 رواية بلفظ سابع للبخاري قال النبي: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده . قال
 عمر: إن النبي غلبه الوجد وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله . واختلف أهل البيت
 واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم
 من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغظ والاختلاف عند النبي قال: قوموا عني»^(٢)
 وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر...»^(٣) وقد اعترف الفاروق
 أنه صدّ النبي ﷺ عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي .^(٤)

تحليل المواجهة

أطراف المواجهة: الطرف الأول: هو محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وإمام
 الدولة (رئيسها) . الطرف الثاني: هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ، ووزير
 من أبرز وزراء دولة النبي ، والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد .
مكان المواجهة: بيت النبي ﷺ .

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

النتائج الأولية للمواجهة

١- الانقسام: إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين: قسم يؤيد الفاروق فيما
 ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما يريد . وحجة هذا الفريق

(١) صحيح بخاري: ١٣٢/٢ و ٦٥/٤ - ٦٦ .

(٢) صحيح بخاري: ١٦١/٨ .

(٣) راجع تذكرة الخواص لسبط الجوزي الحنفي/ ٦٢/ وسر العالمين في الدارين لأبي حامد الغزالي/ ٢١ .

(٤) شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ١١٣/٣ .

أن الفاروق من كبار الصحابة وأحد وزراء النبي وهو مشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابة هذا الكتاب . ثم إن القرآن وحده يكفي فهو التأمين ضد الضلالة ، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي .

وقسم يرفض المواجهة أصلاً بين التابع والمتبوع ، وبين نبي ومصداق به ، وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ومجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت وواحد من وزرائه .

ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ، ولكتابة ما يريد ، لأنه نبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله ، ولأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله .

ثم على الأقل لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء .

ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته ، فهو صاحب البيت ، ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته .

٢ - بروز قوة هائلة جديدة: برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن

تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين في مواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه^(١) واستطاع أن يحرك الأحداث بعد ذلك وأن يقودها بكفاءة ! فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ويتابعها متابعة دقيقة ، دقيقة بدقيقة . كما ظهر منه في صلح الحديبية ، وفيفتح مكة ، وفي حنين .

وبعد ظهوره في مرض النبي ﷺ كقوة هائلة وزعيم أوجد لبطون قريش ،

(١) راجع مراجع يوم الرزية في مصادر الحديث ، وكيف أجمعت على أن الفاروق هو الذي قال حسبنا كتاب الله .

كان له في داخل السقيفة الدور الأعظم ، فلو أراد لكان هو الخليفة . وبعد السقيفة ومبايعة نفر الحاضرين لأبي بكر الصديق ، قاد بنفسه عملية إتمام البيعة ، وصاح بالمهاجرين أن يقوموا فبايعوا ، فنهض عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا الصديق .

وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة وجهر منهم سرية ، وأخرج علياً ومن معه من بيت فاطمة الزهراء لبايعوا الصديق^(١) وهو نفسه الذي أحضر الحطب وهم بإحراق بيت فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به^(٢) وهو نفسه الذي هدد علياً بالقتل إن لم يبايع^(٣) وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه^(٤) وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام^(٥) وهو القوة الهائلة التي صنعت الإستقرار لدولة أبي بكر ، ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلاً فانتقل إلى جوار ربه ، وورث عمر دولة آمنة مستقرة ، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة وبدون معارضة ، وكان الإنتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة...

وعاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون أن للفاروق قدرة هائلة على التخطيط والتنظيم ما توفرت لأحد قط من أقرانه!^(٦) فقد قام بدور الهيئة التأسيسية لعصر ما بعد النبوة ، ورتب كل شئ لمستقبل الحكم في الإسلام ، فلن يجمع الهاشميون

(١) على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٥ وما فوق .

(٢) مراجع التحريق الذي ذكرناها أكثر من مرة ، وكتاب خلفيات مأساة الزهراء للسيد جعفر مرتضى .

(٣) الإمامة والسياسة/١٣ .

(٤) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ٣٠٦/١-٣٠٧ تحقيق حسن تميم مكتبة الحياة .

(٥) تاريخ الطبري: ٢٠٩/٣-٢١٠ وتاريخ الحكم للقاسمي/١٥٢ .

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢٤/٣. وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ١٠٧/٣ .

الخلافة والنبوة أبدأ ، وستكون الخلافة تداولاً في غيرهم ، وحقاً خالصاً لمن غلب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة !

٣ - بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع: نبتت بهذه المواجهة

فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع ، أو المساواة بين التابع والمتبوع ، وخلق حالة من الشبهات والحيرة مع من يكون الصواب هل هو مع التابع أو مع المتبوع؟ فحجة الفاروق أن النبي قد اشتد به الوجد ، وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطراً . وشايح الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة ، وهذا شك . وحجة الطرف الآخر أن محمداً ما زال نبياً وسيبقى نبياً حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها ، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين . فترك اليقين إلى الشك غير معقول والمرض ليس مانعاً من القول .

حادثتان مشابھتان

الأولى: لقد مرض الصديق واشتد به الوجد كما يجمع على ذلك كل أتباع الملة . فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خالياً - أي وحده - وقال له: «أكتب أما بعد» ثم أغمي عليه من شدة الوجد فكتب عثمان: «فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً» فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان: «إقرأ عليّ» فقرأ عليه ما كتب فقال أبو بكر: «أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتلت نفسي في غشيتي؟ قال عثمان: نعم ، قال أبو بكر: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله» وأقرأها أبو بكر^(١) تلك حقيقة بالإجماع .

الثانية: مرض عمر نفسه فقال طبيبه: «لا أرى أن تمسي ، فما كنت فاعلاً فافعل»

(١) تاريخ الطبري: ٤٢٩/٣ و ١٧٦ من نظام الحكم للقاسمي و ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي و: ٨٥/٢ من تاريخ ابن خلدون ، و صفحة ١٢٠ من كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

فقال لابنه عبدالله: «ناولني الكتف فمحاها ، وقال من شدة الوجع : والله لو كان لي ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلاع» . وكان رأسه في حجر ابنه عبدالله فقال لابنه: «ضع خدي بالأرض» فلم يفعل فلحظة وقال: «ضع خدي بالأرض لا أمّ لك ! الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر» .^(١)

وبالرغم من شدة وجع أبي بكر فقد أوصى وكتب ما أراد ، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد ، ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة وأنه لن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة ! ونفذت بدقة وصية الإثنين وسمح لهما بقولها ، وسمح لهما بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهما . وسبب شرعية قولهما أنه عندما كتب كل منهما وصيته كان ما زال رسمياً على رأس عمله (خليفة للمسلمين) ومن حقه أن يمارس عمله ، ما دام حياً أو لم يعزل !

تلك حقيقة مُسَلَّمٌ بها بالإجماع ، قولاً واحداً لا خلاف عليه . فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما يريدان مع أن المرض قد اشتد بكل واحد منهما أكثر من اشتداده برسول الله ، ويحال بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما أراد؟! ألا يحق لمحمد ﷺ ما يحق لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟ هذا مع الافتراض أن محمداً على قدم المساواه مع أبي بكر وعمر ، وهو افتراض مرفوض شكلاً وموضوعاً ، لأن محمداً ﷺ نبي مرسل من الله وإمام ، بينما أبو بكر وعمر من الأتباع ومحمد يوحى إليه ، وقد أكد وقال أكثر من مرة إن أكثر ما كان يأتيه الوحي ، كان يأتيه وهو مريض^(٢) والله تعالى يقول: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

(١) الإمامة والسياسة/٢١-٢٢ و صفحة ١٢٠-١٢١ من كتابنا النظام السياسي على سبيل المثال .

(٢) الطبقات لابن سعد: ١٩٣/٢ .

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ويقول: «وَمَا صَاحِبِكُمْ بِمَجْنُونٍ» «مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى» «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» .

فكيف يتحول بطرفة عين من كانت هذه صفاته وملكاته إلى رجل حاشاله

أن يهجر؟! ولا يؤمن على كتابة وصية !!

ومع أن هذه حقائق دامغة لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكرها أو تدافع عنها ومع أن هذه الواقعة نسفت مستقبل الإسلام كله ، وكانت هي البذرة التي انطلقت منها كل المآسي والنكبات التي حلت بالمسلمين ، إلا أن أهل السنة يتجاهلوننا تماماً ولا يفكرون بها إلا أنها مجرد قصة .

وهكذا وعملياً رجح قول التابع على قول المتبوع ، فأصبح التابع مرجعاً والمتبوع متفرجاً ، وتم للتابع ما أراد وغلبت مشيئته واستقطب الناس لها ، فوجدت واقعياً فكرة الغلبة وأثمرت ، واعتبرت الغلبة فيما بعد مبدأً شرعياً ، وأجيز للأمة أن تتفرج على الصراع بين متغالبين ثم تقف في النهاية مع الغالب مهما كانت صفاته ومهما كان دينه ^(١) فطمع المتبوع بالتابع ، وتقدم المفضل على الأفضل . ومن هنا فلا ينبغي أن ندهش إذا رأينا معاوية بن أبي سفيان يعتلي سدة الخلافة وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم ، وينازع بالخلافة أول من أسلم ومن هو ولي الله بالنص ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بالنص ، ويحاول أن يقنع المسلمين بأنه أفضل من علي وأصلح للأمة منه ! ولا ينبغي أن نندهش إذا وجدنا في عصور الإسلام من يقول هذا مجتهد وهذا مجتهد وكلاهما في الجنة . ولا ينبغي أن ندهش عند ما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة ، وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظوراً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر

(١) نظام الحكم للقاسمي / ٣٤٤ - ٣٤٥ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٥٣ .

وعمر ، حتى تولى الخلافة عثمان فأدخله معزراً مكرماً ، واتخذ ابنه مروان رئيساً لوزرائه وزوجاً لابنته !

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع ، وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام والمتأخر في موازين الله والإسلام ! فالوليد بن عقبة يتأمر على الحسين بن علي ! والوليد يعظ المسلمين ويجب على الحسين أن يسمع موعظته ! والوليد يصلي بالناس صلاة الصبح أربعاً وهو سكران ويسألهم كانوا يرغبون بالزيادة ، وبعد ذلك فإنه لا حرج أن يكون هذا الرجل إماماً للحسين بن علي بن أبي طالب وأميراً عليه ، ومرجعاً ، يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه !!

٤ - ظفر الغالب ونجاحه

أصبح الغالب - أي غالب وأياً كانت صفاته - هو الظافر وهو سيد الموقف ، وهو إمام المسلمين ورئيس دولتهم ، ومرجعهم في كل الأمور الدينية والدنيوية ، وهو الحائز لكل وسائل القوة ، بيده السيطرة الكاملة على كل موارد الدولة ، يعطي من يشاء ويمنع العطاء ممن يشاء ، لا رقيب عليه إلا الله ومقدار دينه. وهو القائد العام لجيوش الإسلام يستعملها لتحقيق الأمنين الخارجي والداخلي ولتطويع الرعية رغبةً ورهبةً ، وهو المسيطر سيطرة تامة على وسائل الإعلام ، فلو شاء جعل الأبيض أسود ، ولو شاء جعل الأسود أبيض ، ويمكنه بسيطرته على وسائل الإعلام أن يجعل القزم عملاقاً ، وأن يحول العملاق إلى قزم ، ويتحول مؤيدوه إلى واجهة له بيدهم الحل والعقد ، ومع الأيام يصبحوا مراجع ! فهم يتبنون وجهة نظر الغالب ويستعملون وسائله بالمرجعية ، فهم سادات المجتمع ، وهم الفراقد المتألقة ، وإذا سار معهم أي واحد قادوه إلى نقطة الارتكاز ومحور

الهداية أي عين ما يراه الغالب . وقد عزف العامة على ذات الوتر واتحدت الأمة على هذه الشاكلة ، وكلما مضت سنة ترسخت وتوطدت ، وكلما مر عقد ضربت جذورها في الأرض ، وأصبحت رأياً عاماً وقناعة ، وعقيدة سياسية ، ثم دينية !

٥ - عزل العترة الطاهرة

بهذا المناخ نادى العترة الطاهرة بالشرعية ، وقالت إن لها حقاً وهي تطالب به ولكن الناس يحولون بينها وبين حقها الشرعي . كانت معارضة أبي الحسن لأبي بكر معارضة متحضرة وشرعية ومنطقية جداً ، بشهادة بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر حيث قال عندما سمع حجة الإمام: « لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»^(١)

ولكن تبقى السلطة سلطة ، والمعارضة معارضة ، ولا يمكن بالفطرة للسلطة بأي مقياس أن تثق سياسياً بالمعارضة ولا أن تسلم للمعارضة مكتسباتها . ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب الإمام علي ، فقد رُئيَ عدم قتله بالرغم من أنه هُدد بالقتل إن لم يبايع ، ورُئيَ عدم إكراهه على البيعة تقديراً لفاطمة .

ولم تتخذ أية إجراءات فعالة ضد الإمام وزوجته الزهراء عندما كانا يطوفان ليلاً في مجالس الأنصار ويسألان النصر ، فكان الأنصار يقولون: « يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ! فيقول علي: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فتقول فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه وطالبهم» وتقول لهم: «وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذراً؟!»^(٢)

(١) الإمامة والسياسة ١٢/ على سبيل المثال .

(٢) الخصال للصدوق/ ١٧٣ .

وأدرك الإمام أن الأمة قد غدرت به كما بين رسول الله ﷺ.

وكانت النتيجة عزل الإمام بعد وفاة فاطمة وعزل شيعته . وتجلت الرغبة بعزل الإمام حتى عن بني هاشم بمحاولة السلطة اجتذاب العباس إليها بإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه لكن العباس رفض ذلك!^(١)

وبالمعيار الموضوعي ، فإنه إذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها ، فإنه سيختار جانب السلطة لأنها هي الجانب الأقوى ، خاصة وإن معارضات أهل البيت تابعت ، وكاد جبل الود أن ينقطع نهائياً بينهم وبين السلطة عندما همّ عمر بإحراق بيت فاطمة على من فيه ، ولكن الله سلّم.^(٢)

وقد بلغ الأمر بالسلطة أنها (اقتنعت) بأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، وذلك لمنع الإجحاف الهاشمي ! وآمنت السلطة بأن قريشاً قد اهتدت عندما أخذت بهذا المبدأ^(٣) والأهم من ذلك أنها وضعت شرطاً بأنه لا يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ، وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر ، وكان عمر يحرص على أن لا يتولى أعماله أي مؤيد لهم^(٤) . وهكذا عزل علي وعزلت شيعته وتعایش الإمام مع الشيخين وتعایشت شيعته ، وقدم أهل البيت في زمنهما على الجميع في العطايا ، فكانوا يبدوون بآل محمد ثم ببقية الناس ، وآمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم ، وكانا الشيخان يستشيران الإمام ويرجعان إليه أحياناً . وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة ، بدأ الصحابة يتراجعون من حوله ، وبدأ

(١) الإمامة والسياسة/١٥-١٦ .

(٢) راجع مراجع التحريق .

(٣) الكامل لابن الأثير: ٢٤/٣ حوادث سنة ٢٣ وشرح النهج ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٤٩ وما فوق .

(٤) مروج الذهب: ٣٥٣/٢ .

الأمويون ينزون في بلاطه ، فانفض الصحابة جميعاً من حوله والتف الأمويون عليه وغص بهم بلاطه ، ولم يأت الأمويون بجديد ، فآل البيت وشيعتهم الذين حرموا الأعمال في زمن الشيخين لا يمكن أن يتولوها في زمن عثمان ، ولأن الإمام وشيعته لا يمكن أن يسكتوا على أخطاء بني أمية وهم حاشية عثمان وعماله ، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونهيهم عن المنكر معارضة للأمويين كقبيلة . فلذلك ضاقوا ذرعاً بعلي وبشيعته ، وتراكت هذه المعارضة مع تركات الماضي بين الهاشميين والأمويين ، وما زالت تكبر وتكبر حتى حدثت المواجهة المسلحة بين الأمويين برئاسة معاوية والي الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي ، وانتصرت القوة على الشرعية وتوج معاوية ملكاً حقيقياً على الأمة وسمي العام بعام الجماعة . وبدأ معاوية عهداً جديداً لمطاردة آل محمد ملئ بالدمع والدم ، فأبيدوا إلا من كتبت له الحياة ، وفرضت مسبتهم وشمهم في الأمصار ، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكام ، وطوردت شيعة آل محمد ، ولم يجيزوا لأحد منهم شهادة ، ومحووا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءهم ورزقهم!^(١)

طاقم المرجعية الجديد

ال خليفة الغالب كائناً من كان ، هو المرجع للأمة في كل شؤونها الدنيوية والأخروية بدلاً من ولي الأمة وعميد أهل بيت النبوة . والصحابة الكرام كلهم المرجعية الجماعية للأمة لأنهم عدول ومن أهل الجنة ، وهم البديل لأهل بيت النبوة المطهرين بالنص ، فأهل البيت عارضوا والصحابة والوا .
وإذا انقرض جيل الصحابة يأتي التابعون فيكونون هم المرجعية الجماعية التي

(١) تاريخ ابن عساكر: ٤٠٧/٣ ومعاوية في الميزان للعقاد/١٦ وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية/١٨٠ .

تساعد الخليفة مرجع الأمة الأعلى ، فإذا انقرض جيلهم يأتي تابعوا التابعين .
ثم يأتي بعدهم العلماء ، فالعلماء ورثة الأنبياء وهم يقومون بدور المرجعية بالتعاون مع الحكام . وبالنتيجة فإن وجود أهل البيت ثانوي جداً أمام هذا الطاقم .

أثر المعارضة

تحولت توجهات الأكثرية وأفعالها إلى قناعات عامة ترسخت في الأذهان واستقرت نهائياً ، وضاق صدرها بمن يعارضها وتم عزله والتضييق عليه ، والتقليل من شأنه والتشهير به ، واعتباره خارجاً على الجماعة ومتولياً غير سبيل المؤمنين ! وشوهت سمعة المعارضين ، وحرفت وجهات نظرهم حتى أصبحت تهمة الكفر أخف من تهمة التشيع لأهل البيت ! فمن يكفر بالله ويرتد عن دينه يستتاب ، فإذا عاد عن كفره ولو بلسانه قابلوه بالترحاب ، أما المتشيع لأهل البيت فلا توبة له ، وموالاته الكافرين أهون من موالاته آل محمد ! وقد تحولت هذه القناعات إلى تركة ترثها الأمة كما ترث المتاع ، فقد ورثت كما أرث المتاع عن آبائي وأجدادي أن الشيعة كفار ، لأنهم يؤلهون علياً ولأنهم يطعنون بالصحابة الكرام ولأنهم... إلخ. وورثت هذه الأفكار لأولادي ، لكن لا أنا ولا أجدادي ولا آبائي ولا أولادي سمعوا وجهة نظر الشيعة ولا تأكدنا من صحة هذه التهم !، وليس بأيدينا أي دليل على صحتها سوى التقليد ! وكل ما نعرفه بالتقليد أن الشيعة هم أعداء الأمة ، وحتى علماء أهل السنة المعاصرين الذين يدرسون علماء الفد في الجامعات، لا يعرفون معنى التشيع ولا متى نشأ ولا كيف ، وإن عرضوا وجهة نظر الشيعة فإنهم ينقلونها بالحرف عن أعداء الشيعة ، فالخصم هو الراوي وهو الحكم وهو القاضي ! مع أن الخلاف في حقيقته خلاف سياسي ، ومع أن الشيعة يأخذون الإسلام عن أهل البيت ، ومذهب أهل البيت هو مذهب محمد ﷺ . والفئة الناجية هي الفئة التي تهتدي بهداهم .

الفصل السادس

من هو المرجع بعد وفاة النبي ﷺ؟

أ - ضرورة المرجعية: يقول الشيعة: ليس صحيحاً أن النبي ﷺ ترك هذه الأمة بدون ولي ولا مرجع ، لأن الولاية والمرجعية أمر جوهري لا غنى للأمة عنه في زمان ، والقول بترك الأمة بدون ولي ومرجع يناقض كمال الدين وتمام النعمة وشمول البيان لكل شيء «تبيانا لكل شيء» ! فكيف يكون التبول شيئاً ويبين النبي للناس كيف يتبولون ، ولا تكون الولاية والمرجعية شيئاً ويتركها دون بيان؟!

وبالتناوب ، فإن عدم بيان النبي للولاية والمرجعية يناقض رحمه ورأفته بهذه الأمة وحرصه على مستقبلها ، لأن الله قذف في قلبه الكبير المحبة والرحمة والرأفة بأمتة كما هو ثابت في القرآن الكريم، فمن يقوم بوظائفه الدينية والدنيوية من بعده ؟ ومن يبين القرآن ؟ ومن يحدد دائرة الشرعية ؟ ومن هو سفينة النجاة للأمة ؟ ومن يقود الناس للهدى ؟ فهذه اختصاصات فنية كالطب والهندسة وعلم الذرة ، وأمور لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الأعلام بالعقيدة والأفضل والأنسب للمرجعية ، وصفاته لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله تعالى ومن المحال بالشرع والعقل أن يتركها لأهواء الناس .

وأكبر دليل على ضرورتها أن الذين أنكروها وأنكروا بيان النبي لها عادوا وأوجدوا ولاية وضعية أعطوها لمن غلب بعد أن قتل مئات الألوف من أبناء الأمة في سبيل تحقيق غلبته وإمرته بالقوة .

ب - البيان الإلهي للمرجعية: الله تبارك وتعالى هو الذي أنزل القرآن كرسالة

إلهية لبني البشر ، وعقيدة إلهية تقدم لهم تصوراً يقينياً لحركة كل شئ ، وتنظم أمور دينهم وديناهم في حياتهم الدنيا ، وتكشف لهم المعالم الأساسية لحياتهم الآخرة ، وتربط الحياتين برباط عضوي محكم ، وأنزل الله هذا الكتاب على عبده محمد ﷺ ليبينه للناس بياناً نظرياً وعملياً في الدعوة والدولة معاً ، فقاد النبي الدعوة بنفسه وترأس الدولة بنفسه . وخلال مرحلتي الدعوة والدولة بيّن العقيدة بياناً كاملاً . فمحمد هو المرجع في بيان العقيدة لأنه الأعلم بها والأفهم لأحكامها والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة عليهم . فلا أحد في الدنيا ينوب عن محمد بهذه المهمة ، ولا أحد يغني ويسد مسده أثناء حياته المباركة ، وصاحب الإختصاص بانتداب محمد لهذه المهمة هو الله ، لأنه لا أحد يعرف على وجه الجزم واليقين الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادتهم وتطبيق أحكام العقيدة عليهم ، إلا الله ، لذلك حصر بنفسه حق اختيار هذا المرجع والولي ، وطرحه أمام البشر وشهد له بأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، وخوله صلاحية بيان العقيدة للناس ، وصلاحية المرجعية والحكم بين الناس على ضوء أحكام هذا الدين . فإذا قبلت الأمة المرجعية التي قدمها الله وبايعته بالرضا ، يصبح المرجع والولي هو محمد .

ولأن الدعوة مستمرة إلى يوم الدين ، والدولة المؤمنة تدعم دعوة الإيمان ، ولأن الغاية هداية البشرية كلها ، ولأن محمداً بشر يموت لا محالة ، ولأن الله وحده هو الذي يعلم على وجه الجزم واليقين من هو من أتباع محمد الأعلم والأفهم بالعقيدة ، والأفضل بين الأتباع في ذلك الزمان ، والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع ، فإنه أيضاً قد اختص بتقديم الولي والمرجع بعد وفاة محمد ، فإذا بايعت الأمة وقبلت بمن قدمه الله ولياً ومرجعاً لها فقد اهتدت ، وإذا لم تبايعه الأمة

حدثت عملية انفكاك بين الولاية وبين المرجعية ، فيكون الحاكم شخصاً والمرجع شخصاً آخر ، ومع الأيام يستحوذ الحاكم على الحكم والمرجعية .

فالحسين بن علي بن أبي طالب إمام بالنص ، وولي بالنص ، ومرجع بالنص والقُدوة في زمانه بالنص . لكن الأمة رغبةً أو رهبةً بايعت يزيد بن معاوية ، فأصبح هو الحاكم ، وتم الفصل بين الولاية والمرجعية . ولأن المرجعية تابعة للولاية فلن يهنا الحاكم قبل أن يجرد المرجع من اختصاصه ليجمع بيده الولاية والمرجعية ، ولا وسيلة لتجريد الحسين من مرجعيته إلا بقتله ، فقتله يزيد !

والخلاصة: أن المختص ببيان الإمام أو الولي والمرجع هو الله تعالى ، لأنه وحده يعلم من هو الأعلم والأفهم بأحكام العقيدة ، والأفضل والأنسب للقيادة وفق أحكام الإسلام ، وأنه تعالى قد اختار للأمة الإسلامية وليها ومرجعها قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وأمر نبيه ﷺ بإعلان ذلك فأعلنه أمام مائة ألف مسلم في حجة الوداع ، وتكرر إعلانه لهذا الأمر الإلهي عشرات المرات ، ولكن الأمة بايعت غير هذا الولي والمرجع ، فحدثت عملية الانفكاك بين الولاية أي الحكم وبين المرجعية ، ثم زحف الحكام وجردوا الولي في كل زمان من المرجعية ، وجمعوا بأيديهم كحكام الولاية والمرجعية معاً بسند الغلبة .

ج- من هو هذا الولي والمرجع الذي عينه الله ؟ تقول الشيعة إنه الإمام علي بن

أبي طالب عليه السلام فقد اختاره الله ليخلف نبيه بالولاية والمرجعية ، وكلف الله نبيه بأن يعلن هذا الاختيار الإلهي فأعلنه النبي أمام مائة ألف مسلم في حجة الوداع ، كما أعلن الله تعالى إمامة الحسن من بعده ، وإمامة الحسين من بعد الحسن ، ورتب الأمور بحيث يعين كل واحد من الأئمة من سبقه بنصه عليه ، ووصلوا إلى اثني عشر إماماً ، والإمام الثاني عشر هو المهدي عليه السلام وهو الحاكم الشرعي في عصرنا

والحاكم العادل إنما هو نائب للإمام الشرعي حتى يظهره الله تعالى .

د- ما هو سبب عداة أهل السنة للشيعة ؟ طالما أن أهل الشيعة على حق ، فلماذا

عاداهم أهل السنة ؟ لأن ما تقول به الشيعة يسحب البساط من تحت أقدام الحكام ويزيل مبرر وجودهم ويخلق المبرر لأعداء الحكام بأن يحلوا محلهم ! ولأن الحكام يسيطرون على موارد الدولة ويتصرفون بها كما يشاؤون ، وتحت إمرتهم جيوش تتقاضى رواتبها منهم ، ولأنهم يسيطرون على وسائل الإعلام !

ولأن الشيعة كانوا حزب معارضة طوال التاريخ ، لذلك نقم منهم الحكام وطاردهم وصوروهم كأنهم شياطين وعصاة وخارجون على إجماع الأمة ، ولم يكن أمام الأكثرية الساحقة من الأمة بديل سوى مجاراة الحكام ، ولأن الشيعة لم تتح لهم الفرصة لعرض وجهة نظرهم بحرية ، فقد قام الحكام بعرض وجهات نظر الشيعة بشكل محرف ومزور ، وتناقل أعداء الشيعة وجهة نظرهم نيابة عنهم بشكل ينفر الناس من الشيعة جيلاً بعد جيل . واستقرت مزاعم الحكام عن الشيعة كأنها حقيقية ، وأكثر الناس يعتبرونها حقيقية لكثرة ما نقلت إليهم وتداولوها .

هـ- الدليل الشرعي على تعيين الله للمرجعية: الأول: آية الولاية وهي الآية ٥٥

من سورة المائدة: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ .** وقد نزلت هذه الآية في علي عليه السلام حين تصدق بخاتمه وهو راکع في صلاته . وتفسيرها مفصل في تفسير الثعلبي على سبيل المثال ، وعندما رأى النبي صلى الله عليه وآله علياً وهو يتصدق بخاتمه أثناء ركوعه في الصلاة ، دعا ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه: **« وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي... أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي »** قال أبو ذر: **« فوالله ما**

أتم الرسول ﷺ دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية». ^(١) وبالفعل فقد نصب النبي ﷺ علياً مرجعاً وخليفة بعده في جمع ضم مائة ألف مسلم في غدير خم ، وذلك عندما نزل عليه جبريل بعد مضي خمس ساعات من النهار فقال: « يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » وقد نزلت هذه الآية يوم الغدير ^(٢). وبعد أن نصبه الرسول نزلت الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ^(٣). وتقدم عمر بن الخطاب من علي وقال

(١) نقل هذا الإجماع غير واحد كالإمام القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد . وراجع تفسير الإمام النيسابوري الثعلبي الذي قال عنه ابن خلكان إنه أوحى زمانه في علم التفسير . وعلى سبيل المثال شواهد التنزيل للحسكاني: ١٦١/١ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي/٣١١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي/٢٢٨ و٢٥٠ ، وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي/٨٨ و١٠٢ والمناقب للخوارزمي الحنفي/١٨٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر الشافعي: ٤٠٩/٢ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/١٠٨ و١٢٣ والدر المنثور للسيوطي: ٢٩٣/٢ وفتح القدير للشوكاني ج ٥٣/٢ ، والتسهيل لعلوم التنزيل للكليبي/١٨١ والكشاف للزمخشري: ٦٤٩/١ وتفسير الطبري: ٢٨٨/٦ - ٢٨٩ ، وزاد المسير لابن الجوزي الحنبلي: ٢٨٣/٢ وتفسير القرطبي: ٢١٦/٦ ، والتفسير المنير لمعالم التنزيل: ٢١٠/١ وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٥١/٣ وأسباب النزول للواحدي/١٤٨ ، ولباب المنقول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين/٢١٣ وتذكرة الخواص لسبط الجوزي الحنفي/١٨ و٢٠٨/١٢ وتفسير الرازي: ٢٠/١٢ و٢٦ وتفسير ابن كثير: ٧١/٢... وهنالك ٣٦ مرجعاً لم تذكر .

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ٨٦/٢ وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٦٣/٣ وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت للحاكم الحسكاني: ١٨٧/١ وأسباب النزول للواحدي/١١٥ والدر المنثور للسيوطي الشافعي: ٢٩٨/٢ وفتح القدير للشوكاني: ٦٠/٢ وتفسير الفخر الرازي الشافعي: ٥٠/١٢ ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ٤٤/١ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/٢٥ وينابيع المودة/١٢٠ و٢٤٩ والملل والنحل للشهرستاني الشافعي: ١٦٣/١ وفرائد السمطين للحموي: ١٥٨/١ ، وعمدة القاري: ٥٨/٨ وروح المعاني للأكوسي: ٣٤٨/٢ والمنار لمحمد عبده: ٤٦٣/٦... إلخ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي: ٧٥/٢ والمناقب لابن المغازلي الشافعي/١٩ وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ١٥٧/١ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٢٩٠/٨ والدر المنثور للسيوطي الشافعي: ٢٥٩/٢

له مداعباً: «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم»^(١)
 وصار يوم الغدير عيداً للمسلمين من يومها.^(٢)

وقد بلغ حديث الغدير مرتبة التواتر عن طريق علماء أهل السنة، وألفت فيه المؤلفات، منها كتاب الولاية لابن حجر الطبري، وكتاب الولاية لأبي العباس بن أحمد بن عقدة المتوفى ٣٣٣ هـ، وكتاب من روى حديث غدير خم لأبي بكر الجصابي المتوفى ٣٥٥ هـ. والدارقطني المتوفى ٣٨٥ هـ له جزء في طريق حديث الغدير، وكتاب الدراية في حديث الولاية لأبي سعد السجستاني المتوفى ٤٧٧ هـ، وكتاب دعاء الهداة إلى أداء حق الموالاتة لأبي القاسم عبيد الله الحنفي المتوفى ٤٩٠ هـ. وقد روى حديث الغدير من الصحابة ١١٦ صحابياً ورواه ٨٤ من التابعين، ورواه كل علماء أهل السنة، وأخرجوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم من القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع عشر، وذكر منهم الأميني ٣٦٠ عالماً في كتابه الغدير.

و- نموذج من إعلان يوم الغدير: قال الطبراني في المعجم الكبير إن حذيفة بن أسيد الغفاري الصحابي الجليل قال: «لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع انتهى بأصحابه إلى شجيرات بالبطحاء متقاربات فأمرهم أن ينزلوا ثم بعث إليها

والإتقان للسيوطي الشافعي: ٣١/١ والمناقب للخوارزمي الحنفي: ٤٧/١ وينايع المودة للفندوزي الحنفي: ١١٥ وفرائد السمطين للحموي: ٧٢/١ و٧٤ وتاريخ يعقوبي: ٣٥/٢ ووروح المعاني: ٥٥/٦، والنهاية لابن كثير: ٢١٣/٥ ...
 (١) راجع تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي لابن عساكر الشافعي: ٧٥/٢ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ١٨ والمناقب للخوارزمي: ٩٤/٩، وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ وشواهد التنزيل: ١٥٨/١ ح ٢١٣، وسر العالمين لأبي حامد الغزالي: ٢١/٢، وإحقاق الحق: ٢٥٦/٦ والغدير للأميني: ١٣٢/١ وفرائد السمطين: ٢٧٧/١ ... إلخ.
 (٢) وقد نقله العلامة الأميني في كتاب الغدير: ٢٦٧/١ عن الآثار الباقية لليروني: ٣٣٤/١. وراجع مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي: ٤٤/١ ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٦٠/١ و: ٢٢٣/٢ في ترجمة المستنصر العبيدي.

فَقُمَّ ما تحتهن من الشوك وعمد إليهن فصلى تحتهن ، ثم قام فقال: يا أيها الناس إني قد أنبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون ، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت ، فجزاك الله خيراً . فقال:

أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق وناره حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى نشهد بذلك قال: اللهم اشهد . ثم قال: أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا يعني علياً رضي الله عنه مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .^(١) ثم قال: «أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض ، حوض أعرض ما بين بصرى وصنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضللوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لا ينقضيان ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٢)

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٠/٢ ح ٥٤٨ و ٥٥٠ والمناقب للخوارزمي الحنفي/٩٤ ومسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٨١/٤ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/٢٤ والحاوي للفتاوي للسيوطي: ١٢٢/١ وذخائر العقبى للطبري/٦٧ وفضائل الخمسة: ٣٥٠/١ وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٧/٢ وعلم الكتاب لخواجه الحنفي/١٦١ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي/١٠٩ ، وينايع المودة للقدوزي الحنفي/٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ وتفسير الفخر الرازي الشافعي: ٦٣/٣ وتذكرة الخواص لسبط الجوزي/٢٩ و مشكاة المصابيح: ٢٤٦/٣ وعبقات الأنوار: ٢٨٥/١ وفرائد السمطين للحموي: ٧٧/١ والمراجعات تحقيق حسين راضي/١٧٧:٢ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي الشافعي/٢٥ وقد صحح الحديث وراجع مجمع الزوائد للهيتمي الشافعي: ١٦٤/٦ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق الشافعي: ٤٥/٢ وراجع كنز العمال: ١٦٨/١ والغدير للأميني: ٢٦/١ وعبقات الأنوار: ٣١٣٢/١٢ و: ١٥٦/١ ونوادير الأصول للحكيم الترمذي الشافعي/٢٨٩ ، وينايع المودة للقدوزي الحنفي/٣٧ .

ز- التأكيد الشرعي على ولاية علي: قال النبي ﷺ لعلي: «أنت وليي في الدنيا

والآخرة»^(١) «أنت ولي كل مؤمن بعدي». وقال: «من كنت وليه فإن علياً وليه» وقال: «إن علي أكثر من الجارية التي أخذ إنه وليكم بعدي». وقال مرة: «إنك ولي كل مؤمن بعدي». وقال: «من كنت وليه فهو وليه». وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» وقال: «إنك ولي المؤمنين بعدي»^(٢) وقال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وهذا الحديث من أصح الآثار ، وقد رواه أصحاب السنن^(٣).

(١) وقد صرح الذهبي بصحته في تلخيص المستدرک/٢٦، وابن حجر في الصواعق باب ١٦/١٢ وأخرجه مسلم في فضائل علي/٢٤:٢ من صحيحه ، والحاكم/١٠٩:٣ من مستدرکه ، وابن حجر في باب ١٠٧/١١ من صواعقه وقال أخرجه الإمام أحمد وصححه ، وأخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في فضائل علي ، وفي غزوة تبوك في صحيح بخاري:٥٨/٢ وصحيح مسلم:٣٢٣/٢ و٢٨:١/، وراجع/١٠٩:٢ من مسند الإمام أحمد و١٧٢/ و١٧٥ و٧٧٧ و١٧٩ و١٨٢ و١٨٥:١ من المسند و٣٣١/ و٢٦٩/ و٤٣٨:٦/ من المسند و:٣٢/٣ من المسند والصواعق المحرقة باب ١٠٧/١١ وفصل ٢ باب ٧٢/٩ . والسيوطي في تاريخ الخلفاء وذكر أن الطبراني أخرجه والبخاري في مسنده وراجع/٦٥ من تاريخ الخلفاء ، وأخرجه الترمذي كما يدل الحديث ٢٥٠٤ ، وراجع/١٥٢/٦ من الكتر ، وأورده ابن عبد البر في أحوال علي من الاستيعاب.

(٢) النسائي في خصائص علي عليه السلام وأحمد بن حنبل في مسنده/٤:٤٣٨ والحاكم في مستدرکه/٣:١١١ والذهبي في تلخيص المستدرک . وراجع المراجعات/١٦٣-١٦٤ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب الأول.

(٣) نذكر على سبيل المثال: البخاري:١٢٩/٥ ومسلم:٣٦٠/٢ ومسند أحمد:٥٠/٣ بسند صحيح و٥٦:٥/ و٥٧/ و٦٦ وسنن ابن ماجه:٤٢/١ و٤:٢٠٨ من صحيح بخاري و:٣/١٠٩ من المستدرک للحاكم و:٣/١٠٤ من تاريخ الطبري و١: من تاريخ ابن عساکر حديث ٣٠ و١٢٥ و١٤٨ و١٤٩ و١٥٠ ورواه بأكثر من مائة رواية ، وأنساب الأشراف للبلاذري:١٠٦/٢ والإصابة لابن حجر:٥٠٧/٢ و٥٠٩ ، والإستيعاب بهامش الإصابة:٣٤/٣ و٣٥ وخصائص علي عليه السلام للنسائي/٧٦ و٧٧ و٧٨ ، ومناقب علي عليه السلام لابن المغازلي ، وحلية الأولياء:٧/١٩٤ ، والمناقب للخوارزمي/٦٠ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي/١٦٨ ، وينايع المودة للقندوزي/٣٥ ، وأسد الغابة:٨/٢ ، ونظم درر السمطين للزرندي/٩٥ ، وكفاية الطالب للكنجي/٢٨١ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد:٢/٤٩٥ ، والمعجم الصغير للطبراني:٢٢/٢ و٥٤ ، ومجمع الزوائد:١٠٩/٩ ، وكتر العمال:١٣٩/١٥ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه:٤/٣١١ ، وجامع الأخوة لابن الأثير:٩/٤٦٨ ، ومشكاة المصابيح:٣/٢٤٢ ، والجامع الصغير للسيوطي:٥٦/٢ إلخ .

الباب الرابع: القيادة والسياسة

ضوابط حركة المجتمع

١ - ضوابط حركة المجتمع

تسير حركة أي مجتمع سياسي ومنها المجتمع الإسلامي ، وفق ضابطين:
الأول: العقيدة أو المنظومة الحقوقية الإلهية ، وهي القانون النافذ في المجتمع وهي مخططات عامة وتفصيلية لحركة المجتمع الإسلامي في كل مجالات الحياة بالحال والمآل ، وإن شئت فقل إنها الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء أصاب المجتمع الإسلامي أو سيصيبه . وهي معدة ومصاغة لتغطي حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والعالم كله ، وتنظيم علاقات المجتمع وقيادته إلى التعاون والإنسجام وتحقيق حاجاته المادية والروحية.
والضابط الثاني: القيادة السياسية المنبثقة عن هذه العقيدة ، فهي الجهة المخولة بإبقاء حركة المجتمع الإسلامي دائماً وفق أحكام هذه المنظومة الحقوقية . وهو بمثابة المهندس الذي استوعب المخططات العامة والتفصيلية للعقيدة الإلهية ، وبمثابة الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصف العلاج ويقدمه لك ، ويتابعك وأنت تتناوله حتى يتم الشفاء .
وهو المنظر للمنظومة الحقوقية الإلهية والمشرف العام على تطبيقها ، والمرجع

لفهم أحكامها ومراميها ، لأنه الأعلم بها والأفهم لقواعدها وغاياتها ، والأفضل من بين أتباعها والأنسب من بين كل الموجودين لقيادة اتباع هذه العقيدة . وهو المبين لها بتليغها بالضبط كما تلقاها من ربه وترجمتها من النص إلى الحركة . وهو المبشر للمخلصين للعقيدة ، والمنذر للمعاندين لها ، والداعية إلى الله والسراج المنير الذي ينير درب المجتمع في مسيرته .

٢- الترابط والتكامل بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية

العقيدة الإلهية قائمة على ركنين أساسيين ، أولهما كتاب الله المنزل ، وثانيهما نبي الله المرسل ، فمحمد ﷺ هو القيادة السياسية المخولة بقيادة الدعوة والدولة والإيمان بقيادته السياسية وولايته جزء من الإيمان بالعقيدة الإلهية وأصل من أصولها وكذا الإيمان بقيادة طالوت السياسية كان جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإلهية النافذة آنذاك ، وكذلك الإيمان بقيادة داود ، وسليمان عليهما السلام .

ويؤكد هذا الترابط العضوي والتكامل المحتوم أن الله سبحانه وتعالى طوال التاريخ البشري لم يرسل رسالة إلى بني البشر بدون رسول ، ولم ينزل كتاباً إلا على عبد ، ليبين للمؤمنين أحكامه ويقودهم وفقها . ولو كان مجدياً فك الترابط بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية ، أو بين الكتاب والعبد ، لأرسل الله نسخاً من كل الكتب السماوية إلى كل إنسان بالغ ، وكلفه بفهمها والعمل بها ، ولما كانت هنالك حاجة لإرسال عشرات الآلاف من الأنبياء والرسل والمهدين .

فالقيادة السياسية بمثابة الهيئة التأسيسية ، فهي المختصة ببيان العقيدة وقيادة الأتباع وعمليات البيان والقيادة عمليات فنية تماماً كالطب أو علم الذرة أو علم الهندسة ، ومن المستحيل أن تترك لأهوائنا واجتهاداتنا .

٣- مؤهلات القيادة السياسية الإسلامية الشرعية

أول ولي وقائد سياسي للأمة الإسلامية هو محمد ﷺ ، فهو القدوة وهو المثال الذي يقاس عليه ، والذين تولوا الولاية والقيادة والمرجعية من بعده تولوها بوصفهم خلفاء للنبي . فالمؤهلات العلمية للنبي كولي وكقائد سياسي وكمراجع للأمة هي أنه أعلم أهل زمانه بالعبقيدة الإلهية ، وأفهم أهل زمانه بأحكامها ، وأفضل الموجودين من أتباعها ، وأنسبهم لقيادة ولايتها ومرجعيتها . وأي قيادة وولاية ومرجعية تأتي من بعده يجب أن تكون لها نفس المؤهلات ، فالولي القائد المرجع بعده يجب بالضرورة أن يكون: ١- الأعلم بالعبقيدة . ٢- الأفهم بأحكامها . ٣- أفضل الموجودين من أتباعها . ٤- أنسب هؤلاء الأتباع لقيادة الأمة . وهذه معايير موضوعية لكل من أراد الحق وجانب الهوى . فمن مصلحة كل المؤمنين أن يقودهم صاحب هذه الصفات ولا مصلحة لأحد منهم أن يتولى من لم تكن هذه صفاته .

ولا يوجد في الدنيا فرد أو جماعة أو أمة ، تستطيع أن تؤكد لنا على وجه الجزم واليقين أن هذا أو ذاك فيه هذه الصفات ، لأن إمكانياتهم وطاقاتهم العقلية والفطرية والعلمية لا تمكنهم من ذلك ، فهم لا يعرفون إلا الظاهر وأما البواطن فهم يجهلون ، وإذا اجتهدوا وحاولوا أن يبحثوا عن الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، فالنتائج التي يتوصلون إليها تقوم على الفرض والتخمين ، والمطلب الحقيقي للجميع ليس الفرض والتخمين ، إنما الجزم واليقين .

إذاً ، المختص بإعطاء المعلومات اليقينية القائمة على الجزم واليقين هو الله جل وعلا ، فهو نفسه الذي قدم لنا محمداً وأكد لنا أنه الأعلم والأفهم والأفضل

والأنسب وهو صاحب العقيدة والأحرص على مصلحتها ، والمعني تماماً بأن يقدم لنا من تتوفر فيه هذه الصفات في كل زمن بعد وفاة النبي وحتى تقوم الساعة . ومنذ اليوم الذي شرع فيه محمد ﷺ بالدعوة شرع بأمر من ربه بإعداد هذا الذي سيتولى الولاية والقيادة والمرجعية من بعده ، وبين الطريقة التي ستم بها عملية استكشاف من كانت هذه صفاته .

٤- القبول بالتكليف الإلهي

إذا قبلت الأمة بالتكليف الإلهي ، ووافقت على أن فلاناً هو الأعلم والأفضل والأفهم والأنسب ، فإنها تعبر عن قبولها بالمبايعة فتتفق إرادتها مع إرادة الله ، وغايتها مع غاية الله ، فيكون فلان هذا معيناً من الله ومقبولاً من الأمة ، فيستمد شرعية وجوده كولي وكقائد من مصدرين: الأول الله الذي كيف صفاته وعينه على أساسها ، والمصدر الثاني: الأمة التي قبلت بالتكليف الإلهي فبايعته على هذا الأساس وقبلت به ولياً وقائداً ومرجعاً . وبهذه الحالة تستقيم أمور الأمة وعقيدتها وقيادتها السياسية ، ويقطف الجميع أحلى الثمرات وأطيبها وتشق الدعوة والدولة طريقهما إلى الله بيسر ورخاء وريح مواتية ويتفياً الجميع في ظلال النعمة الإلهية .

٥- رفض التكليف الإلهي

إذا لم تقبل الأمة التكليف الإلهي بأن فلاناً هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب لقيادتها ، واجتهدت أو هكذا خيل إليها بأن فلاناً هو الأنسب لخلافة النبي من فلان ، فمعنى ذلك رفض التكليف الإلهي القائم على الجزم واليقين واستبداله بتكليف بشري قائم على الفرض والتخمين . وهذه العملية (الرفض

والإستبدال) لا تغير من الحقيقة شيئاً . وبما أن الولاية والقيادة والمرجعية اختصاص ، وحيث أن الشخص البديل غير مؤهل لهذا الإختصاص ، فتحدث تبعاً لذلك انهيارات متلاحقة تتوالى حتى تعصف بالأمة وتفرقها بعد وحدة وتذللها بعد عزة ، وتخرج رويداً رويداً من دائرة المنظومة الحقوقية الإلهية إلى دائرة العقل أو دائرة الفرض ، أو دائرة الشهوة ، أو مزيج من هذه الدوائر مجتمعة ، وتتوقف العقيدة عن العطاء ويحل غضب الله بالأمة ، ولا يزول إلا بإعادة الأمور إلى نصابها ، ووضع القيادة التي كيفها الله وعينها .

ومن الطبيعي أن الله لا يكره المريض على تناول العلاج ، ولا يجبر الضال على سلوك طريق الهدى ، إنما يقدم العلاج ويرغب به المريض ، ويبين طريق الهدى للضال ويشجعه على السير فيه ، فإذا رفض المريض مع سبق الإصرار فهو المفرط بحق نفسه ، وإذا رفض الضال طريق الهدى فجنايته على نفسه ، وعلى الذين ساروا خلفه . وهذه حال الذين رفضوا العقائد الإلهية ، أو كانوا على استعداد للنظر في العقائد الإلهية لكنهم غير مستعدين لموالاته الرسل !

أشكال رفض التكييف الإلهي

١ - الشكل الأول: رفض العقيدة الإلهية كقانون نافذ للأمة ، ورفض موالاته الذي عينه الله، وهذا الرفض يدخل صاحبه الكفر من أوسع الأبواب ، والعياذ بالله.

٢- الشكل الثاني: القبول بالعقيدة الإلهية وعدم القبول بولاية القيادة السياسية كإيمان بني اسرائيل بنبيهم ، ورفضهم موالاته طالوت لأنه ليس الأحق بالقيادة حسب رأيهم ، فبين الله سبحانه وتعالى لهم أنه زاده بسطة في العلم والجسم

ودعمه بالبيانات فقبلوه مكرهين ، وانتهى الرفض إلى القبول .

٣- الشكل الثالث: الإيمان بالعقيدة الإلهية وعدم القبول بولاية القيادة السياسية بتأويل مفاده أن الله لم يعين هذه القيادة إنما عينها النبي ﷺ حسب إجهاده كبشر ، وأنه لا حرج من مخالفة هذا الإجهاد ، لأن الذي اختاره النبي من بني هاشم ، وقد أعطى الله الهاشميين النبوة ، فالأفضل لمصلحة الجميع أن يهناً الهاشميون بالنبوة وأن يتولى الخلافة غيرهم ! أضف إلى ذلك أن الذي اختاره النبي فيه دعابة ، وعنده زهو بنفسه وما زال فتى ، وهنالك من هو أسن منه وهم مشيخة قريش .

لهذه الأسباب آمنوا بالعقيدة الإلهية ورفضوا موالاته الرجل الذي كيفه الله وعينه الرسول خليفة من بعده . وهذا ما حدث لعلي بن أبي طالب .



القيادة السياسية

١ - الإعداد الإلهي لخلافة النبي قبل أن يلد آدم

شاء الله تعالى أن يكون النبي العربي خاتم الأنبياء عليه السلام، وأن يكون دين الإسلام آخر الديانات السماوية ، وأن يتولى هذا النبي بيان هذا الدين عبر دعوة يقودها بنفسه تتمخض عن دولة الإيمان التي ترأسها بنفسه صلى الله عليه وسلم .

ومن خلال مرحلتي الدعوة والدولة تمَّ بيان الإسلام نظرياً ، وتحول النظر إلى التطبيق واتضح أدق خفاياه وأبرز معالمه ، وقد كان البيان المحمدي تصويراً فنياً بطيئاً مصحوباً بالصورة والصوت والحركة . وقد قضت مشيئة الله أن ينطلق النبي والى جانبه خليفته وأن يكونا معاً ، ثم يختار النبي صلى الله عليه وسلم ما عند الله ويسلم الراية لولي عهده وخليفته ، فينطلق على نفس البصيرة ، ويتابع نفس الطريق .

تلك هي الصورة الزاهية التي رسمتها العناية الإلهية وعرضتها على شاشة أذهان الذين آمنوا ، وتمنت عليهم لو عملوا على تنفيذها طوعاً وبدون إكراه ، لأن الصلة بين النبي وولي عهده تصلح أن تكون مناراً لنمط الأخوة الإيمانية ، وأسلوب تبعية الخط الإيماني . يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الإمام ابن حنبل: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما

خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزئين فجزء أنا وجزء علي^(١) فالله تعالى هو الذي خلق النورين وسيرهما معاً ثم وزع الأدوار بينهما . والله تعالى هو الذي اطلع إلى أهل الأرض فاختار منها رجلين أحدهما النبي ﷺ والآخر الولي^(٢) .

قبيل الدعوة

مات والد النبي ﷺ وهو في بطن أمه ، فكفله جده عبد المطلب ، ثم مات جد النبي فكفله عمه أبو طالب ، فأبو طالب عم النبي الشقيق ووالد الخليفة والولي من بعده . ويشب النبي وترعرع ويتزوج امرأة فاضلة ميسورة الحال وهي خديجة بنت خويلد ، ويكون لنفسه بيتاً ويستقل ، فألهمه الله أن يأخذ أحد أطفال عمه ليربيه وشاءت العناية الإلهية أن يكون هذا الطفل هو علي والخليفة والولي فيما بعد ، ونما الصبي ، وترعرع في كنف ابن عمه ولم يفارقه حتى اختص الله محمداً بالنبوة ثم لازمه حتى انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه .

٢ - بعد النبوة

تُبئ النبي ﷺ يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ، وتابع الفتى التصاقه بالنبي ولم يفارقه قط ، كانا في مكة معاً وفي المدينة ، وسكنا في بيت واحد طوال حياة النبي . فكان محمداً ﷺ هو الذي جاء بالصدق وعلي هو الذي صدق به ، فنزل

(١) رواه أحمد في مسنده وفي فضائل علي ، وصاحب الفردوس وزاد فيه: (ثم انتقلت حتى صرت في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية) وراجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ٢٥٢/٣ وما فوق .
(٢) راجع على سبيل المثال: المستدرك للحاكم: ١٢٩/٣ ، وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساکر: ٢٤٩/١ وتاريخ بغداد: ١٩٥/٤ وكنز العمال: ٣٩١/٦ و: ٩٥/١٥ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي/ ٢٩٧... إلخ .

فيهما قوله تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»^(١).

فما جادل النبي ولا عانده ، إنما كان الصديق لكل أقواله طوال حياته . كان فارسه الأول في كل حروبه ، ومن هنا سمي الصديق الأكبر بالنص الشرعي والفاروق الأعظم بالنص الشرعي^(٢) .

قال عليه السلام يصف علاقته بالنبي ﷺ في تلك الفترة: « وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره ، ويكتفني فراشه ، ويُمسني جسده ، ويُسمني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه... وما وجد لي كذبة في قول أو خبطة في فعل ، وكنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه ، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقتداء به ، وكنت في حراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة »^(٣).
وسئل قثم بن العباس: « كيف ورث علي رسول الله دونكم ؟ فقال: كان أولنا لحوقاً به وأشدنا به لصوقاً »^(٤).

(١) شواهد التنزيل للحسكاني: ١٢٠/٢ ومناقب علي لابن المغازلي/٣٦٩ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي/٢٣٣ والدر المنثور: ٣٢٨/٥ وتفسير القرطبي: ٢٥٦/١٥ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ٤١٨/٢ .

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ٧٦/١ ومجمع الزوائد: ١٠٢/٩ وكفاية الطالب ١٨٧ والإصابة: ١٧١/٤ والإستيعاب بهامش الإصابة: ١٧٠/٤ والغاية: ٢٨٧/٥ وميزان الاعتدال: ٤١٧/٢ وفرائد السمطين: ٣٩/١ و١٤٠ وذخائر العقبى للطبري/٥٦ والغدير للأميني: ٣١٣/٢ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد: ٣٣/٥ والسيرة الحلبية: ٣٨٠/١ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٦١/٣ .

(٣) راجع التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسني ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/٧٥-٧٦ .

(٤) أخرجه الضياء المقدسي في المختارة وابن جرير في تهذيب الآثار ح ٦١٥٥ من أحاديث الكنز: ٤٠٨/٦ ، وأخرجه النسائي في ١٨/ من الخصائص ، وابن أبي الحديد: ٢٥٥/٣ ، وراجع: ١٥٩/١ من مسند الإمام أحمد .

٣- إعلان الخلافة بعد النبوة

لما نزلت آية: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» قال النبي ﷺ في اجتماعه ببني هاشم: «يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب قد جاء قومه بأفضل مما جئتكم به . إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم ، فأبيكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي خليفتي فيكم بعدي؟ قال علي: فأحجم القوم منها جميعاً وقلت وإني لأحدثهم سناً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا... إلخ.»^(١)

هذا نص شرعي بأن علياً بن أبي طالب قد عينه الرسول ﷺ وصياً وخليفة من أول بعثته ، والسنة النبوية القول والفعل والتقرير جزء من العقيدة الإلهية ، ولم يرد ما يشير إلى نسخ هذا النص . وهو حديث صحيح ، صححه ابن جرير وأبو جعفر الإسكافي إذ أرسله صحته إرسال المسلمات كما يقول الإمام العاملي في مراجعاته ، وهو واضح المعاني ولا يمكن تأويله . فكيف تؤول الواضحات؟! ومن الطبيعي أن النبي لم يقل ما قاله في اجتماع بني عبد المطلب (الأقربين) من تلقاء نفسه ، إنما كان بأمر من ربه ، لأن النبي يتبع ما يوحى إليه ، ومن غير المعقول أن يعين النبي ولي عهده والخليفة من بعده بدون أمر ربه !

(١) تاريخ الطبري: ٢١٧/٢ . تفسير الطبري: ٧٥/١٩ . لباب التأويل للبغدادي الشهير بالخازن: ١٢٧/٥ . تفسير البغوي الفراء: ١٢٧/٥ على هامش تفسير الخازن . تفسير ابن كثير ، ٧٧٤/٣ . سيرة ابن كثير: ٤٥٨/١ عن البيهقي في الدلائل . الكامل لابن الأثير: ٦٢/٢ و ٦٣ . شرح النهج لابن أبي الحديد ، ٢١٠/١٣ و ٢٤٤ . السيرة الحلبي ، ٣١١/١ . ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ١٢٥/١ . وأخرجه بهذا المعنى الطحاوي والضياء المقدسي في المختارة وسعيد بن منصور في السنن وأحمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه من خصائص النسائي والذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته .

٤- الإعلان عن ولاية العهد والتوطيد للولي

١ - المنزلة: قال النبي لعلي على مسمع من المسلمين: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١) ففي هذا النص أعطى النبي لعلي كافة المنازل التي كانت لهارون ولم يستثن إلا النبوة ، واستثناء النبوة دليل على العموم كما يقول الإمام العاملي ومن أبرز المنازل التي كانت لهارون من موسى: وزارته وشد أزره ، وإشراكه في أمره ، وخلافته عنه ، وفرض طاعته على أمته ، بدليل قوله تعالى: «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . وَقوله تعالى: « وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » . وقوله تعالى مخاطباً موسى: « قَدْ أُوتِيَ سؤْلَكَ يَا مُوسَى » فعلي بحكم هذا النص خليفة النبي وولي عهده . وحديث المنزلة من أصح الآثار وقد بلغ من التواتر والشيوع أن رواه حتى معاوية إمام الفئة الباغية ! وقد كرر النبي الإعلان عن هذه المنزلة عشرات المرات .

٢ - الأخوة: وحتى يحكم الشرع الحلقة آخى الله بين النبي وبين علي وهذا شرف لم ينله غير علي ، ومرتبة لم يحصل عليها سواه ، وأعلن النبي هذه المؤاخاة^(٢) قبل الهجرة وبعد الهجرة وقد أكد النبي هذه الأخوة عشرات المرات

(١) راجع على سبيل المثال صحيح بخاري: ١٢٩/٥ ومسلم: ٣٦٠/٢ والترمذي: ٣٠٤/٥ وصححه ومسنده الإمام

أحمد: ٥٠/٣ والمستدرک للحاكم: ١٠٩/٣ وتاريخ الطبري: ١٠٤/٣ وتاريخ دمشق: ٣٠/١ .

(٢) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي/ ٢٣ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٠٧/١

و ١٥٠ وكثر العمال: ٢٩٠/٦ والمناقب للخوارزمي/ ٧ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/ ٢١ والمستدرک

للحاكم: ١٠٩/٣ وصحيح الترمذي: ٣٠/٥ وأسد الغابة لابن الأثير: ٢٢١/٢ و ١٣٧/٣ والإستيعاب بهامش الإصابة: ٣٥/٣

وطبقات ابن سعد: ٢٢٠/٣ ... إلخ فالذي يعرفه الجميع أن الرسول وعلي إخوة ، وأن أبا بكر وعمر إخوة .

في عشرات المناسبات حتى لا ينساها المسلمون^(١) مثل قوله ﷺ: بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي ، بأن الله زوج علياً فاطمة^(٢) ولما زفت فاطمة إلى علي قال الرسول ﷺ: « يا أم أيمن أدعي لي أخي ، فقالت: هو أخوك وتُنكحه ؟ قال: نعم .^(٣) وانظر إلى قوله ﷺ لعلي: «أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة» .^(٤) ومثل قوله لعلي: «وأما أنت يا علي فأخي ، وأبو ولدي ومني وإلي»^(٥)

وظل النبي يردد ويعلن هذه الأخوة طوال حياته ، ولما حضرته الوفاة قال: «أدعو لي أخي»^(٦) فدعوا علياً فقال له: أدن مني فدنا منه وأسنده إليه ، فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية» . من هنا فقد كان يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب»^(٧) ومن الأمور التي كان يعرفها العامة والخاصة أن علياً كان أخ النبي ، وأن أبا بكر كان أخ عمر ، وقد أوصى أبو بكر بالخلافة لأخيه عمر من بعد ، ونفذت وصيته .

٣ - الولاية: أعلن النبي للمسلمين أن الولي بعده هو علي حيث قال له: «أنت

(١) ذكره أصحاب السنن في مسانيدهم وذكر الفخر الرازي في تفسيره: ١٨٩/٢ ، إذ جاء بالحديث القدسي: (إني آخيت بينه وبين محمد...) في حديث المبيت على الفراش .

(٢) المناقب للخوارزمي ٢٤٦/٢ ومقتل الحسين للخوارزمي: ٦٠/١ وأسد الغابة: ٢٠٦/١ والصواعق المحرقة: ١٧١ .

(٣) راجع خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي/ ١١٥ وذخائر العقبى للطبري ...

(٤) ذكره ابن عساكر في تاريخه: ١٢٢/١ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد: ٤٦/٥ .

(٥) ذكره الخوارزمي .

(٦) الطبقات لابن سعد: ٢٦٣/٢ وقريب منه ما ذكره الخوارزمي في المناقب: ٢٩ .

(٧) ابن ماجه: ٤٤/١ وتاريخ الطبري: ٣١٠/٢ والاستيعاب بهامش الإصابة: ٣٩/٣ والكامل: ٥٧/٢ وابن عساكر: ١٢٠/١ .

ولي في الدنيا وفي الآخرة»^(١) وقال له: «أنت ولي كل مؤمن بعدي»^(٢)

وعندما بعثه لفتح اليمن ، فاصطفى عليّ لنفسه من الخمس جارية فأنكروا عليه وشكوه للرسول فقال ﷺ: «إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ إنه وليكم بعدي»^(٣) وطالما أعلن النبي وكرّر: «من كنت وليه فهو وليه ، ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه» . وقال وهب بن حمزة: سافرت مع علي فرأيت منه جفاء ، فقال لي النبي ﷺ: «لا تقولن هذا لعلي ، فإنه وليكم بعدي»^(٤) .

وهذه النصوص وغيرها من الذبوع والإنتشار بحيث أنها لا تخفى على أحد . فقول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» قاله أمام أكثر من مائة ألف كما سنرى ، ولم يكتف النبي ﷺ بذلك فكانت أوامره واضحة بأهمية هذه الموالات وأثرها في الدنيا والآخرة ، وأن من يتولى علياً ويحبه هو تماماً كمن يتولى النبي ﷺ ويحبه ومن يبغضه كمن يبغض النبي ﷺ ! فقد خاطب أصحابه

(١) صرح الذهبي بصحته في تلخيص المستدرک وذكره ابن حجر في صواعقه باب ١٦/١٢ ومسلم في فضائل علي في صحيحه: ٢٤/٢ والحاكم في مستدرک: ١٠٩/٤ وابن حجر في صواعقه باب ١٠٧/١١ وقال إن أحمد أخرجه وصححه وراجع صحيح بخاري: ٥٨/٢ ومسلم: ٣٢٣/٢ و: ١٠٩/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢٥/٥ بسند صحيح ، والإستيعاب بهامش الإصابة: ٢٨/٣ والإصابة: ٥٠٩/٢ وينابيع المودة: ٥٥/ ١٨٢ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ٦٤/ ومستدرک الحاكم: ٣٤/٣ وتلخيص المستدرک للذهبي وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٨٤/١ ح ٤٩٠ .. إلخ .

(٣) راجع صحيح الترمذي: ٢٩٦/٥ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٩٧/ والمناقب للخوارزمي: ٩٢/ والإصابة لابن حجر: ٥٠٩/٢ ونور الأبصار للشبلنجي: ١٥٨/ وحلية الأولياء: ٢٩٤/٦ وأسد الغابة: ٢٧/٤ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٨١/١ ومصابيح السنة للبغوي: ٢٧٥/٢ وجامع الأصول: ٤٧٠/٢ وكنز العمال: ١٢٤/١٥ وينابيع المودة للقندوزي: ٥٣/ وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ٣٦/ والغدير: ٢١٦/٣ ومطالب السؤل لابن طلحة الشافعي: ٤٨/١ ، وراجع: ١٣٤/ من ملحق المراجعات تحقيق السيد حسين راضي .

(٤) الإصابة لابن حجر: ٦٤١/٣ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٨٥/١ ح ٤٩١ وينابيع المودة للقندوزي: ٥٥/ والغدير للأميني: ٢١٦/٣ وقريب منه في أسد الغابة: ٩٤/٥ ومجمع الزوائد: ١٠٩/٩ .

قائلاً: «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله، ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل»^(١) وقال لهم يوماً: «اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب، فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله تعالى»^(٢) وأعلن النبي ﷺ: «من أراد أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول علياً بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»^(٣)

٥- تتابع الإعلان عن الولاية والتوطيد كان يجري بأمر الله

ولتوطيد ولاية علي نزلت آية الولاية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(٤) وقد نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين ﷺ وهو راع استجابة لدعوة الرسول ﷺ: «وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي»^(٥).

(١) راجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٩٣/٢ ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي/٢٣٠ ح ٢٧٧ و ٢٧٩ ومجمع الزوائد: ١٠٨/٩ وينايع المودة للقندوزي الحنفي/٢٨٢ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد: ٣٢/٥ وإحقاق الحق: ٤٣٤/٦، وفضائل الخمسة: ٢٠٢/١ وفرائد السمطين: ٢٩١/١ وملحق المراجعات/٢٩.

(٢) راجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ٩١/٢ ح ٥٩١.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٣٤٩/٤ - ٣٥٠، ومجمع الزوائد: ١٠٨/٩ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ٩٣/٢ ح ٦٠٢ وفضائل الخمسة: ٢١٣/٢، وإحقاق الحق: ١٠٨/٥ وفرائد السمطين للحموي: ٥٥/١.

(٤) سورة المائدة آية ٥٥ - ٥٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٨٨/٦، وأسباب النزول للواحدي/١٤٨، وشواهد التنزيل: ١٦١/١ و٢١٦، وعشرات المصادر.

الولي هو السيد والإمام والقائد

قال النبي ﷺ لأصحابه: «أوحى الله إليّ في علي ثلاثاً: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين وقائد الفر المحجلين»^(١) وقال لهم مرة: «أوحى الله إليّ في علي أنه سيد المسلمين وولي المتقين وقائد الفر المحجلين»^(٢) وقال له يوماً أمام أصحابه: «مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين»^(٣) وفي جلسة من جلساته مع أصحابه قال لهم: «أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الفر المحجلين. فدخل علي فنهض النبي وعانقه»^(٤).

وبين يوماً لأصحابه قائلاً: «إن الله عهد إليّ في علي عهداً فقلت: يا رب بينه لي،

-
- (١) المعجم الصغير للطبراني: ٨٨/٢ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي/٦٥:٩٣ و ١٠٤ ح ١٤٦ و ١٤٧ والمناقب للخوارزمي الحنفي/٢٣٥ ودرر السمطين للزرندي الحنفي/١١٤ والفصول المهمة/١٠٧ ومجمع الزوائد: ١٢١/٩ وأسد الغابة: ٦٩/١ و: ١١٦/٣ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥٧/٢ وفضائل الخمسة: ١٠٠/٢ وينايع المودة/٨١ وإحقاق الحق: ١١/٤ وفرائد السمطين: ١٤٣/١ وملحق المراجعات/١٤١-١٤٢.
- (٢) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥٧/٢ ح ٧٧٢ والرياض النضرة: ٢٣٤/٢ وذخائر العقبى/٧٠ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد: ٣٤/٥.
- (٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٦/١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٤٠/٢ وكنز العمال: ١٥٧/١٥ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٧٠/٩ ونظم درر السمطين/١١٥ ومطالب السؤل: ٤٦/١ وينايع المودة/١٨١ و٣١٣ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ٥٥/٥ وفرائد السمطين: ١٤١/١.
- (٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦٩/٩، وحلية الأولياء: ٦٣/١ والمناقب للخوارزمي/٤٢ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٨٧/٢ ح ١٠٠٥ ومطالب السؤل: ٦٠/١ والميزان الذهبي: ٦٤/١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي/٢١٢ وينايع المودة للقندوزي الحنفي/٣١٣ وفضائل الخمسة: ٢٥٣/٢ وفرائد السمطين: ١٤٥/١.

قال: إسمع: إن علياً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني»^(١) .
 وخاطب النبي الأنصار قائلاً: « يا معشر الأنصار ، ألا أدلكم على ما إن تمسكنم
 به لن تضلوا بعدي أبداً ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: هذا علي فأحبوه بحبي ،
 وأكرموه بكرامتي ، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل»^(٢) .
 وفي يوم من الأيام قال لمن حوله: «أدعو لي سيد العرب علياً . فقالت عائشة:
 ألسنت سيد العرب ؟ فقال ﷺ: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب . فلما جاء
 علي أرسل إلى الأنصار وقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم ... الحديث السابق»^(٣)
 وقال النبي لعلي في جمع من أصحابه: «النظر إلى وجهك يا علي عبادة . أنت
 سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، من أحبك أحبني ، وحببي حبيب الله ، وعدوك
 عدوي ، وعدوي عدو الله ، الويل لمن أبغضك»^(٤) .

١- أبرز المؤهلات العلمية للولي بعد النبي ﷺ

قال النبي ﷺ لأصحابه موضحاً علم علي: «أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ومن

(١) حلية الأولياء: ٦٧/١ وشرح النهج: ٦٧/٩ ومناقب الخوارزمي ٢١٥/ و٢٢٠ ونظم درر السمطين ١١٤ وترجمة علي
 من تاريخ دمشق: ١٨٩/٢ ح ٦٧٢ ومناقب علي لابن المغازلي ٤٦ وكفاية الطالب ٧٣/ وينايع المودة ٣١٢/ ومطالب
 السؤل: ٤٦/١ وإحقاق الحق: ١٦٨/٤ وفرائد السمطين: ١٤٤/١ و ١٥١ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٧٠/٩ وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٣/١ ومجمع الزوائد: ١٣٢/٩ وكفاية الطالب
 للكنجي الشافعي ٢١٠/ وينايع المودة للقدوزي الحنفي ٣١٣/ وكنز العمال: ١٢٦/١٥ والرياض النضرة: ٢٣٣/٢
 وفضائل الخمسة: ٩٨/٢ ومطالب السؤل لابن طلحة: ٦٠/١ ، وفرائد السمطين: ١٩٧/١ ح ١٥٤ .

(٣) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ، ونقله ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٢٥١/٣ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ، وكان ابن عباس يفسر هذا الحديث ويقول: إن من ينظر إليه يقول: سبحان الله ما أعلم
 هذا الفتى ، سبحان الله ما أشجع هذا الفتى ، سبحان الله ما أفصح هذا الفتى . وشرح النهج: ٢٥٣/٣ .

أراد العلم فليات الباب»^(١) وقال لهم مرة: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»^(٢) وقال لهم
ثالثة: «أنا مدينة الحكمة وعلي بابها»^(٣) وقال لهم مرة رابعة: «علي باب علمي ومبين
من بعدي لأمتي ما أرسلت به ، حبه إيمان وبغضه نفاق»^(٤) . وقال لعلي أمام أصحابه:
«أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي»^(٥) وكان النبي ﷺ يقول: «كفي وكف علي
في العدل سواء»^(٦) وكان علي يقول: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن نزلت ،
وأين نزلت ، وعلى من نزلت . إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقاً»^(٧)
وكان يقول: «سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم
بنهار ، وفي سهل أم جبل»^(٨) وقال الإمام أحمد: «ما جاء لأحد من أصحاب
رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي»^(٩) وقال ابن عباس: «ما نزل في أحد من

(١) مصادر هذا النص الشرعي لاتحصى نذكر منها على سبيل المثال: ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن
عساكر: ٤٦٤/٢ ح ٩٨٤-٩٩٧ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧٠/١ ومقتل الحسين للخوارزمي: ٤٣/١ والإستيعاب بهامش
الإصابة: ٣٨/٣ والميزان للذهبي: ٤١٥/١ والفتح الكبير للنبهاني: ١٧٦/١ والجامع الصغير للسيوطي: ٩٣/١ ومنتخب
الكنز بهامش مسند أحمد: ٣٠/٥ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٢١٩/٧ تحقيق محمد أبو الفضل إلخ.

(٢) ورد هذا النص بعشرات المراجع ، منها صحيح الترمذي: ٣٠١/١ ح ٣٨٠٧ وحلية الأولياء: ٦٣/١ ومناقب علي
لابن المغازلي: ٨٧/١ ح ١٢٩ وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ١٤٠/١ وذخائر العقبى للطبري: ٧٧/١ والصواعق
المحرقة لابن حجر: ١٢٠/١ و ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٥٩/٢ وفضائل الخمسة: ٢٤٨/٢ ومصايح
السنة للبغوي: ٢٧٥/٢ والجامع الصغير للسيوطي: ٩٣/١ ومنتخب الكنز: ٣٠/٥ إلخ .

(٣) مناقب علي لابن المغازلي: ٨٦/١ وفتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي: ٢٦/١ .

(٤) فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي: ١٨/١ والغدير للأميني: ٩٦/٣ .

(٥) ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٤٨٨/٢ ح ١٠٠٨ و ١٠٠٩ ومقتل الحسين للخوارزمي: ٨٦/١ والمناقب
للخوارزمي: ٢٣٦/١ وينايع المودة للقندوزي: ١٨٢/١ ومنتخب الكنز: ٣٣/٥ ، وملحق المراجعات: ١٤٦/١ .

(٦) راجع الحديث ١٥٣:٦/٢٥٣٩ من أحاديث الكنز .

(٧) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٨٥/١ .

(٨) تاريخ الخلفاء: ١٨٥/١ .

(٩) أخرجه الحاكم: ١٠٧/١ من صحيحه ولم يتعقبه الذهبي .

كتاب الله ما نزل في علي» وقال مرة أخرى: «نزل في علي ٣٠٠ آية» وقال مرة
ثالثة: «ما أنزل الله: يا أيها الذين آمنوا، إلا وعلي أميرها وشريفها». ^(١) ونختم
بقوله ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض» ^(٢).
إن ولاية علي وخلافته للنبي قضية دينية وإيمانية من كل الوجوه، ها هو
النبي ﷺ يقول لأصحابه: «علي بن أبي طالب باب حطة، من دخل منه كان مؤمناً
ومن خرج منه كان كافراً» ^(٣) وانظروا إلى النص الشرعي القاطع: «علي مني وأنا من
علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي» ^(٤) وقوله ﷺ لعلي أمام الصحابة: «يا علي
من فارقتني فقد فارق الله ومن فارقك يا علي فارقتني» ^(٥) وقوله ﷺ: «أنا المنذر وعلي
الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي» ^(٦) وقول النبي لأصحابه: «أنا وهذا

-
- (١) ابن عساكر راجع ٧٦ من الصواعق المحرقة، وتاريخ الخلفاء وكتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب الأول.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير راجع تاريخ الخلفاء ١٧٣ للسيوطي.
(٣) ينابيع المودة ١٨٥/ ٢٤٧ و ٢٨٤ والجامع الصغير: ٥٦/٢ ومنتخب كثر العمال بهامش مسند الإمام
أحمد: ٣٠/٥ والصواعق المحرقة لابن حجر ٧٥.
(٤) سنن ابن ماجه: ٤٤/١ ح ١١٩ والترمذي: ٣٠٠/٥ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ٢٠/ وترجمة علي من تاريخ
دمشق لابن عساكر: ٣٧٨/٢٣ ح ٨٧٥ - ٨٨٠ والمناقب للخوارزمي والصواعق المحرقة ١٢٠/ والجامع الصغير
للسيوطي: ٥٦/٢ ومصابيح السنة: ٢٧٥/٢ والأصول لابن الأثير: ٤٧١/٩ والمشكاة للعمري: ٢٤٣/٣ ... إلخ.
(٥) المستدرک للحاكم: ١٤٦/٣ وذخائر العقبى / ٦٦. ومجمع الزوائد: ١٣٥/٩ وتاريخ دمشق: ٢٦٨/٢ وميزان
الذهبي: ١٨/٢.
(٦) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤١٧/٢ والفصول المهمة ١٠٧/ ومنتخب الكثر بهامش مسند
أحمد: ٣٤/٥ وتفسير الطبري: ١٠٨/١٣ وتفسير ابن كثير: ٥٠٢/٢ وتفسير الشوكاني: ٧٠/٣ وتفسير الفخر الرازي: ٢٧١/٥
والمستدرک للحاكم: ١٢٩/٣ - ١٣٠ والدر المنثور: ٤٥/٤ وزاد المسير: ٣٠٧/٤. إلخ. وراجع ٥١ من ملحق
المراجعات.

يعني علياً حجة على أمتي يوم القيامة»^(١) وقوله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أخو رسوله»^(٢) وقوله: «مكتوب على ساق العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته بعلي»^(٣) ثم انظر إلى قوله ﷺ وهو يخاطب الأنصار: «فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل»^(٤).

٢- ولي الله وخليفة رسوله هو فارس الإسلام

أثناء حروب الكفر مع الإيمان تألق نجم علي ، وأصبح فارس الإسلام الأوحده فلا مثيل له في الأولين والآخرين . وقد قال لطلحة والزبير قبل وقفة الجمل ليقيم الحجة عليهما: «أستحلف عائشة بحق الله وبحق رسوله علي أربع خصال ، أن تصدق فيها ، هل تعلم من قريش أولى مني برسول الله وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين ، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي»^(٥).

وأول لواء عقد في الإسلام كان لحمزة بن عبد المطلب . وفي كل معارك الإسلام في زمن النبي كان اللواء إما بيد علي أو بيد حمزة^(٦) وأول من برز للقتال في معركة بدر هو حمزة وعلي وعبيد الله ، وفي كل المعارك كان علي هو الفارس الأول بعد النبي وقال رسول الله ﷺ: «سأعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله

(١) ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٢/٢٧٣ ح ٧٩٣-٧٩٥ ومنتخب الكثر بهامش مسند الإمام أحمد: ٥/٩٤ ومناقب علي لابن المغازلي ، والميزان للذهبي: ٤/١٢٨ .

(٢) حلية الأولياء: ٧/٢٥٦ ومناقب ابن المغازلي/٩١ ح ١٣٤ ومناقب الخوارزمي/٨٨ ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/٣٨ وتذكرة الخواص / ٢٢ ، وذخائر العقبى للطبري/٦٦ والميزان للذهبي: ٢/٧٦ و: ٣/٣٩٩ وترجمة علي من تاريخ دمشق: ١/١١٩ ومنتخب الكثر: ٥/٣٥ من مسند الإمام أحمد ، الهامش ، وكنز العمال: ١٥/١٢١ إلخ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢/٣٥٣ ومجمع الزوائد: ٩/١٢١ وحلية الأولياء: ٣/٣٦ ومسند الإمام أحمد: ٥/٣٥ الهامش والرياض النضرة للطبري: ٢/٢٢٧ وفرائد السمطين: ١/٢٣٦ .

(٤) حلية الأولياء: ١/٦٣ وشرح النهج: ٩/١٧٠ وكفاية الطالب/١٠٢٠ وكنز العمال: ١٥/٢٦ ... إلخ .

(٥) الإمامة والسياسة/٧٠-٧٢ لابن قتيبة .

(٦) الطبقات لابن سعد: ٢/٨ و٩ و٢٩ و٣١ و٤٩ و٥٨ و٥٩ و٧٤ و١٠٦ و١٥٠ .

ورسوله ، يفتح الله على يديه . فلما أصبح الناس غدوا كلهم على رسول الله ، كل يرجو أن يعطاها ، فقال الرسول: أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل له: هو يشتكي من عينه ، فدعا له رسول الله فبرئء حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية وفتح الله على يديه خيراً^(١) . وتناول علي باباً عند حصن خيبر فترس به ، فلم يزل في يديه وهو يقاتل حتى فتح الله خيراً ، ثم ألقاه وعجز ثمانية نفر عن قلب ذلك الباب^(٢) .

وفي غزوة الخندق ، برز عمرو بن عبد ود وهو يقول: « ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز » ! فلم يجبه غير علي ولم يذقه الردى غير علي^(٣) .

سل بدرأ ، وأحدأ ، وخيبرأ . وحينئذ ، وكل المواقع: متى هرب علي أو تقاعس رجل من العترة الطاهرة عن نصره الإسلام؟ إن من يدعي بأنه بزّ علياً أو ضحى أكثر منه ، أو قاتل بأفضل من قتاله فهو كاذب . فبطولاته جعلته نجماً متألقاً وفارس الإسلام الأوحده . من الذي تصدى لعتبة وشيبة والوليد بن عتبة سادات بني أمية وقتلهم؟ ومن قتل العاص بن سعيد بن العاص ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والعاص بن هشام بن مغيرة خال عمر بن الخطاب !^(٤) وهناك إجماع على أن أبطال بدر علي وحمزة وعبيد الله ، وكلهم من العترة الطاهرة ، وقد أجمع قتلهم لأولئك الصناديد نار الحقد والكراهية على علي وأهل البيت . وكمثال على تقييم الله لعمل هذا الفارس الفريد ، قال النبي ﷺ: « لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبد ود يوم الخندق ، أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة »^(٥) .

(١) رواه مسلم وبخاري والطبراني وأكثر المؤرخين وأصحاب السنن .

(٢) رواه مسلم وبخاري ، وراجع ١٦٧/ من تاريخ الخلفاء للسيوطي .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد: ٦٨/٢ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد: ١٧/٢ - ١٨ .

(٥) فراند السمطين للحمويني: ٢٥٩/١ ح ١٩٨ وراجع مقتل الحسين للخوارزمي: ٤٥/١ والمناقب للخوارزمي ٥٨/

وشواهد التنزيل للحسكاني: ٨/٢ والمستدرک للحاكم: ٢٧/٣ .

الفصل الرابع

تزويج الله فاطمة لوليه وخليفة نبيه ﷺ

فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين^(١) وأحب عقب النبي إليه ، رضاه من رضاها وسخطه من سخطها ، كما يجمع على ذلك أهل الملة .^(٢)

كان يتمناها كل وجيه ، لأنها جمعت كل ما يحتاجه الرجل من المرأة المثلى وقد تقدم إليها الخُطَّاب ورفض النبي تزويجها ، خطبها أبو بكر فرفض النبي تزويجها له ، وخطبها عمر فرفض النبي تزويجها له^(٣) وقال إنه ينتظر أمر ربه .

وفي يوم من الأيام جاءت البشارة وزفها النبي لأصحابه فقال لهم: « بشارة أتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي ، بأن الله زوج علياً من فاطمة^(٤) »

ولطالماً ذكَّر النبي فاطمة بهذه النعمة الإلهية ، ولطالماً حدث أصحابه بذلك كقوله ﷺ لفاطمة: «أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين ، أحدهما أبوك والآخر بعلك^(٥) » وقالت له مرة: « يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير لامال له !

(١) الاستيعاب البر بهامش الإصابة: ٣٧٧/٤ و ٢٨٤ و ٢٨٥ والإصابة: ٣٧٨/٤ وأسد الغابة: ٤٣٧/٥ وذخائر العقبى: ٤٤/.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٥ وما فوق ، تجد محاورتها مع أبي بكر وعمر واستشهادها بذلك .

(٣) كفاية الطالب للكنجي الشافعي/٣٠٢ و ٣٠٤ ومجمع الزوائد: ٢٠٥/٩ و ٢٠٦ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي/١١٤ والصواعق المحرقة/١٣٩ ونظم درر السمطين/١٤٨ وذخائر العقبى /٢٧ ومناقب علي لابن المغازلي/٣٤٦ وتذكرة الخواص / ٣٠٦ وأسد الغابة: ٣٨/١ والإصابة: ٣٤٧/١ وجامع الأصول: ٤٧٤/٩ ، وشرح النهج: ٢٦١/٣ والسيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية: ٧/٢ وتاريخ بغداد: ٣٦٣/١ والطبقات لابن سعد: ٢٤٠/٢ ... إلخ .

(٤) المناقب للخوارزمي/٢٤٦ ومقتل الحسين: ٦٠/١ وينايع المودة/٣٠٤ وأسد الغابة: ٢٠٦/١ والصواعق/١٧١ .

(٥) ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٢٤٩/١ وتذكرة الخواص/٣٠٨ وكنز العمال: ٩٥/١٥ والرياض النضرة: ٢٤٠/٢ .

فأجابها النبي: يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك؟^(١) وعاد النبي ﷺ فاطمة في مرضها فقال لها: «كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي . فقال لها: أما ترضين أني زوجتك أقدم أمي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلاًماً»^(٢)

١- الذرية المباركة

أعلن النبي ﷺ للمسلمين: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب علي»^(٣) وقال ﷺ: «كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم»^(٤) وقال ﷺ أيضاً: «وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي»^(٥) وقال مشيراً لعلي: «هذا أخي وابن أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي»^(٦) وليس صدفة أن تنحصر ذرية النبي بولد فاطمة ، وأنه ليس له ولد إلا ولد فاطمة ، وطالما ردد بفرحٍ أمام جموع الصحابة: «هذا ابني الحسن وهذا ابني الحسين ، وإن الله سماهما باسميهما فهما سيدا شباب أهل الجنة في الجنة وريحانتي من هذه الأمة». وبالرغم من المحاولات المستميتة لإبادة نسل النبي وسم الحسن وقتل الحسين ، إلا أنه تحدر من هذه السلالة المباركة اثنا عشر إماماً آخرهم المهدي المنتظر ﷺ .

(١) المستدرک للحاکم: ١٢٩/٣ وتاریخ دمشق ترجمة علي: ٢٤٩/١ وتذكرة الخواص/٣٠٩ وینایع المودة للقدوزي/٤٢١ وكفاية الطالب للكنجي/٢٩٧ وكنز العمال: ٣٩١/٦ و٩٥/٥ وإحقاك الحق: ٢٦٦/٥ وتاریخ بغداد: ١٩٥/٤ و١٩٦ .

(٢) نظم الدرر السمطين/١٨٨، وشرح النهج: ٢٦١/٣، ومنتخب الكثر بهامش أحمد: ٣١/٥ والرياض النضرة: ٥٥/٢ .

(٣) راجع كنز العمال: ١٥٢/٦ الحديث ٥٢١٠ .

(٤) حديث ٢٢ من الفصل ٢ من الصواعق المحرقة/١١٢ وراجع: ١٦٤/٣ من مستدرک للحاکم وصححه .

(٥) راجع المناقب للخوارزمي/٢٧ .

(٦) راجع الغدير للأميني: ١١٩/٣ .

٢- سكن النبي وخليفته من بعده

نظمت العناية الإلهية حتى سكن النبي وخليفته من بعده ، واستقطبت حوله الأسماع والأذهان ليبقى هذا التمييز واضحاً . فقد وقف الرسول خطيباً فقال: «إن رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم ، والله ما أخرجتهم وأسكنته ، بل الله أخرجهم وأسكنه ! إن الله عز وجل قد أوحى إلى موسى وهارون أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ، وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي ، ولا يحل لأحد منكم أن ينكح فيه النساء إلا هو»^(١) وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال العباس: «تخرجنا وتسكن علياً؟ فقال ﷺ: ما أخرجتكم وأسكنته ولكن الله أخرجكم وأسكنه»^(٢) .

وكان لنفر من أصحاب الرسول أبواب شارع على المسجد ، فقال ﷺ: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي» فتكلم الناس في ذلك فقام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي ، فقال فيه قائلكم ! وإني ما سددت شيئاً ولا فتحت ، ولكن أمرت بشئ فاتبعته»^(٣) وقال ﷺ: «ما أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته ، إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي»^(٤) «إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنت وهارون ، وإن الله أوحى إلي أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي»^(٥) .

(١) راجع المراجعات/١٦١-١٧٥ وينابيع المودة للقندوزي من كتاب فضائل أهل البيت باب ١٨ .

(٢) ابن ماجه: ٩٢/١ والترمذي والنسائي ح ٢٥٣١ من الكنز: ١٥٣/٦ وأخرجه أحمد في مسنده: ١٦٤/٤ و: ١٥١/١ .

(٣) مسند الإمام أحمد: ٣٦٩/٤ والضياء المقدسي والطبراني ومنتخب الكنز: ٣٩/٥ من مسند الإمام أحمد على

الهامش .

(٤) أخرجه الطبراني كما ذكره صاحب منتخب الكنز: ٢٩/٥ من مسند الإمام أحمد .

(٥) راجع الصواعق المحرقة/١٠٦ لابن حجر المقصد الخامس من مقاصد الآيات ٤ .

٣- علي وصي النبي

أكد النبي ﷺ أن الوصي بعده علي فقال: «هذا أخي ووصيي وخليفتي» وحديث الدار صحيح^(١) وكرر النص بالوصاية حيث قال: «لكل نبي وصي ووارث ، وإن علياً وصيي ووارثي»^(٢) لكل نبي وصي ووارث ، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب»^(٣) وقوله ﷺ: «إن وصيي وموضع سري ، وخير من أترك بعدي ، ينجز عدتي ويقضي ديني: علي بن أبي طالب»^(٤) وقال لأنس بن مالك: «يا أنس أول ما يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين . فدخل علي» . راجع تمة الحديث .^(٥) وقال لفاطمة: «يا فاطمة أما علمت أن الله عز وجل اطّلع على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً ، ثم اطّلع ثانية فاختر بعلك ، فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصياً»^(٦) وبعد وفاة النبي ﷺ احتج الحسن بن علي بالوصية ، فقال في خطبته: «أنا ابن النبي وأنا ابن الوصي»^(٧) وقد شاعت الوصية في الأدب ، شعره ونثره^(٨) وانظر إلى قول

(١) الطبري: ٣١٩/٢ والكامل: ٦٢/٢ و٦٣ والسيرة الحلبية: ٣١١/١ وأحمد: ٤١/٥ و٤٢ ، وتاريخ دمشق: ٨٥/١ الخ .

(٢) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥/٣ ومناقب علي لابن المغازلي/ ٢٠٠ والمناقب للخوارزمي/ ٤٢ وذخائر العقبي للطبري ، والميزان للذهبي: ٢٧٣/٢ وينايع المودة للقندوزي الحنفي/ ٢٣٢ و ٢٤٨ .

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٥/٣ والمناقب للخوارزمي/ ٤٢ والمناقب لابن المغازلي/ ٢٠٠ والميزان للذهبي: ٢٧٣/٢ ... الخ .

(٤) مجمع الزوائد: ١١٣/٩ وكنز العمال: ١٥٤/٦ ومسند الإمام أحمد: ٣٢/٥ الهامش .

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٣/١ وشرح النهج: ١٦٩/٩ ، والمناقب للخوارزمي/ ٤٢ وكفاية الطالب للكنجي/ ٢١٢ وميزان الاعتدال للذهبي: ٦٤/١ وفضائل الخمسة: ٢٥٤/٢ ومطالب السؤل لابن طلحة/ ٢١ .

(٦) كفاية الطالب/ ٢٩٦ ومجمع الزوائد: ٢٥٣/٨ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/ ٢٨١ ومناقب علي لابن المغازلي/ ١٠١ وينايع المودة/ ٩٢ والغدير: ٢٣/٣ وملحق المراجعات/ ٢٤٤ .

(٧) ذخائر العقبي/ ١٣٨ .

(٨) وقعة صفين/ ٢٢٧ ، ومروج الذهب: ٢٣٨/٢ ، ومناقب الخوارزمي/ ٣٨ والعقد الفريد: ٤١١/٤ .

جابر: «حدثني وصي الأوصياء يعني علياً»^(١).

إنكار الوصية

وقد أنكر بخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قد أوصى ، واستندوا إلى الحديث المنسوب لعائشة ، أن النبي مات بين سحرها ونحرها وعلى فخذها ولم يوص ! لكن الرسول لم يمت على الصورة التي نسبت لأم المؤمنين ، إنما مات على صدر علي ، وتلك حقيقة أقرها الخليفة عمر بن الخطاب فقد سأله كعب: «ما كان آخر ماتكلم به رسول الله ؟ فقال عمر: سل علياً فروى علي كيف مات رسول الله وماذا قال..». ولما حضرته الوفاة قال ﷺ: «أدعو لي أخي فدعوا علياً فقال: أدن مني فدنا منه فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية ، فأصابه بعض ريقه»^(٢) وروى البخاري أن الرسول قد أوصاهم: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه، وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها»^(٣).

اختصاص الولي بمزايا خاصة ، وتحسينه

قال النبي ﷺ لعلي في محضر من أصحابه: «يا علي أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش: أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ،

(١) ميزان الاعتدال: ٨٣/١ ، وملحق المراجعات/٢٨٤ .

(٢) الطبقات لابن سعد: ٢٦٢/٢ - ٢٦٤ وح ١٥٥:٤/١١٠٧ من كنز العمال وح ٣٩٢:٦/١٠٠٩ وح ٥٥:٤/١١٠٦ وح

٥٥:٤/١١٠٨ من الكنز ، والطبقات: ٥١/٢ و ١٩٦:٢ من شرح النهج وقد روي هذا الحديث علي وابن عباس وأم

سلمة وعبدالله بن عمر ، وسائر أئمة أهل البيت الكرام .

(٣) صحيح بخاري كتاب النبي إلى كسرى وقيصر ، باب مرض النبي ووفاته: ١٣٧/٥ .

وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية»^(١) وقال لأصحابه يوماً: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٢) وقال لهم يوماً: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»^(٣).

قال النبي لعلي في محضر من صحابته: «يا علي من فارقتني فقد فارق الله ، ومن فاركك يا علي فارقتني»^(٤) وقال لأصحابه: «من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه الله على منخريره في النار»^(٥) «من آذى علياً فقد آذاني»^(٦) «من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»^(٧)

- (١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٥/١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١٧/١ ح ١٦٠ ، والرياض النضرة للطبري: ٢٦٢/٢ ومطالب السؤل: ٩٥/١ وشرح النهج: ١٧٣/٩ والمناقب للخوارزمي: ٧١/١ وميزان الذهب: ٣١٣/١ وكفاية الطالب: ٢٧٠/١ والغدير: ٩٦/٣ وينايع المودة: ٣١٥/١ ومنتخب الكثر بهامش مسند أحمد: ٣٤/٥ وفراد السمتين: ٢٢٣/١ ح ١٧٤ .
- (٢) المناقب للخوارزمي: ١١٠/١ والمعجم الصغير للطبراني: ٥٥/١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٣٩٩/١ وكفاية ابن حجر: ١٢٢/١ و١٢٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٧٣/١ ونور الأبصار: ٧٣/١ والغدير للأميني: ١٨٠/٣ وينايع المودة للقدوزي: ٤٠/١ و٩٠ و ١٨٥ ... الخ . وغاية المرام: ٥٤٠/١ والجامع الصغير للسيوطي: ٥٦/٢ .. الخ .
- (٣) تاريخ بغداد: ٣٢١/١٤ وترجمة الإمام من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١٩/٣ ح ١١٦٢ وغاية المرام: ٥٣٩/١ والإمامة والسياسة: ٧٣/١ ومنتخب الكثر بهامش مسند أحمد: ٣٠/٥ .
- (٤) المستدرک: ١٤٦/٣ وذخائر العقبى: ٦٦/١ ومجمع الزوائد: ١٣٥/٩ وترجمة علي من تاريخ دمشق: ٢٦٨/٢ ح ٧٨٩ ومناقب ابن المغازلي: ٢٤١/١ والرياض النضرة: ٢٢٠/٢ وينايع المودة: ٩١/١ وميزان الذهب: ١٨/٢ ... الخ .
- (٥) راجع ذخائر العقبى: ٦٦/١ ومناقب الخوارزمي: ٨١/١ و٨٢ ومناقب ابن المغازلي: ٨٣/١ والرياض النضرة للطبري: ٢١٩/٢ ... الخ .
- (٦) مستدرک الحاكم: ١٢٢/٣ وتلخيصه للذهبي بذييل المستدرک: ٤٨٣/٣ ، وتاريخ دمشق: ٣٨٩/١ ترجمة علي . وشواهد التنزيل للحسكاني: ٩٨/٢ ومناقب ابن المغازلي: ٥٢/١ والاستيعاب بهامش الإصابة: ٣٧/٣ وذخائر العقبى: ٦٥/١ والصواعق المحرقة: ٧٣/١ و٧٤ وأنساب الأشراف: ١٤٦/٢ وراجع: ١٥١-١٥٢ من ملحق المراجعات . الخ .
- (٧) الإستيعاب بهامش الإصابة: ٣٧/٣ والميزان للذهبي: ١٢٨/٢ ومناقب علي لابن المغازلي: ١٠٩/١ والرياض النضرة للطبري: ١٦٥/٢ ومسند الإمام أحمد: ٣٠/٥ الهامش ... الخ ، وراجع ملحق المراجعات: ١٥٣ .

الفصل الخامس

١- تتويج الولي خليفة للنبي

١- المناسبة حجة الوداع: لمَّح النبي لأصحابه وللوفود التي تقاطرت عليه أن حجته ذلك العام ستكون آخر حجة ، فتأهب المسلمون من كل حدب وصوب لينالوا ثواب الحجة وشرف الصحبة والوداع ، فتجمع تسعون ألفاً وقيل ١١٤ ألفاً وقيل ١٢٠ ألف مسلم وقيل أكثر ، فوافوا النبي ﷺ في حجة الوداع. (١).

٢ - مكان التويج: قال حذيفة بن أسيد الغفاري: « لما صدر رسول الله من حجة الوداع انتهى بأصحابه الى شجيرات بالبطحاء متقاربات ، فأمرهم أن ينزلوا ، ثم بعث إليها فقمَّ ما تحتهن من الشوك وعمد إليهن فصلى تحتهن ثم قام خطيباً... »
وبرواية زيد بن أرقم قال: « لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم ». وبرواية البراء بن عازب: « كنا مع الرسول فنزلنا بغدير خم ، فنودي فينا الصلاة جماعة وكسح رسول الله تحت شجرتين ». وبرواية سعد بن أبي وقاص: « سمعت رسول الله يوم الجمعة فأخذ بيد علي وخطب فحمد الله... » وبرواية سعد أيضاً: « كنا مع رسول الله ولما بلغ غدير خم ، وقف الناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف ، فلما اجتمع الناس إليه قال النبي ﷺ... »

(١) راجع تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ٣٠/ والسيرة الحلبية: ٢٥٧/٣ . وسيرة زيني دحلان بهامش

الحلبية: ٣/٣ والغدير للأميني: ٩/١ .

فمن المؤكد أن مكان التتويج أمام الجميع: غدیر خم^(١) لقد كان أهل المدينة ومن حولها على علم بأن الولي والخليفة من بعد النبي هو علي وذلك من خلال التصريحات المتلاحقة التي صدرت من النبي ﷺ بمحضرهم أفراداً وجماعات ، والمدينة عاصمة دولة الإسلام ، وأهل المدينة ومن حولها هم أصحاب الشأن شرعياً وواقعياً بتنصيب الولي والخليفة من بعد النبي .

لكن الله أراد أن يعلموا مجتمعين ، فأمر نبيه أن يعلمهم بذلك في حجة الوداع حتى لا ينسوا ، فنزل جبريل ومعه آية التبليغ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ^(٢) . فكان مستقبل الرسالة الإسلامية يتوقف على هذا التبليغ ، وقد نزلت هذه الآية يوم ١٨ ذي الحجة ، وصادف يوم خميس^(٣) .

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٠/٢ ح ٥٤٨ و ٥٥٠ والمناقب للخوارزمي الحنفي/٩٤ ومسند أحمد بن حنبل: ٢٨١/٤ والفصول المهمة/٢٤ والحاوي للفتاوي: ١٢٢/١ وذخائر العقبى للطبري/٦٧ وفضائل الخمسة: ٣٥٠/١ وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٧/٢ وعلم الكتاب لخواجه الحنفي/١٦١ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي/١٠٩ ، وينايع المودة للقندوزي الحنفي/٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ وتفسير الفخر الرازي: ٦٣/٣ وتذكرة الخواص / ٢٩ و مشكاة المصابيح: ٢٤٦/٣ وعبقات الأنوار: ٢٨٥/١ وفرائد السمطين: ٧٧/١ والمراجعات تحقيق السيد حسين راضي/١٧٧:٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق: ٨٦/٢ وفتح البيان للسيد صديق حسن خان: ٦٣/٣ وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١٨٧/١ أحاديث ٢٤٣ - ٢٥٠ وأسباب النزول للواحدي/١١٥ والدر المنثور: ٢٩٨/٢ ، وفتح القدير للشوكاني: ٦٠/٢ ومطالب السؤل لابن طلحة الشافعي: ٤٤/١ والفصول المهمة / ٢٥ وينايع المودة/١٢٠ و ٢٤٩ والملل والنحل: ١٦٣/١ بهامش الفصل لابن حزم: ٢٢٠/١ وفرائد السمطين للحمويني: ١٥٨/١ والغدير: ٢١٤/١ ، عن كتاب الولاية لابن جرير الطبري ، وراجع الإمام للمحامي وما نزل من القرآن في أمير المؤمنين والكشف والبيان للشعالي مخطوط . وتفسير النيسابوري: ١٦٠/٦ وتفسير القرآن لعبد الوهاب البخاري ومفتاح النجا للبدخشي/٤١ وروح المعاني للأكوسي: ٢٤٨/٢ وتفسير المنار لمحمد عبده: ٤٦٣/٦ ، وأرجح المطالب لعبيد الله الحنفي/٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٧٠ وأما الشيعة فإنها مجمعة على أن هذه الآية نزلت يوم ١٨ ذي الحجة في غدیر خم وفيها أمر الله نبيه أن يجعل علياً خليفة من بعده وإماماً . راجع ملحق المراجعات/٧١٧ .

٢- نص قرار تنصيب الولي والخليفة من بعد النبي

١ - النص برواية حذيفة بن أسيد الغفاري ، كما أخرجه الطبراني في الكبير: « ثم قال النبي ﷺ: «يا أيها الناس إني قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يُعَمَّرَ نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهت ونصحت فجزاك الله خيراً . فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق وناره حق ، وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك . قال النبي: اللهم اشهد . ثم قال: يا أيها الناس: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا ، يعني علياً ، مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ثم قال: يا أيها الناس إني فرطكم ، وإنكم واردون علي الحوض ، حوض أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون على عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضللوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا (يفترقا) حتى يردا عليّ الحوض» . انتهى النص .^(١)

(١) مجمع الزوائد: ١٦٤/٩ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٥/٢ ح ٥٤٥ وكنز العمال: ١٦٨/١ ح ٩٥٩ والغدير للأميني: ٢٦/١ - ٢٧ وعبقات الأنوار مجلد حديث الثقلين: ١٥٦/١ ونوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٢٨٩ وقد حذف يد الطبع الآئمة هذا الحديث ولم تبق إلا الإشارة إليه ، ونقل عنه تماماً الرخشي في كتابه نزل الأبرار: ١٨/١ وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ٣٧/١ ويوجد بلفظ آخر في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٩/١ ومناقب علي لابن المغازلي: ١٦/١ ح ٢٣ وكنز العمال: ١٦٨/١ ح ٩٥٨ برواية زيد .

٣ - نص قرار التنصيب برواية زيد بن أرقم

قال زيد: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال ﷺ: «كأنني دعيت فأجبت ، وإنني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١).

٤ - نص قرار التنصيب برواية البراء بن عازب

قال البراء كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا بغدير خم فنودي الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال: «أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى . قال: أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى. قال: وأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال: فلقبه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة». انتهى النص.^(٢)

٥ - نص قرار التنصيب برواية سعد بن أبي وقاص

سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فأخذ بيد علي وخطب فحمد الله وأثنى

(١) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي/٩٣ و ٢١/ و المناقب للخوارزمي/٩٣ و ينابيع المودة/٣٢ والغدير للأميني:٣٠/١ و كنز العمال:٩١/١٥ ح ٢٥٥ و عباة الأنوار حديث الثقلين:١/١١٧ و ١٢١ و ١٤٤ و ١٥٢ و ١٦١ .

(٢) راجع ذخائر العقبى للطبري الشافعي/٦٧ و فضائل الخمسة:١/٣٥٠ و الرياض النضرة:٢/٢٣ و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/٢٤ و الحاوي للفتاوي:١/١٢٢ و كنز العمال:١٥/١١٧ و ملحق المراجعات ١٧٦ و قريب منه ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر:٢/٤٧ ح ٥٤٦ - ٥٤٩ و ٥٥٠ و أنساب الأشراف للبلاذري:٢/٢١٥ و المناقب للخوارزمي /٩٤ و الغدير للأميني:١/١٨ - ٢٠ و فرائد السمطين:١/٦٤ و ٦٥ و ٧١ و ملحق المراجعات ١٧٦ .

عليه ثم قال: «أيها الناس إني وليكم ، قالوا: صدقت يا رسول الله ، ثم رفع يد علي فقال: هذا وليي ويؤدي عني ديني ، وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه»^(١).

٦ - قرار التنصيب برواية ثانية لسعد

«كنا مع رسول الله فلما بلغ غدیر خم وقف الناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف ، فلما اجتمع الناس إليه قال: أيها الناس من وليكم؟ قالوا: الله ورسوله ثلاثاً ثم أخذ بيد علي فأقامه ، ثم قال: من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢). انتهى النص .

٧- فهم مضمون القرار وتقبل التهاني

فهم الحاضرون في غدیر خم مضمون القرار ، وأقبلوا على الولي وخليفة النبي يقدمون له التهاني بتلك النعمة الإلهية وكان من أبرز المهثين عمر بن الخطاب حيث قال لعلي بالحرف: «بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم»^(٣) وقال ثانية وبالحرف: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة»^(٤). وطوال حياة عمر لم ينس هذا اليوم! قيل له وهو خليفة: «إنك

(١) خصائص أمير المؤمنين/١٠١ وفضائل الخمسة: ٣٦٥/١ ونهاية: ٢١٢/٥ والغدير: ٣٨/١ و ٤١ وملحق المراجعات/١٧٦.

(٢) خصائص أمير المؤمنين /١٠١ وفضائل الخمسة: ٣٦٥/١ وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار/١٤٩ والرياض النضرة للطبري الشافعي: ٢٨٢/٢.

(٣) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٧٥/٢ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨ ومناقب علي لابن المغازلي/٢٤/١٨ والمناقب للخوارزمي الحنفي/٩٤ وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ١٥٨/١ ح ٢١٣ وسر العالمين لأبي حامد الغزالي/٢١ وإحقاق الحق: ٢٥٦/٦ والغدير للأميني: ١٣٢/١ وفرائد السمطين: ٧٧/١.

(٤) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٠/٢ ح ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ والمناقب للخوارزمي/٩٤ ومسند أحمد: ٢٨١/٤ والفصول المهمة /٢٤ والحاوي للفتاوي /١٢٢/١ وذخائر العقبى/٦٧ وفضائل الخمسة: ٣٥٠/١

تصنع لعلني شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي؟ فقال عمر: إنه مولاي»^(١)
 واختصم أعرابيان إلى عمر، فالتمس من علي القضاء بينهما، فقال أحدهما:
 هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتليبيه وقال: ما تدري من هذا؟ هذا
 مولاك ومولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاة فليس بمؤمن»^(٢).

٨- نصوص مبسرة لقرار التنصيب الخالد

يجمع أهل السنة على أن الرسول ﷺ قد قال لعلني يوم غدیر خم:
 النص الأول: «من كنت مولاة فعلي مولاة، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
 وانصر من نصره واخذل من خذله»^(٣) النص الثاني: «من كنت مولاة فهذا علي مولاة».

وفضائل الصحابة للسمعاني، وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٧/٢ وعلم الكتاب لخواجه الحنفي/١٦١ ونظم درر
 السمطين للزرندي الحنفي/١٠٩ وينايع المودة للقندوزي الحنفي/٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ وتفسير الفخر الرازي: ٦٣/٣
 وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي/٢٩ ومشكاة المصابيح: ٢٤٦/٣ وعبقات الأنوار قسم حديث الثقلين: ٢٨٥/١
 وفرائد السمطين للحموي، والغدير: ٢٧٢/١ عن المصنف لابن أبي شيبة والمسند الكبير لابي العباس الشيباني
 والمسند لأبي يعلى الموصلي وتفسير ابن مردويه والكشف والبيان للثعلبي، وراجع الرياض النضرة
 للطبري: ١٦٩/٢ وكفاية الطالب في حياة علي بن أبي طالب للشنقيطي/٢٨، والخصائص العلوية للنظري، ووسيلة
 المتعبدين لعمر بن الملا والنهابة لابن كثير: ٢١٢/٥ والخطط للمقريزي/٢٢٣ وبدیع المعاني للأذري الشافعي/٧٥
 وشرح ديوان أمير المؤمنين للميدي/٤٠٦ وكنز العمال: ٣٩٧/٦ ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسهمودي
 الشافعي: ١٧٣/٢. الخ.

(١) الصواعق المحرقة/٢٦ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٨٢/٢ ح ٥٨١ والرياض النضرة: ٢٢٤/٢.

(٢) الصواعق المحرقة/١٠٧ وذخائر العقبى/٦٨ ومناقب الخوارزمي/٩٨ والرياض النضرة: ٢٢٤/٢ والغدير: ٣٨٢/١.

(٣) على سبيل المثال: تاريخ دمشق: ١٣/٢ ح ٥٠٨ و ٥١٣ - ٥١٥ وكنز العمال: ٤٠٣/٦ وخصائص أمير المؤمنين
 للنسائي/٩٦ والفصل في الملل والنحل لابن حزم: ٢٦٠/١، ومسند الإمام أحمد: ٣٢/٥ الهامش وأنساب الأشراف
 للبلاذري: ١١٢/٢ والمناقب للخوارزمي/٢٤٩ وملحق المراجعات/ ١٨٣ الخ.

النص الثالث: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١). وأنت تلاحظ أن هذه النصوص فككت قرار التنصيب فاعترفت بمكان وقوعه غدیر خم وتناسب حجم الجمع الذي سمع القرار وأنه بآخر حجة للنبي ، وكان قرار التنصيب من القوة بحيث أنه فرض خلاصته فرضاً ، فبالرغم من أن مسبة علي كانت واجباً رسمياً على رعايا الدولة الأموية ، وبالرغم من أن هذه الدولة كانت تملك سيطرة فعلية على موارد الدولة وإمكانياتها ووسائل إعلامها ، إلا أنها عجزت تماماً عن طمس هذا القرار بل بقيت خلاصته خالدة مع الأيام وشاهدة على غدر الأمة بولي عهد النبي وخليفته من بعده . والله عاقبة الأمور .

٩- حديث الغدير وواقعة التنصيب يقين

فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل من ٤٠ طريقاً ورواه ابن جرير من ٧٢ طريقاً والجزري المقرئ من ٨٠ طريقاً وابن عقدة من ١٠٥ طرق وأبو سعيد ، السجستاني من ١٢٠ طريقاً وأبو بكر الحصابي من ١٢٥ طريقاً ومحمد اليمني قال إن له ١٥٠ طريقاً ورواه أبو العلاء العطار الهمداني من ٢٥٠ طريقاً^(٢).

وأهل الشيعة قاطبة يؤمنون أن حديث الغدير يقين لا ريب فيه ، وأن عملية تنصيب الولي والخليفة من بعد النبي في غدیر خم لا ريب فيها .

وأهل السنة قاطبة يعترفون بحديث الغدير ويقرون يقيناً بصدوره عن النبي ، ولكنهم تبنا تأويل الحكام للحديث ولواقعة التنصيب ، إذ اعتبر الحكام أن الحديث إن صح

(١) صحيح الترمذي: ٢٩٧/٥ وتاريخ دمشق: ٢١٣/١ ومجمع الزوائد: ١٠٣/٩ والخصائص للنسائي: ٩٤ والمستدرک

للحاكم: ١١٠/٣ وصححه وجامع الأصول: ٤٦٨/٩ والمناقب للخوارزمي: ٧٩ وتلخيص المستدرک للذهبي: ١١٠/٣ وحلية الأولياء: ٢٦/٥ والدر المنثور: ١٨٢/٥ وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٦/٢ وتاريخ بغداد للبغدادي: ٢٩٠/٨ ... الخ .

(٢) راجع الغدير للأميني: ١٤/١-٢١٣ وعبقات الأنوار في حديث الغدير ، وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن

عساكر: ٥/٢-٩٠ وملحق المراجعات: ١٨٢ .

مجرد فضيلة من فضائل علي ، لا تقدم ولا تؤخر ، وورثوا هذه المقولة وهذا التأويل كما يورث المتاع ، واعتبروا هذا الرأي تقليداً سنه السلف ولا يجوز الخروج عليه ، لأنهم لو قالوا غير ذلك لسحبوا بساط الشرعية من تحت أقدام بني أمية وبني العباس وبني عثمان ، وقد تمتد عملية سحب بساط الشرعية إلى غير هؤلاء ، ولكان في ذلك إثبات بأن الشيعة على حق ، وكيف تكون الشيعة على حق وقد ورثوا من الحكام أن الشيعة أعداء الدين .

١٠- عيد يوم الغدير

لقد اتخذ المسلمون يوم الغدير عيداً في الأزمنة المتقدمة ، وكانوا يحتفلون به في كل عام ، ولما آلت الأمور لأعداء أهل البيت أحجم المسلمون عن الإحتفال بهذا اليوم ، وتناسته الأجيال اللاحقة تحت ضغط الحكام رغبة أو رهبة ، وما زال هذا اليوم عيداً من أعظم أعياد شيعة علي وللآن .^(١)

١١- صوم يوم الغدير شكراً لله

روى أبو هريرة بسند صحيح عند أهل السنة أن النبي ﷺ قال في يوم الغدير: «من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً». ثم قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره . فقال عمر بن الخطاب: بَخِ بَخِ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم^(٢) . ويحاول علماء السلطة الطعن في سند هذا الحديث أو تأويله فلا يستطيعون ، فيصيبهم الغضب !



(١) راجع الغدير للعلامة الأميني: ٢٦٧/١ نقله عن الآثار الباقية في القرون الخالية للبيروني/٣٣٤ ، وراجع مطالب السؤل: ٤٤/١ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٩٠/١ وترجمة المستعلي بن المنتصر: ٢٢٣/١ وملحق المراجعات/٩٢ .
(٢) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٧٥/٢ ح ٥٧٥ وشواهد التنزيل: ١٥٧/١ ح ٢١٠ و٢١٣ والغدير للأميني: ٤٠٢/١ وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ وفرائد السمطين للحموي: ٧٧/١ ب ١٣ وملحق المراجعات/١٩٢-١٩٣ .

الفصل السادس

بتنصيب الإمام كمل الدين وتمت النعمة

بعد أن نصب رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب أمام هذا الجمع الحاشد إماماً وخليفة على أمته كمل الدين وتمت النعمة الإلهية ، فالمنظومة الحقوقية الإلهية مكتملة والولي من بعد النبي ﷺ قد نصب ، فيمكن للنبي أن يترك الدنيا وهو مطمئن على دينه وعلى أمته ، فما على الولي المنصب علي إلا أن يتابع المشوار وفق المنهج الذي علمه النبي إياه طوال ثلاث وعشرين عاماً . وبعد أن نصب النبي خليفته من بعده نزلت آية الإكمال: « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »^(١) . فلو أن النبي فارق الدنيا ولم ينصب الإمام والخليفة من بعده ولم يبين كيفية انتقال منصب الإمامة ، لنافى ذلك كمال الدين وتمام النعمة لأن الإمام هو القائم مقام النبي ومحور نظام الدين ونظام الدنيا .

وقد اكتشف الحكام ذلك ، فلم يصدف على الإطلاق أن مات حاكم دون أن يعين عملياً الحاكم الخليفة الذي يليه ، وقالوا: إن هذا حق مطلق لهم ! أنظر إلى قول ابن خلدون عن الخليفة: «فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ، ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقوم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي: ٧٥/٢ والمناقب لابن المغازلي/١٩ وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ١٥٧/١ وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ والدر المنثور: ٢٥٩/٢ والإتفاق للسيوطي: ٣١/١ والمناقب للخوارزمي الحنفي: ٤٧/١ وينايع المودة/١١٥ وفرائد السمطين للحموي: ٧٢/١ و ٧٤ وتاريخ يعقوبي: ٣٥/٢ وكتاب الولاية لابن جرير الطبري وروح المعاني للأكوسي: ٥٥/٦ والبداية والنهاية لابن كثير: ٢١٣/٥ ... إلخ .

يتولاها ، ويثقون بنظره لهم في ذلك ، كما وثقوا به في ما قبل»^(١). فإذا لم يعين الخليفة القائم من يخلفه من بعده لكان موضع لوم ! أنظر بربك إلى قول عبد الله بن عمر لأبيه: « يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد ، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمته وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد)^(٢). ثم انظر قول عائشة أم المؤمنين لعبد الله بن عمر: « يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإني أخشى عليهم الغشة! فأتى عبد الله فأعلمه فقال: « ومن تأمرني أن أستخلف ؟... إلخ.)^(٣) فكل الخلفاء طوال التاريخ أدركوا أن ترك الخليفة للأمة بدون أن يعين من يخلفه عمل ينافي الحكمة ويفتح باب الفتنة ، ويعرض من يفعله للوم والظعن كما يتعرض الراعي عندما يترك غنمه أو إبله !

لهف نفسي على الإسلام ! فكيف يدرك كل هؤلاء الناس هذه الناحية ولا يدركها رسول الله ﷺ؟! كيف يؤتمن كل حاكم على تعيين من يليه ولا يؤتمن رسول الله؟! كان أمام الذين أعماهم التقليد واحد من طريقتين: إما دين محمد كما بينه للناس، وإما الدين كما فهمه الحكام فاختراروا دين الحكام لأنهم مع من غلب: نحن مع من غلب! تلك مقولة عبد الله بن عمر التي تحولت إلى نص شرعي ولا حول ولا قوة إلا بالله ! فمن يعينه الحاكم من بعده سيحكم ، ومن يغلب كائناً من كان يحكم أمة محمد !! والله عاقبة الأمور .

الترتيب الإلهي لانتقال منصب الإمام بعد وفاة الولي

أنزل الله القرآن كرسالة وعقيدة إلهية إلى بني البشر . وكضرورة من ضرورات

(١) راجع مقدمة ابن خلدون فصل ١٢٠/٣٠ .

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٣٥٣/٢ .

(٣) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة/ ٢٣ .

بيان هذه العقيدة وتوضيحها أنزل القرآن على محمد ﷺ بالذات ، لأنه المُعَدُّ من قبل الله ليكون الأعلَم بالعقيدة والأفهم لأحكامها التي هي المجموعة القانونية النافذة ، ولأنه الأفضل ولأنه هو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع في الحال والمآل .
ومن هنا كان النبي مرشد الدعوة ، ورئيس الدولة ، وسيرته سواء قوله أو فعله أو تقريره سنة وجزء من العقيدة ، ولا أحد في الدنيا كلها ينوب عنه بهذه المهمة ولا أحد يغني عنه أو يسد مسده أثناء حياته المباركة . فمحمد كمرشد للدعوة وقائد للدولة مركز الدائرة ومرجع الأمة في كافة الشؤون الدينية والدينية .

من هو صاحب الإختصاص بتعيين النبي للإمام؟

إن صاحب الإختصاص بتعيين الإمام هو الله سبحانه وتعالى ، لأن أول ولي وإمام ورئيس للدولة الإسلامية هو محمد ﷺ وقد عينه الله في هذا المنصب ، لأنه هو الأعلَم بالعقيدة والأفهم والأفضل والأنسب ، ولأنه لا أحد يعرف على وجه الجزم واليقين المتصف بهذه الصفات إلا الله ، لذلك حصر بنفسه حق اختيار هذا الإمام أو المرجع أو الولي وتقديمه للناس ، وخوله صلاحية بيان العقيدة في كل زمان وصلاحية المرجعية وصلاحية الجمع بين الولاية على الأتباع والمرجعية في الدين والدنيا ، والحكم بين الناس على ضوء أحكامه .

من هو هذا الإمام؟

إمام الأمة في كل زمان هو عميد أهل بيت النبوة، لماذا عمادة أهل البيت بالذات؟ لأن القرآن ثقلٌ وأهل البيت ثقلٌ آخر ، والهداية لا تدرك إلا بالتمسك بهما ، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهما ، وهذا ليس اجتهاداً إنما هو

نص شرعي ثابت في القرآن والسنة بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقريب^(١) ولأنهم للمسلمين بمثابة سفينة نوح من ركبها في كل زمان نجا ومن تخلف عنها غرق^(٢) ولأنهم من جهة ثالثة أمان الأمة من الإختلاف أعدهم الله لذلك^(٣) ولأنهم ذرية محمد فكل نبي من الأنبياء جعل الله ذريته في صلبه ، وجعل ذرية محمد من علي وفاطمة^(٤) . من هو صاحب الإختصاص بتعيين الخليفة من بعد النبي الإمام ؟ الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها ، والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع ، وتطبيق أحكام العقيدة ؟ لا أحد يعرفه على وجه الجزم واليقين إلا الله سبحانه وتعالى ، لذلك فهو المختص بتعيين الخليفة من بعد النبي . ومن هنا فإن الله قد اختار علياً بن أبي طالب خليفة وإماماً ومرجعاً للأمة بعد نبيها ، وأمر الله رسوله أن يعد خليفته وأن يوطد له ، حتى أصبح الأعلم بعد النبي والأفهم والأفضل والأنسب بعد النبي ، وهو المؤهل والمخول لممارسة كافة الوظائف الدينية والدنيوية التي كان يمارسها الرسول باستثناء النبوة فلا نبي بعده ، وقد بين

(١) راجع على سبيل المثال: الترمذي: ٣٢٨/٥ ، ومسلم باب فضائل علي: ٣٦٢/٢ و ١٨١/١٥ شرح النووي وتفسير ابن كثير: ١١٣/٤ ومصابيح السنة ٢٠٦/١ وجامع الأصول: ١٨٧/١ وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف/ ١١٤ والفتح الكبير للنبهاني: ٥٠٣/١ والصواعق المحرقة لابن حجر/ ١٤٧ و ٢٢٦ والدر المنثور للسيوطي: ٦ و ٣٠٦ وذخائر العقبى للطبري/ ١٦ والمعجم الصغير للطبراني: ١٣٥/١ وكنز العمال: ١٥٤/١ والطبقات: ١٩٤/٢ والسيرة الحلبية: ٣٢١/٣ هامش زيني دحلان وخصائص أمير المؤمنين للنسائي/ ٢١... إلخ .

(٢) راجع على سبيل المثال: تلخيص المستدرك للذهبي بذييل المستدرك والصواعق المحرقة لابن حجر/ ١٨٤ و ٢٣٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي/ ١٠٩ ومجمع الزوائد للهيثمي: ١٦٨/٩ والمعجم الصغير للطبراني: ٢٢/٢ وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٣٠٦/٤ والجامع الصغير للسيوطي: ١٣٢/٢ ومسند أحمد: ٩٢/٥ الهامش .

(٣) الصواعق المحرقة/ ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطي وذخائر العقبى للطبري/ ١٧ والجامع الصغير للسيوطي: ١٦١/٢ والفتح الكبير للنبهاني: ٣٦٧/٣ ومسند أحمد: ٩٢/٥ وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار/ ١٢٨ ... إلخ .

(٤) الصواعق المحرقة/ ١١٢ و ١٦٤/٣ ، وكنز العمال: ١٥٢/٦ والمناقب للخوارزمي/ ٢٧ .

الله لنا بنص رسوله أن علياً مع الحق والحق مع علي ، لذلك هو موضع ثقة علي حد تفسير ابن خلدون في الفصل ٣٠ من مقدمته .

من هو المختص بتعيين الخليفة الذي يلي خليفة النبي

طالما أن الخليفة بعد النبي مباشرة علي بن أبي طالب علي الحق ومع الحق ، وطالما أنه مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان ، وطالما أنه الأفضل والأنسب والأعلم بشهادة الله ورسوله ﷺ ، فهو المخول بتعيين الخليفة الذي يليه ، وكل إمام يعين بنص من سبقه ، فهم أبناء النبي بنص القرآن الكريم ، وآية المباهلة تصفع كل مكابر علي وجهه وتلوي أنفه ! فعندما قال تعالى: « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ »^(١) أجمعت الأمة على أنها نزلت على النبي ﷺ في فاطمة والحسن والحسين عليهما^(٢) فالحسن والحسين بحكم هذه الآية وهدما أولاده . فبأي حديث بعده تؤمنون؟! وأي لغة يمكن أن تحملنا على ترك التقليد واتباع الحق وإعمال العقل !!

(١) آية ٦١ من سورة آل عمران .

(٢) صحيح مسلم باب فضائل علي: ٣٦٠/٢ و: ١٧٦/١٥ بشرح النووي والترمذي: ٢٩٣/٤ والمستدرک علی الصحیحین: ١٥٠/٣ وصححه ، ومسند الإمام أحمد: ١٨٥/١ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساکر: ٢١/١ وتفسير الطبري: ٢٩٩/٣ و ٣٠٠ والكشاف للزمخشري: ٣٦٨/١ - ٣٧٠ وتفسير ابن كثير: ٣٧٠/١ - ٣٧١ وتفسير القرطبي: ١٠٤/٤ وأحكام القرآن للجصاص: ٢٩٥/٢ وأسباب النزول للواحدي: ٥٩/١ وأحكام القرآن لابن العربي: ٢٧٥/١ والتسهيل لعلوم التنزيل للكليبي: ١٠٩/١ وزاد المسير لابن الجوزي: ٣٩٩/١ وفتح القدير للشوكاني: ٣٤٧/١ وتفسير الفخر الرازي: ٦٩٩/٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩٦/١ والدر المنثور للسيوطي: ٣٨/٢ - ٣٩ والصواعق المحرقة لابن حجر: ٧٢/١ والمناقب للخوارزمي: ٦٠/١ و٩٦ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١١٠/١ وأسد الغابة لابن الأثير: ٢٦/٤ والإصابة لابن حجر العسقلاني: ٥٠٩/٢ .. الخ .

ثم لأنهم على الأقل من قريش عشيرة النبي ﷺ والخلافة في قريش.^(١)
 وناصية قريش بالنص الشرعي هم بنو هاشم ، وناصية هاشم هم بنو عبد المطلب ،
 وناصية عبد المطلب هم محمد وأهل بيته ﷺ^(٢) لأن الله قد طهرهم ، وآية
 التطهير لا تخفى على أحد ، فإن قالوا إنها في النساء فكيف تكون أزواج الرجل
 طاهرات وأولاده غير ذلك !! أو على الأقل من باب رد الإحسان ، لأنهم حوصروا
 ثلاث سنين في شعاب أبي طالب ، وحفظوا رسول الله ودعوته .
 فهؤلاء الأئمة الإثنا عشر^(٣) والأئمة الأطهار ، لا الحكام ، لأن الحكام من
 قريش بالميئات وليسوا اثني عشر فقط .^(٤)

الحكمة من حصر الإمامة بأولاد محمد ﷺ

لأن الله طهرهم وأعدهم لذلك ، فلا خطر على الأمة منهم . ولقطع دابر التنافس
 والخلاف على منصب الإمامة ، إذ بغيرهم يتحول الملك لمن غلب ، فيحكم أمة
 محمد الغالب بالقهر ، بغض النظر عن دينه وعلمه وأمانته .
 وإذا كان منصب الإمام محصوراً بعمادة أهل البيت تطيب نفوس الجميع ، لأن
 حاكمهم هو ابن النبي ﷺ ، فيعم الاستقرار وتهنأ النفوس وتهدأ الأطماع .

دور الأمة بتعيين الإمام

الأمة المؤمنة العجادة الصادقة الواعية ، تبحث عن الأعلام بالعقيدة والأفهم

(١) راجع كنز العمال: ٢٥/١٢ نقله عن أحمد في مسنده وعن الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن وعن الحاكم في المستدرك . وقد روى قرابة مائة حديث تفيد أن الأمر في قريش ، وروى هذه الأحاديث كل أصحاب السنن راجع الأحاديث ٣٣٧٨٩-١٢: ٣٣٨٩٠ من الكنز .

(٢) كنز العمال: ٤٣/٢ نقله عن الحاكم في مستدركه ، وعن البيهقي في سننه ، وعن الطبراني في الكبير ، وعن ابن عساكر ، فراجع: ٤٣/١٢ و ٥٨ من الكنز للمتقي الهندي .

(٣) راجع كنز العمال: ٢٤/١٢ ، وقد نقله عن البخاري ومسلم .

(٤) ويمكن لمن أراد معرفة أسماء حكام قريش وعددهم أن يراجع مروج الذهب للمسعودي .

لأحكام منظومتها الحقوقية الإلهية . والمسؤول الأول عن تطبيق هذا القانون هو الإمام ، فإذا لم يكن الإمام هو الأعلم والأفهم يقع المحذور .
والأمة من جهة ثانية تبحث عن أفضل أفرادها ، لأن من مصلحة الجميع ومن بواعث فخر الجميع أن يحكم الأفضل . وتبحث عن الأنسب ليقودها على درب الله . ولا يستطيع أي فرد من أفرادها ، ولا أي جماعة ، ولا هي مجتمعة أن تعرف على سبيل الجزم واليقين من هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ! فالذي يعرف ذلك على وجه الجزم واليقين هو الله سبحانه وتعالى ، لذلك رحمةً بعباده المؤمنين يتلطف فيخبرهم أن هذا هو صاحبكم الذي تبحثون عنه ، وهو المؤهل لقيادتكم وقيادة مسيرة الإيمان في العالم ، وكأمة مؤمنة عاقلة واعية تقبل التكليف الإلهي وتفرح ، لأنها عثرت على بغيتها ، فتقبل عليه وتبايعه بالرضا لا بالإكراه ، ليكون إماماً لها وقائداً لمسيرتها ، وبمجرد تمام البيعة يصبح الإمام الذي رشحه الله القائد الفعلي للأمة ، ويضع المنظومة الحقوقية الإلهية موضع التطبيق ، بالتعاون مع الأمة .

الإنفكاك بين الواقع والشرعية

أما إذا لم تقبل الأمة بالتكليف الإلهي وفتشت لنفسها وبقدراتها عن شخص آخر اعتقدت أنه الأفضل والأنسب لقيادتها ، عندئذ تحدث عملية انفكاك بين الشرعية والواقع ، فيكون الحاكم القابض على مقاليد الأمور فعلياً شخصاً والإمام المعين من قبل الله شخصاً آخر لا سلطة بيديه ، ويتعذر عليه أن يتأمر على أناس لا يقبلون به، ودينه يمنعه من اللجوء إلى أساليب غير شرعية للوصول إلى السلطة! ومع الأيام يستحوذ الحاكم على السلطة والمرجعية ، فيزعم بأنه خليفة النبي والقائم مقامه ، ومن يعارض ذلك يهز الحاكم بوجهه عصا السلطة .

فالحسين بن علي بن أبي طالب إمام بالنص ، وولي بالنص ، ومرجع بالنص ، وهو القدوة في زمانه بالنص . ولكن الأمة رغبةً أو رهبةً بايعت يزيد بن معاوية فأصبح يزيد هو الحاكم الواقعي (الخليفة) ، أما الحسين فهو الإمام الشرعي ولكنه غير قادر على ممارسة صلاحياته ، لأن يزيد استولى عليها بالقوة والغصب وسكتت الأمة عليه وبايعته طوعاً أو كرهاً وأدارت ظهرها لإمامها الشرعي ، وعلى الحسين أن يقبل بالأمر الواقع أو يواجه قوة السلطة ، التي تتدرج بالضغط عليه بكل وسائل الدولة وإمكانياتها التي قد تصل إلى إنزال عقوبة الموت بالإمام !

فالسلطة بمثابة زوجة شرعية للإمام الحسين ولكل إمام معين وفق الشرع ، فجاء الحاكم بالقوة والغلبة والقهر واغتصب الزوجة من زوجها ، ولن يهنأ قبل أن يموت هذا الزوج الشرعي ، حتى لا تعود الزوجة لزوجها الشرعي خلسة .

الأئمة الشرعيون

- ١ - علي بن أبي طالب . ٢ - الحسن بن علي . ٣ - الحسين بن علي . ٤ - زين العابدين بن الحسين . ٥ - ابنه محمد الباقر . ٦ - ابنه جعفر الصادق . ٧ - ابنه موسى الكاظم . ٨ - ابنه علي الرضا . ٩ - ابنه محمد الجواد . ١٠ - ابنه علي الهادي . ١١ - ابنه الحسن العسكري . ١٢ - ابنه محمد بن الحسن المهدي .

استكشاف المستقبل أمام الولي وخليفة النبي

أدى رسول الله الأمانة وبلغ الرسالة وبين كل شيء ، ونصب ولي عهده وخليفته من بعده كما أمره الله ، وبلغ أفراد الأمة وجماعاتها بذلك ، ثم أعلن القرار الإلهي أمام مائة ألف مسلم ، وهنا الجميع علياً بذلك ، وعلى رأس المهثين عمر بن الخطاب ، ولاح أن كل شيء في مكانه الصحيح ، وأن الأمور ستجري رخاء وبريح ملائمة . ولم يكتف النبي بذلك إنما نقل أصحابه ذهنياً معه وكشف

أمامهم بعض مضايق المستقبل فقال أمام كبار أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر . قال أبو بكر : أنا هو ؟ قال النبي : لا ، قال عمر: أنا هو؟ قال النبي : لا ، ولكنه خاصف النعل ، يعني علياً . قال أبو سعيد الخدري: فبشرناه فلم يرفع رأسه ، كأنه قد كان سمعه من رسول الله»^(١).

وها هو النبي يكشف لخليفته الأمور فيقول له: «أما أنت ستلقى بعدي جهداً! فقال علي: في سلامة من ديني؟ قال النبي: نعم ، في سلامة من دينك»^(٢) . ولم يكتف النبي بذلك ، إنما أخبر وليه وخليفته من بعده: «أن الأمة ستغدر به بعد وفاته»^(٣) . والأهم أنهم سيقاتلونه إذ قال له النبي ﷺ: «يا علي ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني»^(٤) ويحاول النبي بكل جهوده لتبنيه الأمة فيقول مرة لأحد أصحابه: «يا أبا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً ، حق على الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه»^(٥) .

(١) راجع مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ٦٤/١ والمناقب للخوارزمي الحنفي ١٨٣/ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ١١٥/ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٣٧/٣ وقريب منه خصائص النسائي ١٣١/ ومسند الإمام أحمد: ٣٧/٥ الهامش وحلية الأولياء: ٦٧/١ وأسد الغابة: ٢٨٢/٣ والرياض النضرة: ٢٥٢/٢ و٢٥٣ وذخائر العقبى ٦٧/ مناقب علي لابن المغازلي ٢٩٨/ وشرح النهج: ٢٧٧/٢ ومجمع الزوائد: ٣٣/٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧٣/ والصواعق المحرقة: ٧٤/ والإصابة: ٣٩٢/٢ وكنز العمال: ٩٤/١٥ . وراجع ملحق المراجعات ١٦١-١٦٢ .

(٢) راجع المستدرک للحاكم: ١٤٠/٣ وتلخيص المستدرک للذهبي بذييل المستدرک ، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ١١٨/ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد: ٣٤/٥ وفضائل الخمسة: ٥٣/٣ والملحق ١٦١/ .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٤٥/٦ والنهية: ٢١٨/٦ وفضائل الخمسة: ٥١/٣ وتلخيص الشافي للطوسي: ٥١/٣ .

(٤) ترجمه الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٧١/٣ والغدير للأميني: ١٩٣/٣ ومنتخب الكنز: ٣٢/٥

(٥) مجمع الزوائد: ١٣٤/٣ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٢٣/٣ وملحق المراجعات ١٦٤/ .

نسف الصيغة السياسية الجاهلية

الترتيبات الإلهية المتعلقة بمنصب رئاسة الدولة نسفت تماماً الصيغة السياسية الجاهلية ، فالقيادة في نظر الإسلام اختصاصٌ وعملٌ فني تماماً ، يتصدى له الأعلم والأفهم ، والأفضل والأنسب للقيادة من بين أتباعه ، بغض النظر عن بطنه أو قبيلته . بينما الصيغة السياسية الجاهلية قائمة على اعتبار القيادة بمثابة شركة ، ولكل بطن سهم فيها ، فقد توصلت هذه البطون إلى صيغة لاقتسام المناصب السياسية فيما بينها ، من قيادة ورفادة وسقاية ولواء وسفارة... إلخ. وكانوا يسمونها مناصب الشرف . ولاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة ، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب ، ولا مصلحة لأي بطن في تغيير هذه الصيغة ، مما جعلها عنوان عقيدة سياسية ، وأثراً ماثوراً مما تركه الأولون ومن غير الجائز الخروج عليه ! ولذا حاولت كل قبائل قريش أن تمنع ظهور نبي من بني هاشم وقاومته بكل قواها ، ولكنها فشلت فكانت نبوة بني هاشم قدراً لا مفر منه ! لكن لا يجوز أن تكون الخلافة أو الملك لهم أيضاً فمن غير المعقول أن يعطيهم الله النبوة والخلافة معاً ! ومن هنا فإن الترتيبات الإلهية المتعلقة بالخلافة بعد النبي أثارت حفيظة قريش وحدها ، وتمخض حسدها عن شعار: « لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة » وكان هذا الشعار ملجوماً بوجود النبي ﷺ لكن الفرصة مهيأة لظهوره . وربطاً منهجياً للموضوع أسوق معالجتي التاريخية له مرة ثانية في هذا الباب ، لتكتمل الصورة ويتم استيعاب الموضوع .



الفصل السابع

الإنقلاب وتقويض الشرعية

المناخ التاريخي الذي ساعد على نجاح الإنقلاب

أ - تتكون بطون قريش من خمسة وعشرين بطناً^(١) وأشرفها على الإطلاق وأفضلها بالنص الشرعي: بنو هاشم بن عبد مناف ،^(٢) ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف ، وبنو الحارث بن عبد مناف ، وبنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو نوفل بن عبد مناف... وهؤلاء سادة قريش بعد أبيهم ، وهم أول من أخذ العصم لقريش ، فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام ، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ نوفل حبلاً من الأكاسرة ، وأخذ المطلب حبلاً من حمير ، فاختلفت قريش بهذه الأسباب إلى بلاد العالم . وكان يقال لهم المجبرون ، وأقداح النصار لفخرهم وسيادتهم على العرب^(٣) .

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٢/٢٩١ .

(٢) راجع السيرة الحلبية: ٣/١-٤ ، والجامع للأصول في أحاديث الرسول لعلي ناصيف: ٤١٩/٣ وما فوق ، والسيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ٤/١-١١ والطبقات لابن سعد ، والخطبة ١٥٦: ٢/١٨٥ من شرح النهج .

(٣) الطبقات: ٧٥/١ وتاريخ الطبري: ١٨٠/٢ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ٩٣ .

ب - وصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية في اقتسام مناصب الشرف فيما بينها من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة ، ولاح لها أنها أفضل صيغة سياسية على الإطلاق ، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب ، ومع الأيام صارت قدراً موروثاً وعقيدة سياسية ، ومن غير الجائز الخروج عليه من قبل أي كان .

ت - محاولات لزعة الصيغة: مرت على قريش سنين عجاف لم يكن لمكة غير هاشم ، يطعم الناس ويساعدهم ، فقيل له أبو البطحاء وسيد البطحاء ، ولم تنزل مائدته منصوبة في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف^(١) فحسده أمية بن عبد شمس وتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم فعجز عن ذلك ، فعيرته قريش ، فدعا هاشماً للمنافرة والإحتكام الى أحد الكهان ليحكم أيهما أفضل ، فأبى هاشم ، ثم تنافرا على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين ، ففضى الحكم بأن هاشماً أشرف من أمية ، فنحرت النوق وجلى أمية إلى الشام ، فكانت هذه بذرة العداة الأولى بين البيتين الهاشمي والأموي ، وخشي الأمويون أن يشكل هاشم خطراً على الصيغة القرشية لأن القيادة بيد بني عبد شمس^(٢) .

ث - توقع ظهور نبي: شاع في مكة أن نبياً سيبعث وأنه سيكون من سلالة عبد مناف ، وممن اهتم بهذه الإشاعة أبوسفیان لأن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية ويأخذ منه القيادة، ولكنه اطمأن بعد مدة الى أنه لا يوجد من هو جدير

(١) تاريخ الطبري: ١٨٠/٣ والسيرة الحلبية: ٥/١ والطبقات لابن سعد: ٧٦/١، و: ٢٧٩/٢ من تاريخ الطبري .

(٢) راجع السيرة الحلبية: ١٥/١ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ١٧٠-١٧٢ .

بالنبوة سواه^(١)

ج - إعلان النبوة: أعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب ، الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة والبشر عامة ، وأن برهانه على نبوته كلام الله ، واتبعه نفر قليل ممن عرفوا بالحصافة وبعد النظر ، أو من أولئك الذين مستهم البشرية مسأً أليماً .

ح - احتضن الهاشميين النبي: بكل قوة ، وهددت زعامة قريش بقتل محمد وأشيع أنه قتل ، فجمع أبو طالب بني هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة ، وسار مع الهاشميين والمطلبين ، ونادى (يا معشر قريش هل تدرّون ما هممت به ؟ قالوا: لا ، فأخبر الخبر وقال للفتيان: إكشفوا عما في أيديكم ، فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة ، فقال أبو طالب: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفاني وإياكم ! فانكسر القوم ، وكان أشدهم انكساراً أبو جهل !^(٢) .

خ - حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً ، لاحقاً بالأصنام: قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمداً بكل أساليب المقاومة ، ورفض بنو هاشم مطلبها أن تُسلم لها النبي ﷺ لتقتله ، فاتفقت بطون قريش بدون استثناء على ما يلي:

١ - مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة ، فقاطعتهم بما فيهم بنو عدي وبني تيم ، وحصروهم في شعاب أبي طالب ثلاث سنين ، واضطروهم أن يأكلوا ورق

(١) السيرة الحلبية: ٨٠/١ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد: ٢٠٢/١ - ٢٠٣ .

الشجر من الجوع ، واضطر أطفالهم أن يمصوا الرمال من العطش . تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد ، ولم يركع محمد ولم يركع الهاشميون ، وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتهم ، وفشل الحصار بعد مقاطعة استمرت ثلاث سنين وأكثر !

٢ - عندما سمعت قريش أن محمداً سيهاجر إلى يثرب بعد أن تمكن من إيجاد قاعدة له ، قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتله ، فاختروا من كل قبيلة رجلاً حتى يضربه هؤلاء الرجال دفعة واحدة فيضيع دمه بين القبائل ، ولا يقوى الهاشميون على مطالبة الجميع بدمه ، لأنه إن ذهب إلى يثرب نجح وسلبهم القيادة والشرف ، وباللحظة التي أجمعوا أمرهم دخلوا فوجدوا علياً بن أبي طالب نائماً في فراشه ، وجن جنون القيادة المكية ، وخصصت الجوائز لمن يقبض على محمد حياً أو ميتاً ، بينما كان محمد وصاحبه ودليلهما المشرك يشقون طريقهم سالمين بإذن الله ، وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل^(١) .

د - حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام: لم تياس
بطون قريش وقيادتها من هزيمة محمد وبني هاشم ودينهم ، ولم يياس محمد والهاشميون وأر صحابه من هزيمة الشرك وقيادته ، وانقسم العرب أثلاثاً ، قسم مع قريش وقيادتها المشركة ، وقسم قليل مع محمد ، والقسم الثالث يتربص ليتبع الغالب ، واشتعلت الحروب في بدر وأحد ، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب ، وزحفت إلى المدينة فاعتصم النبي ﷺ بالمدينة ، وفشلت الأحزاب .

(١) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية: ٨٠/١ والطبقات لابن سعد: ٢٠٨/١ - ٢٠٩ والسيرة الحلبية: ٣٣٢/١ .

وبعد سنتين فوجئت قريش بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك ، وركعت زعامة مكة واضطرت للدخول في الإسلام ، وبركوعها ركع كل العرب ، ودانت الجزيرة لدولة النبي ﷺ ، وأخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجا .

ذ- النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه: رفضت بطون قريش بزعامتها الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد الهاشمي ، بكل صنوف الرفض وألوانه ، وقاومته بكل فنون المقاومة ، لا وفاء للأصنام ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي فتكون للهاشميين القيادة وتهتز الصيغة السياسية ! وأخيراً فوجيء أبو سفيان بعشرة آلاف مقاتل قرب مكة ويوقفه العباس فيرى جند الله فيدخل الرعب في قلبه وينتزع منه فتيل المقاومة ويفصح عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول: (ما رأيت ملكاً مثل هذا لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر) ^(١) ويجره العباس إلى محمد فيقول له النبي ﷺ: «ويحك يا أبا سفيان ألم بأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ فيقول أبو سفيان: لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لأغنى عني شيئاً. قال ﷺ: يا أبا سفيان ألم بأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ قال أبو سفيان: أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء ! صاح العباس: ويحك يا أبا سفيان أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك! هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق ، وبعد الإحاطة وضعف الحيلة أسلم لينجو بنفسه ! ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه: « ليت شعري بأي شيء غلبني؟ فأوحى الله إلي نبيه بما في صدر أبي سفيان فقال له الرسول: غلبتك بالله».

(١) السيرة الحلبية: ٧٩ / ٣ وما فوق ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

وأدركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه ، ولو كان لها أي دور باختيارها لما قبلت أبداً أن يكون النبي من بني هاشم . وبما أن النبوة ظاهرة لن تتكرر ولن يلحق أي بطن من بطون قريش ببني هاشم ، فقد سبقوا تماماً واهتزت صيغة قريش السياسية ونسفت تماماً ، فأضمرت قريش على العمل لوقف ما تعتبره زحفاً هاشمياً للجمع بين النبوة والملك !

وكان أكثر البطون رفضاً واندفاعاً لوقف الزحف الهاشمي بنو أمية ، لكن أبا سفيان خضع مؤقتاً للأمر الواقع ، فاتهمه بقية زعماء قريش بالضعف والتواطؤ مع النبي ﷺ لأنه من بني عبد مناف ، فعزلوه وأمروا على قريش بدله سهيل بن عمرو السهمي ، فاضطر أبو سفيان أن يترك مكة ويلجأ الى المدينة ، فأرسله النبي ﷺ جابياً للصدقات في نجران !

ر - التيار الغلاب: تحولت مقولة: « لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك » إلى تيار غلاب ساكن في نفوس زعماء قريش ، لكنه ملجوم بوجود النبي ﷺ ، ونشط سهيل بن عمرو في قيادة قريش بهذا الإتجاه ، يبحث عن يتبنى هذه المقولة ويعمل لها معهم من أصحاب محمد .

ز - التكليف الشرعي لمقولة: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة: هذه مقولة جاهلية من كل الوجوه ، وتتعارض معارضة تامة مع النصوص الشرعية ، ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية ، فداود نبي وورثه ابنه سليمان فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معاً ، وأوتي الأنبياء وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب ، ولم يعترض عليهم أحد لأن الفضل بيد الله . والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى ثم دنيوي والخليفة قائم مقام النبي ، ومن مهام النبوة البيان

والحكم ، وعملية البيان والحكم عملية فنية تماماً واختصاص .
 ومن هو على علم بالتقاطيع الأساسية الإسلامية ، يتبين له بأقل جهد أن هذه المقولة نسفت نفساً تاماً النظام السياسي الإسلامي كنظام إلهي وفرغته تماماً من مضمونه ، وحولته من الناحية العملية إلى نظام وضعي ، لا يختلف عن الأنظمة الوضعية إلا بالشكل سياسياً ! والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنيمة وطعمة يأكلها الغالب وحده ، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي أو حصيرته ، ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة ، فإن غلب الطليق الذي قاتل الإسلام ونبيه بكل فنون القتال حتى أحيط به فأسلم رغبة أو رهبة فإنه يتآمر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركة ! ويصبح ولي الله المخصص شرعاً لرئاسة الدولة الإسلامية مجرد مواطن عادي من رعاياه ! يتكلم الجاهل ويسكت العالم ، ويتقدم المحاصر بالكسر ويتأخر المحاصر بالفتح..! كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ومنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، أو بتعبير أدق من أجل العودة عملياً إلى الصيغة السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام ، ولكن بثوبها الجديد (الإسلامي) ! فالصيغة السياسية الجاهلية كانت تقوم على اقتسام مناصب الشرف ، بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها منها . أما الأحكام الإلهية المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي فهي موضوع آخر ، لأنها لا تستجيب للصيغة السياسية التي وجدت قبل الإسلام في مكة .

س- اقتناع الفاروق بالمقولة وتطويرها على يديه: لسوء الحظ أن الفاروق قد

اقتنع بالمقولة القریشية «تحریم الخلافة على بني هاشم» وهو يلتقي هنا مع التيار

الغلاب الساكن في نفوس قریش ، والمتأهب للظهور بعد وفاة النبي ﷺ .

وقد أضفى عليها الفاروق ثوب الشرعية فوصفها بأنها الصواب والتوفيق ، وأن الغاية منها منع الإجحاف الهاشمي على بطون قريش ، وهكذا طورها وألبسها ثوب الشرعية فشقت طريقها بيسر وسهولة بلا حرج تختال بثوبها الشرعي مخفية أحاسيسها الجاهلية .

ومن جهة أخرى فإن الخليفة المقترح من النبي ﷺ وهو علي بالذات نكل ببطون قريش ، فليس فيها بطن إلا وله دم عند علي ، فهو قاتل سادات بني أمية في بدر ، وقاتل حنظلة بن أبي سفيان ، وقاتل العاص بن هشام بن المغيرة ، وهشام هذا هو خال الفاروق^(١) ثم إن علياً هو الذي كفى رسول الله كفار العرب بسيفه ورمحه ، فكيف يرضى أبو سفيان عن قاتل ابنه وأولاد عمومته؟ وكيف تتقبل هند وابنها معاوية رئاسة الذين قتلوا الأهل والأحبة؟ عمر قد يقبل قاتل خاله ، ولكن غيره لا يتقبل ولا يقبل .

ثم إن الرسول ﷺ لا لوم عليه فهو لم يقتل بيديه إنما كان القاتل علي ، فعصبت قريش دماءها بعلي ، ووجهت لومها وكراهيتها له ، مع الإحتفاظ بهويتها الإسلامية وولائها للنبي بالذات ، فلو أخذت قريش بما تسميه بالفضائل التي أضفاها النبي على علي وسلمت له الخلافة فإن قريشاً لن تتحد في ظل حكمه بل ستفترق وتختلف وينعكس هذا الإفتراق وهذا الإختلاف على مستقبل الإسلام ومستقبل الولاء للنبي بالذات ، وقد تقع الفتنة مع ما تجره من عواقب وخيمة على الإسلام والمسلمين .

بهذا وحده يمكن أن نفسر الإندفاع الهائل لأمير المؤمنين في هذا التوجه ، وسر الإئتلاف بينه وبين بطون قريش على شعار لا يجمع الهاشميون الخلافة

(١) الطبقات: ج ٢ ص ١٧-١٨ .

والنبوة ، حتى تحول الفاروق عمر إلى مخطط ومنظر حقيقي وأوحد لهذا التيار .

ش- كيف تبني الفاروق هذه المقولة ونظر لها: قال عمر لابن عباس أثناء

خلافته: «يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري . فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم، فاخترت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت . قال فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتميط عني الغضب تكلمت . قال: تكلم . قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اخترت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة ، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ! فقال عمر: هيهات يا ابن العباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها ، فتنزل منزلتك مني . فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كان حقاً فما ينبغي أن تنزل منزلتي منك ، وإن كان باطلاً فمثلي أباط الباطل عن نفسه . فقال عمر: بلغني أنك تقول صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً . قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسداً ، فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون ! فقال عمر: هيهات هيهات ، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول . قال فقلت: يا أمير المؤمنين مهلاً لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...»^(١) .

(١) الكامل: ٢٤/٣ وشرح النهج: ١٠٧/٣ ، و٩٧/٢ من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

والواقعة التالية التي يرويها المسعودي في كتابه مروج الذهب بين ابن عباس وبين الفاروق رضي الله عنهما ، تؤكد حدوث الانقلاب الفكري وانفلات التيار المغلوب الذي كان ساكناً في النفوس وملجوماً أثناء حياته ﷺ قبل أن تتأسس دولة الخلافة:

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: « يا ابن عباس ، إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسي منك شئ وأعياني ذلك ، فما رأيك في العمل ؟ قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك . قال عمر: ما تريد إلى ذلك ؟ قال ابن عباس: أريده فإن كان شئ أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنني لست من أهله ، فقبلت عملك هنالك ، فإني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته . فقال: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فتقول: هلمَّ إلينا ، ولا هلمَّ إليكم دون غيركم ! إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم . قال: والله قد رأيت من ذلك ، فلم تراه فعل ذلك ؟ قال عمر: والله ما أدري أضنَّ بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيصبح العتاب ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك فما رأيك . قال ابن عباس: قلت: أرى ألا أعمل لك ، قال: ولم؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك؟ قال: فأشر علي؟ قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً عليك^(١) . فمن فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يسلطوا على رقاب الناس ، ولن يحكموا أمة محمد !!

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٢٥٣/٢ .

وبالإجمال فقد تحولت هذه المقولة إلى تيار غلاب أفصح عن ذاته ، وفرض نفسه كقناعة عامة تؤمن بها السلطة القرشية ، على اعتبار أن هذه المقولة هي الوسيلة المثلى لمنع الإجحاف الهاشمي ، وإنصاف البطون القريشية لتداول الخلافة في ما بينها كردّ على النبوة الهاشمية ، أو كتعويض لها عن الإختصاص الهاشمي بها ! وأخيراً باعتبار أن هذه المقولة مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقيها على حد تفسير الفاروق!

ص - النتائج التي ترتبت على تكريس مبدأ عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة

١ - النتيجة الأولى: زوال الفوارق نهائياً بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط بهم فأسلموا ، وبين أولئك الذين قاتلوا مع الإسلام كل معاركة حتى أعز الله دينه ونصر نبيه وأقام دولة الإيمان ، فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا وذاك ، فكلهم مسلم وكلهم في الجنة ، فالهاشمي الذي حاصرتة قريش ثلاث سنين هو تماماً مثل أي شخص كان على الشرك واشترك بالحصار ، ألم يسلم ذلك الشخص ؟ أليس الإسلام يجب ما قبله ؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماماً كوحشي من الناحية العملية السياسية ، فالقاتل كالمقتول تماماً ، والمهاجر كالطليق ، والجاهل كالعالم ، ولو غلب الجاهل لكان لزاماً على العالم أن يطيعه سياسياً وأن يتبعه وينقاد إليه ، بل على العكس ، فلو كان هنالك هاشمي عالم كعلي بن أبي طالب وكان هنالك أنصاري بدرجته أو أقل علماً منه ، فالأنصاري العالم مقدم على الهاشمي . أنظر إلى قول الفاروق رضي الله عنه بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول (لو أدركت معاذ بن جبل لوليته، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته) . خالد قاتل الإسلام في أحد وفي

أكثر من وقعة ، وعلي قاتل مع الإسلام في كل مواقعه ، ومع هذا فالأولى هو خالد ، حتى أن الفاروق لو أدرك سالماً مولى أبي حذيفة وهو من الموالى ، ولا يعرف له نسب في العرب ، لولاه الخلافة وأمره على علي بن أبي طالب مع أن علياً هو ولي سالم وعمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن و مؤمنة باعتراف الفاروق وباقراره....

النتيجة الثانية: زرع بذرة الخلاف ونموها: طالما أن لا فرق بين المهاجر والطلق

ولا بين القاتل والمقتول ، ولا بين المحاصر بالفتح والمحاصر بالكسر ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وأن يستقطب حول هذا الفهم ، فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة ووجود مفاهيم متعددة ، وقناعات متعددة ، وكل فريق يزعم أنه على الحق ، ففريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال بزواية كذا إلخ ، ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقر بها الجميع ، بهذا الجو زرعت بذرة الخلاف ونمت بأرض خصبة ، فلو قال علي عليه السلام كلاماً وقال واحد من الطلقاء كلاماً آخر فالذي يزن القولين هو السامع ، لأنه عملياً لا فرق بين علي وأي طليق ، فكلاهما في الجنة وكلاهما مسلم ، فهم صحابة ، أي لا يقرون عملياً بأي ترجيح شرعي لقول علي ، فكيف يرجح بين المتساويين وكيف يفرق بين المتعادلين تماماً ؟ فهذه قطعة ذهبية تتساوى حجماً وشكلاً ومقداراً وقيمة مع قطعة أخرى ، فخذ ما شئت وإياك والتمييز ، فالوفاق الحاصل وفاق ظاهري ، وتحتته ينمو الخلاف ويشب ، ثم يتحول إلى سرطان عاجلاً أم آجلاً ، يمزق وحدة الأمة ويخرجها من إطار الشرعية إلى الغامض والمجهول .

النتيجة الثالثة: رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي: بمعنى أنه لا شيء على

الإطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية ، شريطة أن يتمكن من الوصول إليها ، والإستحواذ عليها ، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان ، شريطة أن لا يكون من بني هاشم ، لأنهم اختصوا بالنبوة والنبوة تكفيهم .

هذا الحق حوّل الطمع برئاسة الدولة إلى كابوس بغيض وآلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها ، وجعلتها حقل تجارب لكل الطامعين بالرئاسة ، وعطلت نظامها السياسي والشرعي . أما من أي قبيلة هذا الرئيس ؟ ما هو علمه ؟ ما هو دينه ؟ ما هي سابقته ؟ من الذين سيحكمهم ؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العملية ، ولا يعول عليها ، لأن الغالب غالب ، والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته .

ما الذي يمنع يزيد بن معاوية ، وهو المشهور بعهره وفجوره ، من أن يكون رئيساً للدولة الإسلامية ، لأنه ابن معاوية الرئيس ، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في الجنة بالنص ، وريحانة النبي من هذه الأمة بالنص ، والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنص ، فما الذي يمنعه من أن يكون أحد رعايا يزيد ، وأحد الذين يتأمر عليهم ، فكلاهما مسلم ، وكلاهما في الجنة ، يزيد القاتل المجرم في الجنة والحسين الإمام المقتول في الجنة ، كلاهما صحابي !!! ومن ينقد هذا الرأي فهو زنديق لا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه .

النتيجة الرابعة: اختلاط الأوراق: فقد اختلط الحابل بالنابل ، والحق بالباطل ، والخير بالشر ، والعلقم بالشهد ، وأصبح المتأخر كالمتقدم ، واللاحق كالسابق ،

والمجاهد كالقاعد ، والقاتل كالمقتول ، والمحاصر كالمحاصر ، ومن وقف مع الإسلام تماماً مثل من وقف ضده ، ومن قاتل الإسلام تماماً كمن قاتل معه ! لقد دخل الجميع بدين الله ، وشاهدتهم النبي ﷺ أو شاهدوه ، فكلهم صحابة ، وكلهم في الجنة ! وضاع الصادقون وتفرقوا في الأمصار ، وأصبحوا على حد تفسير معاوية كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود ! لقد انهار النظام السياسي الإسلامي ، وتأخر المتقدمون وتقدم المتأخرون ! والله عاقبة الأمور .



الفصل الثامن

الإستيلاء على السلطة وعزل بني هاشم

١ - استذكار وربط الأحداث

النبى على فراش الموت ، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته ، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه . النبى ﷺ على علم بمستقبل هذه الأمة ، وقد أدى دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه وبين لهم كل شئ على الإطلاق . وهو على علم تام بما يجري حوله ، ومدرك أنه السكون الذي يسبق الانفجار فينسف الشرعية السياسية والمرجعية ، وينسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسى للدعوة والدولة . ولكن مثل النبى لا ينحني أمام العاصفة ، ولا يقعه شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرافة والرحمة لهذه الأمة . وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية ، والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة ، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها ، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمتة حتى تهتدي وحتى لا تضل ، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تربص بها ، وتنتظر موت النبى لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام ، وتعيق حركته وتغير مساره .

٢ - المواجهة الصاخبة

النبى على فراش المرض ، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة ، وقد أصرَّ

على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام فقال: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي؟

ومن يرفض التأمين ضد الضلالة؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟

ثم إن من حق أي مسلم أن يوصي، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله، هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي، وليس نبياً وقائداً للأمة.

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: «إن النبي قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله» فاختلف أهل البيت، فاختصموا، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، ومنهم من يقول ما قاله عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال لهم: قوموا عني^(١) وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال: «إتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله! قال النبي: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه»^(٢)

وفي رواية ثالثة قال النبي ﷺ: «إتوني بالكف والدواة أو اللوح والدواة،

أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقالوا: إن رسول الله يهجر»^(٣)

وفي رواية رابعة للبخاري أن النبي قال: «إتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا

تضلوا بعده. قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجد وعندنا كتاب الله حسبنا،

(١) صحيح بخاري كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني: ٩/٧ وصحيح مسلم في آخر كتاب الوصية: ٧٥/٥

وشرح النووي: ٩٥/١١ ومسند أحمد: ٣٥٦/٤ ح ٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٥١/٦.

(٢) صحيح بخاري: ٣١/٤ ومسلم: ١٦/٣ ومسند أحمد: ٢٢٢/١ و: ٢٨٦/٣.

(٣) صحيح مسلم: ١٦/٢ و: ٩٤/١١-٩٥ بشرح النووي، ومسند أحمد: ٣٥٥/١ والطبري: ١٩٣/٢.

فاختلفوا وأكثروا اللفظ . قال النبي: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع»^(١)
 رواية بلفظ خامس للبخاري ، قال النبي: «إتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا
 بعده أبداً . فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه!
 فذهبوا يرددون عليه . فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»^(٢)
 رواية بلفظ سادس للبخاري ، قال النبي ﷺ: «إتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا
 تضلوا بعده أبداً . فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر؟ إستفهموه!
 فقال النبي: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»^(٣)
 رواية بلفظ سابع للبخاري قال ﷺ: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده . قال
 عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله . واختلف أهل البيت
 واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم
 من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللفظ والإختلاف عند النبي قال: قوموا عني»^(٤)
 وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: «إن النبي يهجر...»^(٥) وقد اعترف الفاروق أنه
 صدّ النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي .^(٦)

٣- تحليل المواجهة

أطراف المواجهة: الطرف الأول: هو محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وإمام

(١) صحيح بخاري: ٣٧/١ .

(٢) صحيح بخاري: ١٣٧/٥ وتاريخ الطبري: ١٩٢/٣-١٩٣ .

(٣) بخاري: ١٣٢/٢ و٦٥/٤-٦٦ .

(٤) صحيح بخاري: ١٦١/٨ .

(٥) تذكرة الخواص لسبط الجوزي الحنفي/٦٢ وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي/٢١ .

(٦) راجع شرح نهج البلاغة: ١١٣/٣ و٨٠٣/٣ و١٦٧/٣ .

الدولة (رئيسها). الطرف الثاني: هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ، ووزير من أبرز وزراء دولة النبي ، والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد .

مكان المواجهة: بيت النبي ﷺ .

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

٤- النتائج الأولية للمواجهة

١- انقسام الأمة: فقد انقسم الحاضرون إلى قسمين: قسم يؤيد الفاروق فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما يريد . وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة وأحد وزراء النبي وهو مشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابة هذا الكتاب . ثم إن القرآن وحده يكفي فهو التأمين ضد الضلالة ، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي .

وقسم يرفض المواجهة أصلاً بين التابع والمتبوع ، وبين نبي ومصدق به وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له إجهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت ، وبين واحد من وزرائه . ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ، ولكتابة ما يريد ، لأنه نبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله ، ولأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله .

ثم على الأقل لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء .

ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته ، فهو صاحب البيت ، ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته .

٢- بروز قوة هائلة جديدة: برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين ، في مواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه ^(١) واستطاع أن يحرك الأحداث وأن يقودها بكفاءة! ولحد الآن: لا أحد يدري على وجه اليقين من الذي أوحى للأنصار بفكرة الاجتماع في السقيفة ، ولا كيف التأم شمل هذا الاجتماع ، ولا من الذي دعا إليه ! ولا أحد يدري كيف علم به عمر دون المهاجرين؟! فالثابت أن الذين حضروا هذا الاجتماع من المهاجرين ثلاثة فقط هم: أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة . والثابت أيضاً أن أبا بكر رضي الله عنه كان يساعد العترة الطاهرة بتجهيز النبي . وأن عمر رضي الله عنه هو الذي دعا أبا بكر وأخبره بحادث اجتماع السقيفة . وأن أبا بكر وعمر وجدا وهما في طريقهما إلى السقيفة أبا عبيدة بالصدفة! ^(٢) . فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ويتابعها متابعة دقيقة ، دقيقة بدقيقة . وفي داخل السقيفة كان له الدور الأعظم ، فلو أراد لكان هو الخليفة . وبعد الخروج من السقيفة ومبايعة الأكثرية الحاضرة لأبي بكر الصديق ، هو بنفسه الذي قاد عملية إتمام البيعة ، وهو الذي صاح بالمهاجرين أنه قد بايع الصديق وبايعه الأنصار وأن عليهم أن يقوموا فبايعوا ، فنهض عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا الصديق . وعثمان والأمويون بأغليبتهم هم أول من بايع .

وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبا بكر وجهاز منهم سرية

(١) راجع مصادر رزية يوم الخميس بتعبير ابن عباس، وقد أجمعت على أن الفاروق هو الذي قال حسينا كتاب الله.

(٢) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٥ وما فوق .

أخرجت علياً ومن معه من بيت فاطمة الزهراء ليباعوا الصديق^(١) وهو نفسه الذي أحضر الحطب وهمّ بإحراق بيت فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به^(٢) وهو نفسه الذي هدد علياً بالقتل إن لم يبيع^(٣) وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه^(٤) وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام^(٥) وهو القوة الهائلة التي صنعت الإستقرار لدولة أبي بكر، ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلاً فانتقل إلى جوار ربه، وورث عمر دولة آمنة مستقرة، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة وبدون معارضة، وكان الانتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة.

وعاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون أن للفاروق قدرة هائلة على التخطيط والتنظيم لم تتوفر لأحد قط من أقرانه!^(٦) فقد قام بدور الهيئة التأسيسية لعصر ما بعد النبوة، ورتب كل شئ لمستقبل الحكم في الإسلام، فلن يجمع الهاشميون الخلافة والنبوة أبداً وستكون الخلافة تداولاً في غيرهم، وحقاً خالصاً لمن غلب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة.

٣- بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع: نبتت بهذه المواجهة فكرة

التغلب وترجيح التابع على المتبوع، أو المساواة بين التابع والمتبوع، وخلق حالة

(١) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٥ وما فوق.

(٢) راجع مراجع التحريق الذي ذكرناها أكثر من مرة.

(٣) الإمامة والسياسة/١٣.

(٤) شرح النهج: ٣٠٦/١-٣٠٧ مكتبة الحياة.

(٥) تاريخ الطبري: ٢٠٩/٣-٢١٠ وتاريخ الحكم للقاسمي/١٥٢.

(٦) الكامل لابن الأثير: ٢٤/٣ وشرح النهج: ١٠٧/٣.

من الشبهات والحيرة مع من يكون الصواب هل هو مع التابع أو مع المتبوع ؟ فحجة الفاروق أن النبي قد اشتد به الوجد ، وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطراً . وشايح الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة ، وهذا شك . وحجة الطرف الآخر أن محمداً ما زال نبياً وسيبقى نبياً حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها ، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين . فترك اليقين إلى الشك غير معقول والمرض ليس مانعاً من القول .

٥- الخياران أمام النبي ﷺ

إذا أصر النبي على كتابة عهده ، ففريق الفاروق يرى أنه حاشا له: هجر ، يهجر ! وفي ذلك كارثة على الدين كله ! وكانوا يستعدون للتحدي إذا أصرَّ على الكتابة وقالوا للحاضرين: إستفهموه ، أي إسألوه ليتكلم ونثبت لكم ما نقول ! وإذا عدل عن كتابة العهد الذي أراد أن يكتبه ، ففريق الفاروق يرى أنه انتصر وغلبت ترتيبات قريش على الترتيبات الإلهية لما بعد وفاة النبي ﷺ ! فاختار النبي ﷺ العدول عن كتابة عهده ، وصدَمَ خاطرة الشريف هذا القول الموجع: هجر يهجر ! وصدمه أكثر ما دعوه اليه بقولهم إستفهموه ، حيث أرادوا أن يصرَّ على كتابة عهده فيقولون إنه يهجر ، ويريد تأسيس ملك لبني هاشم ! وقد تعلن بطون قريش الردة عن الإسلام ! وكان جبرئيل عليه السلام معه فوجهه أن لا ينجر الى ما دعوه اليه وأن يطردهم ! فقال لهم عندما أكثروا اللغو والاختلاف والصراخ وأطالوا ذلك: «قوموا عني.. دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»^(١)

(١) نحن أهل السنة نعتبر صحيحي بخاري ومسلم أصح كتب الحديث على الإطلاق ، وقد روى البخاري تلك الحادثة الأليمة بست روايات ، ولها كلها نفس المضمون ، ورواها مسلم أيضاً ، وراجع إن شئت صحيح بخاري: ٩/٧ ، ومسلم: ٧٥/٥ و٩٥/١١ بشرح النووي و: ٨٥ /٤ .

٦- ثوب الشرعية

الفاروق لم يخرج عن إطار الشرعية من حيث الشكل ، فهو لا يدعو إلى باطل فهو يقول مخاطباً من حضر: عندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، إن رسول الله قد اشتد به الوجع . فهو حريص على أن لا يكتب النبي هذا الكتاب ، وحريص على تقديم واجبات الإحترام الرسمية للنبي حيث قال: إن رسول الله قد اشتد به الوجع... وحريص على التمسك بالقرآن ، وهو وحده يكفي ، ولا حاجة لكتاب النبي . فكامل هذه التصرفات ترتدي ثوب الشرعية ، وهذا عين موقف فريق أمير المؤمنين عمر .

٧- مقاصد الفاروق وأهدافه

قاومت بطون قريش النبوة الهاشمية بكل فنون المقاومة ، وحاربتها بكل وسائل الحرب ، لا حباً بالأصنام ولا كراهية للإسلام ، فليس في الإسلام ما تعافه الفطرة فيكرهه لكن قريشاً لا تريد أن تغير صيغتها السياسية القائمة على اقتسام مناصب الشرف وأن يتميز البطن الهاشمي عن بقية البطون ويتفوق عليها ! وقد تصورت أن التفاف الهاشمين حول النبوة ، ودفاعهم المستميت عن النبي ﷺ هو إصرار هاشمي على التميز ، ورغبة هاشمية بالتفوق على الجميع ، فحاصرت الهاشمين وتآمرت مجتمعة على قتل النبي ، وتعاونت مجتمعة على خربه ، ففشل الحصار ، وفشلت المؤامرة ، وهزمت البطون في حروبها ، وأحيط بها فأسلمت وأدركت أن النبوة الهاشمية قدر محتوم لا مفر منه ولا محيد . وطالما أن النبوة قدر محتوم ، ولا طاقة للبطون بمواجهته ومنعه ، فلتكن النبوة للهاشمين خالصة لهم لا يشاركهم فيها أحد من البطون ، وليتوقف الزحف الهاشمي على حقوق البطون الأخرى ! ومن الخطأ أن يُعدَّ النبي العدة لتكون

الخلافة لعلي الهاشمي ولذريته من بعده لأنهم الأعلم بالإسلام والأفضل من أتباعه . والحل الأمثل عند البطون أنها كلها دخلت في الإسلام ، والإسلام يجب ما قبله . وتوحيد قريش في ظل الإسلام مصلحة شرعية لأن انتصار الإسلام وشيوعه لا يتحقق إلا بذلك ، أي بأن تكون النبوة خالصة لبني هاشم لا يشاركهم بها أحد كائناً من كان. وتكون الخلافة لبطون قريش تتداولها فيما بينها لا يشاركها فيها أي هاشمي على الإطلاق ، ولا حرج لو تداولها مع البطون غيرهم كالأنصار والموالي ، لأن اشتراكهم لا يخدم التميز والتفوق الهاشمي !

لقد تحير القرشيون بعد فتح مكة فيما يجب أن يعملوا مع محمد ، وتحيروا في ذلك وتشاور زعيمهم سهيل بن عمرو مع كبار القرشيين في مكة والمدينة حتى وجدوا مقولة: تحريم الخلافة على بني هاشم ! فاستقرت بأذهانهم نهائياً وتحولت إلى تيار غلاب ! وآمنت بأنها قد اهتدت عندما أخذت بهذا المبدأ^(١)

١- حادثتان مشابھتان

الأولى: لقد مرض الصديق واشتد به الوجع كما يجمع على ذلك كل أتباع الملة . فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خالياً - أي وحده - وقال له: «أكتب أما بعد» ثم أغمى عليه من شدة الوجع فكتب عثمان: «فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً» فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان: «إقرأ عليّ» فقرأ عليه ما كتب فقال أبو بكر: «أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتلت نفسي في غشيتي؟ قال عثمان: نعم ، قال أبو بكر: جزاك الله خيراً

(١)الكامل لابن الأثير: ٢٤/٣ سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/١٤٩ .

عن الإسلام وأهله» وأقرها أبو بكر^(١) تلك حقيقة بالإجماع .

الثانية: مرض عمر نفسه فقال طبيبه: « لا أرى أن تمسي ، فما كنت فاعلاً فافعل فقال لابنه عبدالله: ناولني الكتف فمحاها ، وقال من شدة الوجع: والله لو كان لي ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلاع . وكان رأسه في حجر ابنه عبدالله فقال لابنه: ضع خدي بالأرض، فلم يفعل فلحظه وقال: ضع خدي بالأرض لا أمّ لك ! الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر» .^(٢)

وبالرغم من شدة وجع أبي بكر ، فقد أوصى وكتب ما أراد ، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد ، ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة وأنه لن يسلط هاشمي على رقاب الناس ، حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة ! ونفذت بدقة وصية الإثنين وسمح لهما بقولها ، وسمح لهما بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهما . وسبب شرعية قولهما أنه عندما كتب كل منهما وصيته كان ما زال (خليفة للمسلمين) ومن حقه أن يمارس عمله ما دام حياً أو لم يعزل ! تلك حقيقة مُسَلَّمٌ بها بالإجماع ، قولاً واحداً لا خلاف عليه . فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما يريدان مع أن المرض قد اشتد بكل واحد منهما أكثر من اشتداده برسول الله ، ويُحال بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما أراد ؟! ألا يحق لمحمد ﷺ ما يحق لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟ هذا مع الافتراض أن محمداً على قدم المساواه مع أبي بكر وعمر ، وهو افتراض مرفوض شكلاً وموضوعاً ، لأن محمداً ﷺ نبي مرسل من الله وإمام ، بينما أبو بكر وعمر من الأتباع ، ومحمد يوحى إليه ، وقد أكد وقال أكثر من مرة إن أكثر ما كان يأتيه الوحي

(١) تاريخ الطبري: ٤٢٩/٣ و صفحة ١٧٦ من نظام الحكم للقاسمي و صفحة ٣٧/ من سيرة عمر لابن الجوزي و: ٨٥/٢

من تاريخ ابن خلدون و صفحة ١٢٠ من كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ٢١-٢٢ والطبقات: ١٢٠/٢ و كتابنا النظام السياسي على سبيل المثال .

كان يأتيه وهو مريض ^(١) والله تعالى يقول: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ويقول: «وَمَا صَاحِبِكُمُ بِمَجْنُونٍ» «مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى» «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» . فكيف يتحول بطرفة عين من كانت هذه صفاته وملكاته إلى رجل حاشا له أن يهجر! ولا يؤمن على كتابة وصية!!؟

ومع أن هذه حقائق دامغة ، لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكرها أو تدافع عنها ، ومع أن هذه الواقعة نسفت مستقبل الإسلام كله ، وكانت هي البذرة التي انطلقت منها كل المآسي والنكبات التي حلت بالمسلمين ، إلا أن أهل السنة يتجاهلون لها تماماً ولا يفكرون بها إلا أنها مجرد قصة .



وهكذا عملياً رجح قول التابع على قول المتبوع ، فأصبح التابع مرجعاً والمتبوع متفرجاً ، وتم للتابع ما أراد وغلبت مشيئته واستقطب الناس لها ، فوجدت واقعياً فكرة الغلبة وأثمرت ، واعتبرت الغلبة فيما بعد مبدأً شرعياً ، وأجيز للأمة أن تتفرج على الصراع بين متغالبين ، ثم تقف في النهاية مع الغالب مهما كانت صفاته ، ومهما كان دينه ^(٢) فطمع المتبوع بالتابع وتقدم المفضل على الأفضل . ومن هنا فلا ينبغي أن ندهش إذا رأينا معاوية بن أبي سفيان يعتلي سدة الخلافة ، وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم ، وينازع بالخلافة أول من أسلم ومن هو ولي الله بالنص ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بالنص ، ويحاول أن يقنع المسلمين بأنه أفضل من علي وأصلح للأمة منه !

ولا ينبغي أن نندهش إذا وجدنا في عصور الإسلام من يقول هذا مجتهد وهذا

(١) راجع الطبقات لابن سعد: ٢/١٩٣ .

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي/ ٣٤٤ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ١٥٣ .

مجتهد وكلاهما في الجنة! ولا ينبغي أن ندهش عند ما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة، وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظوراً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر وعمر، حتى تولى الخلافة عثمان فأدخله معزراً مكرماً واتخذ ابنه مروان رئيساً لوزرائه وزوجاً لابنته!

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع، وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام والمتأخر في موازين الله والإسلام! فالوليد بن عقبة يتأمر على الحسين بن علي! والوليد يعظ المسلمين ويجب على الحسين أن يسمع موعظته! والوليد يصلي بالناس صلاة الصبح أربعاً وهو سكران، ويسألهم كانوا يرغبون بالزيادة! وبعد ذلك فإنه لا حرج أن يكون هذا الرجل إماماً للحسين بن علي بن أبي طالب وأميراً عليه، ومرجعاً، يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه!!

٩ - عزل العترة الطاهرة

بهذا المناخ نادى العترة الطاهرة بالشرعية، وقالت إن لها حقاً وهي تطالب به ولكن الناس يحولون بينها وبين حقها الشرعي! وكانت معارضة أبي الحسن لأبي بكر معارضة متحضرة وشرعية ومنطقية جداً بشهادة بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر حيث قال عندما سمع حجة الإمام: «لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»^(١) لكن تبقى السلطة سلطة، ولا يمكن لها بالفطرة بأي مقياس أن تثق سياسياً بالمعارضة ولا أن تسلم بمكتسباتها. ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب الإمام علي، فقد رُئيَ عدم قتله بالرغم من أنه هُدد بالقتل إن لم يبايع، ورُئيَ عدم

(١) الإمامة والسياسة ١٢/ على سبيل المثال.

إكراهه على البيعة تقديراً لفاطمة ، ولم تتخذ إجراءات فعالة ضد الإمام وفاطمة عندما كانا يطوفان ليلاً على بيوت الأنصار ويسألان النصره فكان الأنصار يقولون: « يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ! فيقول علي: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فتقول فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيهم عليه وطالبهم»^(١) وتقول فاطمة: «وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذراً؟!»!

وكانت النتيجة عزل الإمام بعد وفاة فاطمة وعزل شيعته ، بل حاولت السلطة عزله عن بني هاشم واجتذاب العباس إليها بإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه!^(٢) وبالمعيار الموضوعي ، إذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها ، فسيختار جانب السلطة لأنه الجانب الأقوى ، خاصة وأن معارضات أهل البيت تتابعت وكاد جبل الود أن ينقطع نهائياً بينهم وبين السلطة من يوم همَّ عمر بإحراق بيت فاطمة على من فيه ، ولكن الله سلَّم.^(٣)

والأهم من ذلك أنها وضعت شرطاً بأنه لا يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ! وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر ، وكان عمر يحرص على أن لا يتولى أعماله أي مؤيد لهم^(٤) .

وهكذا عزل علي وعزلت شيعته ، ومع ذلك تعايش الإمام مع الشيخين

(١) الإمامة والسياسة/١٥-١٦ .

(٢) الإمامة والسياسة/١٢ على سبيل المثال .

(٣) راجع مراجع التحريق .

(٤) مروج الذهب:٢/٣٥٣ للمسعودي .

وتعايشت شيعته ، وقدمت السلطة في زمنهما إسم أهل البيت على الجميع في العطايا ، فكانوا يبدوون بآل محمد ثم ببقية الناس ، وآمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم ، وكانا الشيخان يستشيران الإمام ويرجعان إليه أحياناً . وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة بدأ الأمويون ينزون في بلاطه ، وأخذ الصحابة يتراجعون من حوله حتى انفضوا جميعاً ، والتف عليه الأمويون ، ولأن علياً وشيعة لا يمكن أن يسكتوا على أخطاء بني أمية وهم حاشية عثمان وعماله ، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونهيبهم عن المنكر معارضة للأمويين كقبيلة فلذلك ضاقوا ذرعاً بعلي وشيعة ، وتراكت هذه المعارضة مع تركت الماضي وما زالت تكبر حتى حدثت المواجهة بين الأمويين برئاسة معاوية والي الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي ، واتحدت قريش ضد الولي كما اتحدت ضد النبي ﷺ ! وانتصرت القوة على الشرعية وتزوج معاوية ملكاً حقيقياً على الأمة ، وسمي العام بعام الجماعة وأتباعه أهل السنة ! وبدأ معاوية عهداً جديداً لمطاردة آل محمد ملئ بالدمع والدم ، فأيدوا إلا من كتبت له الحياة ، وفرضت مسبتهم وشتهم في الأمصار ، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكام ، وطوردت شيعة آل محمد ، ولم يجيزوا لأحد منهم شهادة ، ومحووا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءهم ورزقهم!^(١)

(١) تاريخ ابن عساكر: ٤٠٧/٣ ومعاوية في الميزان للعقاد/١٦ وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية/١٨٠ .

الفصل التاسع

١- قريش تخطط والهاشميون يرزحون في مصابهم

كانت قريش مدركة أن النبي ﷺ ميت لا محالة في مرضه هذا ، فقد أخبرهم بذلك وهو الصادق عندهم ! وهم يدركون أن ترك الأمور على طبيعتها يؤدي حتماً لفوز علي بالخلافة ، وعندئذ يقع المحذور ، فيجمع الهاشميون مع الخلافة النبوة ! لذلك لا غنى لقريش عن التحرك بالخفاء لمنع وقوع المحذور .

والهاشميون وعلي بالذات مشغولون بمصابهم ، فالنبي يعاني الألم وهو ميت لا محالة في مرضه هذا ، وألمه ألمهم لأنه النبي والسيد ، وهم الأتباع المخلصون ، ولأنه الأخ والقريب وابن العم والحبيب فلا أخ مثله ، ولا قريب يغني عنه ، ولا ابن عم يتحلى بمزاياه ، ولا حبيب نظير له على الإطلاق .

لذلك انصرفوا له بكليتهم وانشغلوا به عن سواه مفترضين أن الآخرين مثلهم .

٢- التخطيط المحكم

كيف علم عمر بأن النبي سيوصي في ذلك اليوم بالذات فحضر؟ ومن الذي أخبره؟ وكيف تجمع هذا الفريق الذي ما إن سمع النبي يقول: « هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » حتى ردّ الفاروق فوراً على النبي موجهاً الكلام لمن حضر: « إن النبي قد اشتد به الوجع وحسبنا كتاب الله ! فردد هذا الفريق فوراً: القول ما قاله عمر ! وزادوا: رسول الله هجر !! إستفهموه إنه يهجر » ! كما أسلفنا وأثبتنا .

فقول النبي لا يمكن أن يخلق هذا النفور الفوري ، والرد العمري الفوري

بجملته الشهيرة: إن الوجد قد اشتد برسول الله حسبنا كتاب الله ، لا يمكن أن يخلق الإقناع الفوري . إن مثل هذا الإقناع الذي حمل أصحابه على اللفظ والخلاف والتنازع في حضرة رسول الله ، يدل بالمنطق والعقل أنه كانت توجد معرفة يقينية مسبقة لدى هذا الفريق بمضمون الكتاب الذي أراد الرسول أن يكتبه ، وأن هناك نوعاً من الإتفاق المسبق للحيلولة بين النبي وبين كتابة هذا الكتاب ، ولو أدى ذلك إلى مواجهة مع النبي نفسه ، والقول بأنه يهجر أو هجر حاشا الله ! والأقرب إلى التفكير أيضاً أن هنالك رابطاً أو اتفاقاً يضمن وحدة هذا الفريق حتى في مواجهة مع النبي نفسه ! أما هل هو اتفاق عفوي أم ثمرة تخطيط ؟ الله وحده يعلم ! لكن المؤكد أن ظهر الشرعية قد قصم تماماً في هذه المواجهة !

٣- الثمرة الأولى لهذا التخطيط

تمكن هذا الفريق من أن يحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، وبرز عمر كأقوى رجل في هذا الفريق على الإطلاق ، فهو الذي خاطب الحاضرين: إن النبي قد اشتد به الوجد حسبنا كتاب الله ، بمعنى أنه لا حاجة لنا بكتاب النبي ، هذا القرآن معنا يكفيننا ، وما زاد عن الكفاية فهو لغو ولا ضرورة له ! مما شجع مؤيدي هذا الرأي على القول: رسول الله هجر ! استفهموه.. إنه يهجر ! حاشا لك يا رسول الله .

والخلاصة: أن الثمرة الأولى للتخطيط كانت الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد ولنفتراض جدلاً أن النبي أصر على رأيه ولخص الموقف وقال لا تنسوا بأن الخليفة من بعدي عليٌّ ، فإن هذا القول سيضطر ذلك الفريق الى رفع شعار الهجر ، ويصير الدين نفسه في خطر ولما أمكن التفريق بين ما قاله النبي في

هجره المزعوم وصحوه ! لذلك فضل النبي ﷺ أن يعدل عن كتابة الكتاب ليصون الأهم وهو الدين بدلاً من صيانة المهم وهو خلافة علي ، فقال لهم: « قوموا عني ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه » وما يدعونه إليه هو ضربة لأصل الدين ! وخرج هذا الفريق وهو يتصور أنه المنتصر وأنه قطف الثمرة ، وأن العقبة الكبرى في طريق تحقيق الهدف قد زالت !

٤- التخطيط لهزيمة الهاشميين

في حالة التكافؤ بالفرص بين رأي قريش وبين رأي بني هاشم ، فإن الرأي الهاشمي سيسمو على رأي قريش ويثبت أنه الأصوب والأجدر . فإذا تساوت الفرصة لتفرع الحجة بالحجة ، فإن الولي من بعد النبي سيقرع بحجته الباهرة حجة غيره ، لأنه مع القرآن والقرآن معه بالنص والحق معه وهو مع الحق بالنص . وإذا كانت مبارزة شريفة بين الولي وبين أي كان ، فإن الولي سيفوز ، لأنه المنصور بإذن الله .

لكن الولي لا يمكنه التآمر والتخطيط في الظلام ومعصية الله . وقد أثبتت وقائع التاريخ أن المواجهة عندما تكون متكافئة وعادلة وشريفة بين قريش والهاشميين ، فإن الفائز المؤكد بنو هاشم ، فقد حاصرت كل بطون قريش بني هاشم ثلاث سنين وأكثر وفشل الحصار وانتصر الهاشميون . وتآمرت كل بطون قريش على قتل محمد واختارت من كل بطن منها رجلاً ليشرخوا بقتل النبي مجتمعين فيضيع دمه بين القبائل ، وفشلت المؤامرة ونجا النبي ﷺ وانتصر الهاشميون .

وجيَّشت بطون قريش الجيوش وحاربت محمداً وبني هاشم ، وانتصر محمد

وانتصر الهاشميون بانتصاره ، وهُزمت كل بطون قريش وأحيط بها ، وأسلمت واعترفت بالنبوة وأدركت أنها قدر لا مفر ولا محيد عنه .

ومن يومها قررت بطون قريش مسامحة الهاشميين بالنبوة ! والإقرار بتفردهم بها وحدهم دون البطون ، مقابل أن تأخذ البطون الخلافة وتتداولها فيما بينها ، ولا مانع من خروجها إلى غير قريش مؤقتاً على أن لا تؤول إلى هاشمي ، لأنها إذا آلت لبني هاشم فلن تخرج منهم ، ويقع المحذور ويجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة !

٥- الخطة المثلى والقوة المرجحة التي ستهزم الولي

أدركت قريش أن سر الإنتصارات المتوالية للهاشميين وسر تميزهم وتفوقهم على بطون قريش ، يكمن في وجود مرجح ساهم بترجيح الكفة الهاشمية وهو الأنصار ، وبذلك اهتدت قريش إلى مفصل الأمور وفيصلها ! فإذا استطاعت أن تضمن ولاء الأنصار لموقفها ، فقد حققت النصر الساحق في هدفها الأعظم بمنع الهاشميين من أن يجمعوا مع الخلافة النبوة ، ومنع الولي من أن يكون هو الخليفة ، لأنه إذا تولى علي الخلافة فسيكون الحسن من بعده ، فهو مسمى من قبل جده رسول الله ﷺ وله مكانة ابن بنت الرسول ، ثم سيكون بعده الحسين ، ومعناه أن الأمر سيبقى بيد أبناء النبي الهاشميين ! فإذا وقفت الأنصار مع علي فقد هزمت قريشاً ووقع المحذور ، وإذا وقفت مع قريش فقد انتصرت قريش على الهاشميين .

والنقطة الثانية بعد إقناع الأنصار أو تحييدهم انعدام تكافؤ الفرص ، لأنه إذا وقف الولي على قدم المساواة مع قريش ومع أي زعيم من زعمائها ، فإنه سيغلب

ويقيم الحجة الشرعية على قريش مجتمعة ! والمهم بهذه الحالة أن لا يتكلم معه الزعيم القرشي بصفته الشخصية ولكن باسم الجميع ، جميع بطون قريش بمن فيهم المهاجرين منهم، فإذا فعل ذلك فإمكانية هزيمة الولي وفق موازينهم واردة . والنقطة الثالثة: السرعة القصوى بحيث يتم البت بموضوع الخلافة خلال فترة انشغال العترة بتجهيز النبي ودفنه فلا يحضر منهم أحد على الإطلاق ، ويتم نصب الخليفة والصفق على يده في غيابهم ، لجعلهم أمام أمر واقع فلا يكون لهم مبرر للإعتراض، بل يتهمون بأنهم يريدون الفتنة ومواجهة أمر واقع له مؤيدون وأتباع !

٦- اجتماع السقيفة

مات النبي ﷺ، غاب القمر المنير الذي أضاء الوجود بنوره ، وشاع الخبر وهرع سكان العاصمة وتجمعوا في بيت النبي وأحاطوا به ، ليكون نبينهم ووليهم وإمامهم الأعظم . والآل الكرام وعلى رأسهم الولي والخليفة منصرفون كلهم وبكليتهم إلى مصابهم الذي لا مصاب مثله ، ومشغولون بتجهيز النبي لمواراته في ضريحه الأقدس . في هذا الوقت بالذات انعقد الاجتماع في سقيفة بني ساعدة .

٧- أسئلة بدون أجوبة

لماذا انعقد هذا الاجتماع بهذا الوقت بالذات ؟ ومن الذي دعا إليه ؟ وكيف أمكن عقده بهذا الوقت بالذات ؟ ومتى بدأ التحضير له ؟ ومن حضره على وجه اليقين من الأنصار ؟ فالسقيفة لا تتسع لكل الأنصار ، وقسم كبير منهم كان بحكم المنطق في بيت النبي أو متعلقاً حوله ؟ لأن من المستحيل أن يغيبوا كلهم عن النبي دفعة واحدة ! ومن الذي بدأ بالتحضير لهذا الاجتماع ؟ وكم استغرق التحضير له ؟ ولماذا لم يعلم بهذا الاجتماع من المهاجرين إلا عمر بالذات ؟ ومن

الذي أخبره؟ لأن عمر لم يكن في بيت النبي ولا مع المتحلقين حوله، إنما كان في مكان ما وهو يعلم أن أبا بكر في منزل النبي بالضرورة، فأتى عمر فأرسل إلى أبي بكر: أن اخرج إليّ، فأرسل إليه: إنني منشغل، فأرسل إليه: أنه حدث أمر لا بد من حضوره! فخرج أبو بكر إليه فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عباد، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير! فمضيا مسرعين، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم. (١)

١- من الذي أتى بالخبر

يقول الطبري: «أول من سمع خبر اجتماع الأنصار هو عمر» (٢) وفي رواية أخرى أن أبا بكر بلغه الخبر وفي رواية ابن هشام: «فأتى آت إلى أبي بكر وعمر» أما من هذا الذي أتى بالخبر؟ فلا أحد يعرفه على الإطلاق لأن اسم هذا المخبر ضاع! (٣)

قالوا: عندما سار الثلاثة باتجاه السقيفة وجدا عويم بن ساعدة الأنصاري ومعن بن عدي (٤) وهما من الأنصار، وفي رواية ثانية للطبري: «فلقاهم عاصم بن

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٩.

(٢) نظام الحكم للقاسمي ص ١٢٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٢١٩ / ٣.

(٤) تاريخ الطبري: ٢٠٦ / ٣، وقد كان أبو بكر على عجلة من أمره فدخل إلى الحجرة وكشف عن وجه النبي وقال نعم إنه مات! وغطى وجهه وقال لبني هاشم: دونكم صاحبكم غسلوه! وخرج هو وعمر (بتعاديان) إلى السقيفة، وفي مسند أحمد (بتقاودان) ولم تمض ساعة واحدة عن وفاة النبي ﷺ حتى صفق عمر على يد أبي بكر في مجلس سعد بن عباد

عدي وعويم بن ساعدة ، وهما صحابيان قد شهدا بدرًا . وفي رواية أنهما قالوا للثلاثة : إرجعوا واقضوا أمركم بينكم . وفي رواية ثانية: إرجعوا فإنه لن يكون ما تريدون . والملفت للإنتباه: أنهما من الأنصار وشهدا بدرًا ، ومع هذا لم يحضرا السقيفة ولا كانا متوجهين إلى الإجتماع مع علمهم به ، إنما كان اتجاه مسيرهما معاكس لاتجاه مسير الثلاثة ، فقد تبادلوا الحديث معهم ومضى كل في دربه ، فلم يشر أحد أن الخمسة ساروا معاً باتجاه اجتماع السقيفة . ثم مضمون الحوار ، فمرة قالوا للثلاثة: إرجعوا واقضوا أمركم بينكم ، أي لا علاقة للأنصار بهذا الأمر ، ومرة قالوا: إنه لن يكون الذي تريدون ، بمعنى أن الأنصار لن توليكم ! فأبي الروائين أولى بالتصديق !؟

٩- تحليل موضوعي ونفي الصدفة

هناك إجماع بين مؤرخي السنة بأن أول من سمع بخبر الإجتماع هو عمر^(١) وفي رواية أخرى أن أبا بكر بلغه الخبر^(٢) وهذا لا ينفي كون عمر أول من سمع الخبر . وفي رواية ابن هشام: « فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر فقال..»^(٣) . ثم إنه لا أحد يعرف إسم الذي أتى بالخبر لحد الآن ! إنه ليس صدفة أن

المريض ، الي رفض فهددوه بالقتل ! وصفق معه ثلاثة أشخاص فقط هم: أبو عبيدة واثنان من الأوس ، فاعترض سعد فعنفوه وأرادوا قتله وجاء طلقاء قريش وتلوا السقيفة ! راجع: مجمع الزوائد: ١٨٢/٥ ، وسنن البيهقي: ١٤٥/٨ ، ومسند أحمد: ٥/١ ، ومصنف ابن أبي شيبة: ٥٧٢ / ٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤٩٠/٤ .

(١) تاريخ الطبري: ٢١٩/٣ .

(٢) تاريخ الطبري / ٣ / ٢٠١ .

(٣) ابن هشام: ٦٥٦/٢ .

يضع اسم المخبر ، مع أنه شخص بارز في المجتمع لأنه يعلم ما يدور في الخفاء ولأنه أخبر عمر وأبا بكر ، ومما يدل على بروز هذا الشخص أن عمر وأبا بكر أصغيا إليه وصدقاؤه وكلماه ! فمخبر بهذا الوزن لأمر بهذه الأهمية لا يمكن أن يضع اسم إن وجد ، مما يلقي ظللاً من الشك على وجود حقيقي لمثل هذا المخبر ! ثم كيف تجتمع الأنصار وهم الأغلبية الساحقة من سكان العاصمة (المدينة) ولا يعلم بهذا الاجتماع من المهاجرين كلهم إلا عمر وحده !!؟

ثم لماذا ينادي عمر أبا بكر وحده ولا ينادي غيره من المهاجرين ، مع أن المهاجرين كلهم كانوا يلقون نظرة الوداع على نبيهم وإمامهم ﷺ ويشاركون الآل الكرام مصابهم الفادح ، وهذا ليس صدفة أيضاً !

ثم أين كان الفاروق الذي لم تتحملة رجلاه عند ما سمع بخبر وفاة النبي ، وتوعد بالموت وتقطع أطراف من يزعم موت النبي^(١) ولما تأكد له الموت من المفترض أنه ذهب إلى بيت نبيه وإمامه ليلقي عليه نظرة ، وليشارك الأمة مصابها ! فلو كان ذهب إلى بيت نبيه ورئيسه ، فكيف جاءه الخبر من دون الناس ؟ ومن الذي أتاه بهذا الخبر وكيف اهتدى إليه من بين الألوف المتواجدين في البيت المبارك أو حوله ؟

فمن المؤكد أن هذا أيضاً ليس صدفة ، ومن المؤكد أن الأنصار لم يجتمعوا ، فمن غير الممكن أن يجتمعوا ولا يحضره البديون وهم الخيار كاللذين صادفوا المهاجرين الثلاثة ، فلو كان الاجتماع لاختيار خليفة لحضره هذان البديان .

ثم إن النبي ﷺ فارق الحياة وهو مسجى في بيته الطاهر ، فهل يعقل أن يتركه الأنصار ولا يذهبون لإلقاء نظرة الوداع عليه ، في الوقت الذي تتأهب فيه العترة

(١) تاريخ الطبري: ١٩٧/٣ .

لمواراته في ضريحه المقدس؟ هذا أمر لا يمكن تصديقه إلا بالتقليد الأعمى.
ثم كيف ينسى الأنصار أحكام الشرع ، وأن الأئمة من قريش ، وأنهم شهدوا
تنصيب الولي والخليفة بعد النبي في غدير خم ، وأوصاهم النبي بعلي وبأهل بيته
قائلاً: «يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً؟
قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموا بكرامتي ، فإن
جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل»^(١)
فكيف ينسون ذلك أو يتناسونه جميعاً؟!

وما هي علاقتهم بشعار: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، فهم
ليسوا من قريش ولا مصلحة لهم بإبعاد آل محمد ، وهم يعرفون الولي بدليل
أنهم وفي غياب علي عندما أدركوا أن الأمر سيفلت من أيديهم قالوا: لا نبايع إلا
علياً^(٢) . وعندما غلب الأنصار على أمرهم وراجعتهم فاطمة الزهراء عليها السلام طالبة
النصرة كانوا يقولون لها: «يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن
زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به . فيقول علي كرم الله وجهه:
أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه وأخرج أنزع الناس سلطانه ؟ فتقول
فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم
ومطالبهم»^(٣) .

وبشير بن سعد الذي خرج عن إجماع الأنصار وكان أول من بايع أبا بكر لما

(١) شرح النهج: ١٧٠/٩ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ١/٦٣ ومجمع الزوائد: ٩/١٣٢ وكفاية الطالب/ ٢١٠/ وينابيع
المودة/ ٣١٣/ وكنز العمال: ١٥/١٢٦ والرياض النضرة: ٢/٢٣٣ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة/ ٩٨ ومطالب
السؤال لابن طلحة: ١/٦٠ وفرائد السمطين: ١/١٩٧ ح ١٥٤ .

(٢) راجع على سبيل المثال: ١٩٨/٣ والإمامة والسياسة/ ٨/ وشرح النهج: ٢/٢٦٦ .

(٣) راجع الإمامة والسياسة/ ١٢ .

سمع احتجاج الإمام قال مخاطباً علياً: «لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»^(١).

أما سعد بن عبادة فقد كان مريضاً ولا يقوى على النهوض ، وإلا لما ترك نبيه دون أن يلقي عليه نظرة الوداع ، وكانت السقيفة مكان له جنب بيته يستقبل فيها الناس ، وقد تمرض فيها وكان الناس يعودونه ، فاختروا بيت سعد ليصفقوا على يد أبي بكر فيه ، فيكون ذلك بحضور سعد ويجعلوه أمراً واقعاً!

١٠- القرشيون الثلاثة في السقيفة

دخل المهاجرون الثلاثة الى السقيفة ، وكان فيها بعض الأنصار لاغير ، لأنهم كانوا في بيت النبي ﷺ أو حوله بالعقل والضرورة ، وحتى (الرجلان الصالحان) اللذان لقياهم في الطريق لم ينضما إليهم ، وهما عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة برواية الطبري ، وبرواية أخرى عويم بن ساعدة ومعن بن عدي^(٢) فلو كان هناك اجتماع للأنصار لما تركاه!

ثم من المتكلم الذي فتح المناظرة؟ إنه تماماً كالذي جاء بخبر اجتماع الأنصار ما زال مجهولاً ، مع أن الذين لهم أدوار أقل من دور ناقل خبر الاجتماع ومن دور من فتح باب المناظرة قد عُرفوا. إن هذا يؤكد أن هنالك مقاطع من الحقيقة وجوانب من الرواية مبتورة ، فقد صيغت قصة اجتماع السقيفة تحت إشراف مؤيدي الفاروق والصديق ، وتم تناول القصة وطرحها بطريقة تصور هؤلاء الثلاثة أبطال قصة تاريخية! ويمكن ملاحظة ذلك من تعدد الروايات

(١) الإمامة والسياسة ١٢/ ٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٠٥/٣- ٢٠٦.

وتناقضها أحياناً كالذي قاله لهم (الصالحان البديان) مثلاً^(١) كما أن بعض رواياتها صورت سعد بن عبادة على أنه طالب للخلافة ومنافس عنيد للثلاثة حتى أوشكوا أن يقتلوه وقال عمر: «أقتلوه قتله الله»^(٢) وصورته رواية ثانية كرجل أقام الفاروق عليه الحجة فسكن واقتنع وباع!^(٣)

كما أنها لم تبين من الذي فتح المناقشة بعد دخولهم؟ لا أحد في الدنيا يعرفه لكن الفاروق يتصور أن هؤلاء يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر^(٤) لقد كان هدف الثلاثة من ذهابهم الى بيت سعد هو بالتحديد تنصيب خليفة في غياب العترة الطاهرة كلها وخاصة عميدها علي بن أبي طالب، لأنه إن حضر تتغير النتائج حتماً ويقيم الحجة عليهم ويقنع الأنصار، فالمطلوب غيابه ليصفو لهم الجو ويتمكنوا من تعيين أحدهم خليفة، فيبايعه مؤيدوهم ولو أشخاص قليلون وتواجه العترة الطاهرة بمرجع بايعته الأنصار، ولا تكون المواجهة بين علي وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة كأشخاص، إنما بين خليفة حاكم وأحد رعاياه أو بين أحد نائبي الخليفة وأحد الرعايا المحكومين للدولة، وهي مواجهة معروفة النتائج! أما قريش فهي حاضرة لأن رأي الثلاثة هو رأيها، فهي ممثلة بهم بل بعمر الذي قاد انقلاباً على النبي ﷺ من أجل مقولة قريش.

كما أن الوقت الذي اختاره الثلاثة لتنصيب الخليفة ملائم جداً لهدفهم وهو بعد وفاة النبي ﷺ بساعة واحدة أو أقل! وهو وقت مثالي لتنصيب الخليفة في

(١) تاريخ الطبري: ٢٠٥/٣.

(٢) الإمامة والسياسة/ ١٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٠٣/٣.

(٤) تاريخ الطبري: ٢٠١/٣ - ٢١٨.

غياب العترة الطاهرة وغياب عميدها ، المشغولين بكليتهم بمصائبهم ، والمذهولين حتى عن أنفسهم ، بل إن عامة المسلمين في حالة ذهول ! فهو الوقت المناسب لتنصيب خليفة بالصورة التي تتمناها بطون قريش .

ولفهم دقة الاختيار لو أن قريشاً كلها بايعت أبا بكر ولم يبايعه الأنصار ، لما كان لبيعة قريش أدنى قيمة واقعية ، ولأمكن للإمام فيما بعد أن يقيم الحجة على قريش ، وأن ترجح كفته بالأنصار ، ومن هنا لا معنى لإحضار قريش لأن الثلاثة يقومون مقامها ويحققون أهدافها . ومن هنا نفهم سر أسلوب عمر بأخذ البيعة بعد خروجهم من السقيفة: كان الناس في المسجد الشريف مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الأنصار أبا بكر قال لهم عمر: « مالي أراكم مجتمعين حلقاً شتى ، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعته الأنصار ! » فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا ، وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا . وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهم من بني هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب إليهم عمر في عصابة فقالوا: إنطلقوا فبايعوا أبا بكر ، فأبوا...» أنظر إلى لهجة الفاروق وأسلوبه بأخذ البيعة .

١١- الحجج الشرعية لأطراف السقيفة

عاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون أن لقاء أفراد من الأنصار مع سعد بن عبادة هو لقاء عادي من كل الوجوه ، وليس له أي طابع سياسي ، وإن جرى فيه حديث سياسي فما هو إلا مجرد تبادل بوجهات النظر بين أناس اجتمعوا عند مريض . لكن الذي أعطى لقاء السقيفة هذا الطابع السياسي والتأسيسي هو قدوم المهاجرين الثلاثة فحولوه إلى لقاء سياسي بتنصيب الخليفة بعد النبي بالصورة

التي أرادوها . ولم تكن غاية المتواجدين من الأنصار أن ينصبوا خليفة منهم كما يحلو للرواة التركيز عليه ، لأن كل الأنصار تعلم أن الخلافة ليست فيهم ، والحجج المنسوبة إليهم لا تخلو من روح المواءمة والتسوية ، بل هي من مستلزمات إخراج القصة وترويج أبطالها وتبرير ما فعلوه ، ثم تداولت الأمة هذه القصة بالكيفية التي أخرجتها وسائل الإعلام الرسمية وأهملت الرواية المناقضة ، فأخذتها الأجيال كحقيقة مكرسة رسمياً وشعبياً ، واستنكرت كل ما يعيها باعتبارها خارجاً على إجماع الأمة !

وبماذا احتج هؤلاء الثلاثة حتى أعطتهم الأنصار المقادة ؟ وهل كانت حجتهم شرعية فعلاً ؟ احتجوا بالقرابة من النبي ﷺ وأن أقارب النبي ﷺ أولى بسلطانه . وهكذا كانت القرابة البعيدة للنبي ﷺ حجة أبي بكر وعمر والأساس الشرعي التي أقاموا عليها نظام الخلافة ، وأما قرابة النبي ﷺ بعترته وعشيرته الأقربين فهي بحكم بطون قريش سبب لحرمانهم من الخلافة ، لأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا بين النبوة والخلافة ، لأن الخلافة حصة البطون ! قال أبو بكر في السقيفة: « فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً والناس تبع لنا ، ونحن عشيرة رسول الله ، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة » . وملخص حجة عمر : « إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيها وأولو الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته؟ إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم ، أو متورط في هلكة»^(١) . قالت

(١) راجع فيما تقدم على سبيل المثال الإمامة والسياسة / ٦ .

الأنصار: «لا نبايع إلا علياً» قال بعض الأنصار: «لا نبايع إلا علياً»^(١) حدث هذا وعلي غائب فكيف لو كان حاضراً لهذا الاجتماع؟

فلو أن الثلاثة المهاجرين قبلوا خلافة علي لما حدث إشكال، ولسار النظام السياسي الإسلامي سيراً طبيعياً، ولكنهم مسكونون بمقولة: لا يجوز أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة! لذلك تجاهلوا قول الأنصار وقال أبو بكر: «إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فبايعوا من شئتم»! فقال عمر: «معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا... أبسط يدك أبايعك»! فأراد بشير بن سعد أن يكون له السبق، وهو من الأوس المنافسين لسعد زعيم الخزرج، فقال: «إن محمداً رسول الله رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه» ثم قفز وكان أول من بايع أبا بكر^(٢)!

ويجدر بالذكر أن بشيراً هذا كان ثاني اثنين من الأنصار فقط وقفوا مع معاوية ضد علي فيما بعد! وأصبح بشير بن سعد من أقرب مستشاري الخليفة ونائبه، فهو نفسه الذي أشار على أبي بكر وعمر بعدم قتل سعد بن عباد.

أما ثاني المبايعين من الأنصار فهو أسيد بن حضير الأوسي، وقد أصبح قائد قوى الأمن الداخلي إن صح التعبير، فهو نفسه الذي قاد مع عمر السرية التي ذهبت لتطويع بني هاشم والزبير والممتنعين عن البيعة في بيت علي وفاطمة، وأخرجوهم بالقوة، يساعده في ذلك سلمة بن أسلم^(٣). هذا كل شيء في السقيفة!

(١) راجع تاريخ الطبري: ١٩٨/٣ وراجع شرح النهج: ٢٦٥/٢.

(٢) راجع في كل ما تقدم الإمامة والسياسة ٨-٩.

(٣) راجع الإمامة والسياسة ٩ وما فوق.

١٢- ذهول الصحابة من انقلاب السقيفة

اهتزت الأرض تحت أقدام الذين آمنوا ، ومادت بهم حتى والنبي على فراش الموت ، فقد حدثت سلسلة هائلة من الإنهيارات المتلاحقة ، والإنهيار يتبعه بالضرورة انهيار ، والإنهيار التام وارد لا محالة ، أما متى فالله وحده هو الذي يعلم! وقد بدأت سلسلة الإنهيارات عندما حالوا بين الرسول وبين كتابة ما يريد ، وبموته وقبل دفنه ، أبرم الأمر الذين حالوا بينه وبين كتابة ما يريد ، وقبضوا على زمام السلطة في غياب العترة الطاهرة ، وغياب عميدها ، وغياب الأكثرية الساحقة من المسلمين ، وواجهوا الجميع بدولة حقيقية تلبس رداء الشرعية كاملاً وبأمر قد أحكم تماماً .

البراء بن عازب صحابي جليل من أبطال معارك الإسلام ، قال الذهبي: « البراء بن عازب بن الحارث ، الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني ، نزيل الكوفة من أعيان الصحابة . روى حديثاً كثيراً وشهد غزوات كثيرة مع النبي»^(١)

قال المؤرخ أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة: «سمعت البراء بن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله ﷺ خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ! فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي في الحجرة وأتفقد وجوه قريش ، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وعثمان ، وإذ قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة ، وإذ قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر! فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب

السقيفة ، وهم محتجزون بالأزر الصناعية لا يمرون بأحد إلا بخطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبي ! فأنكرت عقلي وخرجت أشد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة ، فقال العباس: تربت أيديكم آخر الدهر ! أما إني قد أمرتكم فعصيتُموني ! (عندما توفي النبي قال العباس لعلي: مد يدك أبايعك ليقال عم رسول الله بايع ابن أخيه ، فلم يقبل علي لأنه كان يعلم أن قريشاً جمعت الطلقاء في المدينة وهي حاضرة أن تعلن الردة) ! فمكثت أكابد ما في نفسي ، ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين ! فلما كان بليل خرجت إلى المسجد فلما صرت فيه تذكرت أنني كنت أسمع همهمة رسول الله بالقرآن ، فامتنعت من مكاني فخرجت إلى الفضاء فضاء بني قضاة وأجد نفرأ يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم ، فعرفوني وما أعرفهم ، فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسي وأبا ذر وحذيفة وأبا الهيثم بن التيهان ، وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به والله ما كذبت ولا كذبت ! وإذ القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين !

ثم قال: إئتوا أبيّ بن كعب فقد علم كما علمت ، قال فانطلقنا إلى أبي فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال: من أنتم ؟ فكلمه المقداد فقال: ما حاجتكم ؟ فقال له: ما أنا بفاتح بابي ، وقد عرفت ما جئتم له ، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد ؟ فقلنا: نعم ، فقال: أفيكم حذيفة ؟ فقلنا: نعم ، قال: فالقول ما قال ! وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجرى على ما هي جارية ، ولما يكون بعدها شر منها

والى الله المشتكى !

وبلغ الخبر أبا بكر وعمر ، فأرسلا إلى أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة ، فسألاهـما عن الرأي ، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية علي ، ويكون لكم حجة عند الناس على علي إذا مال معكم العباس . فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس ، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: إن الله ابتعث لكم محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانهم حتى اختار له ما عنده ، فخلي على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً ، فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جنناً ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين ، يتخذ لكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع ، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس ، أو صرفتموهم عما مالوا إليه ، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك ، إذ كنت عم رسول الله ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ومكان أهلـك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم . وعلى رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم ! فاعترض كلامه عمر ، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته فقال: إي والله وأخرى أنا لم نأتكم عن حاجة إليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقم الخطب بكم وبهم ، فانظروا لأنفسكم وعامتهم ، ثم سكت) . انتهى.^(١)

(١) كتاب السقيفة للجوهري / ٤٨ .

وتدل شهادة البراء بن عازب على أن خلافة أبي بكر كانت بعيدة عن النص النبوي وعن مشورة أهل الحل والعقد ، وكانت متأرجحة ، حتى غلبت فيها قوة طلقاء قريش ، وساعد عليها تخاذل الأنصار ! وقال البخاري إن عمر وصفها بأنها كانت « فلتة وقى الله شرها » . وقد تعجب أهل الشيعة من تكييف السنة لها فقالوا: « وأوجبوا إطاعة أبي بكر على جميع الخلق في شرق الأرض وغربها ، باعتبار مبايعة عمر بن الخطاب له برضاء أربعة: أبي عبيدة ، وسالم مولى حذيفة ، وبشير بن سعد ، وأسيد بن حضير لا غير . فكيف يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر إيجاب اتباع من لم ينص الله تعالى عليه ولا رسوله ولا اجتمعت الأمة عليه ، على جميع الخلق لأجل مبايعة أربعة أنفار؟! »^(١)

١٣ - التفريط بأعظم ثروة على الإطلاق

لو أن المهاجرين الثلاثة شاركوا العترة الطاهرة والمسلمين في تجهيز النبي لمواراته في ضريحه المقدس ، وبعد مواراته اتجهت جموع المشيعين إلى المسجد فأدت الصلاة المفروضة بإمامة مولى كل مؤمن ومؤمنة باعتراف الثلاثة ، وبعد أن فرغت من صلاتها قام كل واحد من هؤلاء الثلاثة فتكلم بما يحلو له وبين تصوره وطرح فكره ، وأتيحت الفرصة ليقول كل ذي رأي رأيه . وبعد ذلك قام الولي ببيان حكم الشرع في كل الآراء المطروحة باعتباره هو الهادي بنص الشرع ، وهو المبين للأمة بعد النبي ماتختلف عليه بنص الشرع ، والأنصار وجموع المسلمين يسمعون كل ذلك ويعونه ، ويقومون بدور المرجح ، ثم يبايعون الإمام الذي أرادهم الله بالنص أن يبايعوه..

(١) نهج الحق للحلي/١٦٩.

لو حدث ذلك لكانت ثمرة هذه المناظرة أعظم ثروة فكرية إنسانية على الإطلاق ، ولتغير مجرى التاريخ تماماً ، ولأمكن تطبيق النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده ، ولأمكن من خلاله انتشار الجنس البشري كله ، وتكوين الدولة العالمية التي تحكم الكرة الأرضية وفق أحكام الشرع .
تلك أمنية ، ما تحققت لأننا تركنا النص واجتهدنا . وأمة تترك النصوص الشرعية وتعمل باجتهادها أمة هالكة لا محالة ، وذائقة وبال أمرها ، جزاء وفاقاً لتبديلها نعمة الله وهدايته ، وتأويلها للواضحات من أوامره ، لا لشيء ، إلا لتوافق مع ما تهوى الأنفس !

١٤- إذلال الولي وتهديده بالقتل إن لم يبايع

هددت السلطة كما أسلفنا بحرق بيت فاطمة علي من فيه إن لم يخرج المتعاطفون مع الولي فيبايعوا خليفة البطون ، فقيل لعمر: إن في البيت فاطمة ! فقال: وإن ! وأدرك المتواجدون في بيت علي أن عمر جاد في عزمه على حرق بيت فاطمة ، فخرجوا فبايعوا بالقوة ، إلا علياً صاحب البيت ، فوقفت فاطمة على باب بيتها فقالت: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا...» .
وأرسل أبو بكر من يدعو علياً وعلي يرفض ، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟» فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تتقطر . إلا أن عمر القوي الذي لا يعرف اللين ، ولا تأخذه لومة لائم بقي ومعه قوم ، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا: بايع . فقال: إن لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا والله

الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك . قال علي: إذا تقتلون عبداً لله وأخا رسوله . قال عمر: أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا ! فقال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال أبو بكر: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه . فلحق علي بقبر رسول الله يصيح وينادي: ابْنِ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي !^(١)

١٥- المواجهة الغير متكافئة بين الولي والسلطة الجديدة

الولي من بعد النبي جرد من كل سلطاته ، وأتى به إلى أبي بكر بالقوة وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله ! فقيل له: بايع أبا بكر ، فقال: «أنا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ؟ أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لما كان محمد منكم ، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون» .

كلام الولي هذا لا يستحق حتى رد السلطة ، فقال له عمر على الفور: «إنك لست متروكاً حتى تباع . فقال له علي: أحلب حلباً لك شطره وأشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً ! ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه . فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه: يا ابن عم إنك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر ، أرى أبا بكر أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واضطلاعاً به ، فسلم لأبي بكر ، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق ، في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة/١٢ ، والعقد الفريد: ٢٥٩/٤ و ٢٦٠ ، وشرح النهج: ١٣٤/١ و: ١٩/٢ ، وتاريخ

الطبري: ٢٠٢/٣ ، وأنساب الأشراف: ٥٨٦/١ ، وملحق المراجعات تحقيق حسين راضي/ ٢٦١ .

ونسبك وصهرك فقال علي عليه السلام: الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقرع بيته ، إلى دوركم وقبور بيوتكم ، ولا تدافعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أولى بهذا الأمر ما كان فينا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، والمدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً .

١٦- محاولة لاسترضاء الزهراء

بعد إلحاح تمكن الفاروق والصدیق من مقابلة الزهراء ، فقالت لهما نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ قالوا: نعم سمعناه . قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكوئنكما إليه ! فأخذ أبو بكر ينتحب وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكياً»^(١).

١٧- أبو بكر يهيم بالتنازل عن الخلافة

فاجتمع الناس إليه لما خرج فقال لهم: «بيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم أقبيلوني بيعتي» . ومن الطبيعي أن من حوله سيرفضون ذلك ويعللون هذا الرفض تعليلاً شرعياً^(٢).

١٨- الموقف النهائي للولي

استقر الأمر للسلطة الجديدة ، وأصبح الولي مجرد مواطن عادي ، إن شاءت

(١) راجع فيما تقدم الإمامة والسياسة ١٢-١٣ .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ١١/ وما فوق ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

السلطة قربته منها وإن شاءت أبعدته ، فهي صاحبة الحق بذلك بحكم الغلبة !
لقد ضاعت الخلافة منه مع أنها حقه الخالص من الله ورسوله ، واستمراره
بالمعارضة يؤدي لقتله ومبررات القتل كثيرة ! أولها جرم شق عصا الطاعة
والخروج على الجماعة ومنازعة الأمر أهله... إلخ! ولا أحد معه إلا أهل بيته ، وقد
وصف حاله بتلك الفترة فيقول: « ونظرت فإذا ليس معي إلا أهل بيتي ، فظننت بهم
عن الموت ، وأغضيت على القذى ، وشربت على الشجا ، وصبرت على أخذ الكظم
وعلى أمر من طعم العلقم» ^(١) وقال يوماً: « فَجَزَتْ قريش عني الجوازي فقد قطعوا
رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي» ^(٢) «وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي... وقد قال
قائل: إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص ، بل أنتم والله الأحرص، وإنما
طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه فو الله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً عليّ
منذ قبض رسول الله حتى يومنا هذا» ^(٣) ولم يكن أمامه إلا الإحتجاج عليهم سلمياً ،
فقعده في بيته . ولو قاومهم بالقوة لما تمت له حجة ولا سطم لشيعته برهان ، لكنه
جمع بين حفظ الدين والإحتفاظ بحقه في خلافة المسلمين ، وحين رأى أن
حفظ الإسلام ورد عادية أعدائه موقوف في تلك الأيام على المودعة والمسالمة
شق بنفسه طريق المودعة ، وآثر مسالمة القائمين في الأمر احتفاظاً بالأمة ،
واحتياطاً على الملة ، وضناً بالدين ، وإيثاراً للعاجلة على الآجلة ، وقياماً بالواجب
شرعاً وعقلاً ، من تقديم الأهم في قيام التعارض على المهم ^(٤).

(١) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ٦٢/١ .

(٢) راجع شرح النهج: ٦٧/٣ .

(٣) راجع شرح النهج: ١٠٣/٢ و ٣٧/١ ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ١٣٥ .

(٤) المراجعات للإمام شرف الدين العاملي/ ٣٣٢- ٣٣٤ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ٣٣ وما فوق .

١٩- بطون قريش تتصرف كفريق واحد

كافة بطون قريش كانت تتصرف طوال التاريخ كفريق واحد لا فرق بين بطن وبطن ، طالما أن للجميع هدفاً واحداً ، وهو منع الهاشميين من الجمع بين الخلافة والنبوة ! ففي سقيفة بني ساعدة قال أبو بكر مخاطباً الحاضرين من الأنصار: « إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر ، فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك ، وأنت بين أظهرنا »^(١) ومن الطبيعي أن لأبي عبيدة نفس الموقف ، فلا فرق بين الثلاثة ، فكلهم إخوة وكلهم من فريق ، ولكن عندما قالت الأنصار: لا نبايع إلا علياً ، رفض الثلاثة هذا العرض مجتمعين^(٢) . وعندما هم أبو بكر بالتنازل عن الخلافة تصدت له قريش وأبت عليه ذلك فقريش مجمعة على ذلك . أنظر إلى قول الولي: « فجزت قريش عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي »^(٣) وقال مرة: « اللهم إني أستعينك على قريش و من أعانهم فإنهم قطعوا رحمي ، وصفروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي »^(٤)

ثم عندما أراد أبو بكر أن يستخلف من بعده كتب له الوصية عثمان ، فقال أبو بكر (أكتب) ثم أغمى عليه ، فكتب عثمان: «إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً » وعندما أفاق الخليفة من إغماءته قال له اقرأ... فقال

(١) الإمامة والسياسة/٩ .

(٢) تاريخ الطبري: ١٩٨/٣ وشرح النهج: ٢٦٥/٢ .

(٣) ٦٧/٣ من شرح النهج .

(٤) راجع شرح النهج: ١٠٣/٢ و ٣٧/١ من الشرح .

أبو بكر: لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها»^(١) فلا فرق على الإطلاق بين عمر
وعثمان ، فكلاهما إخوة ومن نفس الفريق !

وقبيل وفاة عمر قال: « لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته ،
ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته ، ولو أدركت خالد بن الوليد.. ولو أدركت
سالماً مولى أبي حذيفة...»! إنه لا فرق بينهم فكلهم من نفس الفريق ، ولا يوجد
أي خطأ بتولية معاذ وهو من الأنصار ، وما كان جائزاً أن يتولى أنصاري الخلافة
لأنها محصورة بمن كانت النبوة فيهم حسب رأي الفاروق آنذاك ، ولا خطأ بأن
يتولى الخلافة رجل فارسي من الموالي كسالم مولى أبي حذيفة ، المهم أن لا
يتولاها علي بالذات أو أي هاشمي ! ويوم تشاور الخمسة وكان طلحة غائباً ، فلو
لم يكن علي موجوداً لبايعوا عثمان فوراً ، فهو أول من بايع الصديق بعد عمر
وأبي عبيدة من المهاجرين ، وهو الذي كتب: «إني أستخلف عليكم عمر» وهو
المرشح الوحيد لخلافة عمر وكان يعرف بالرديف في زمن عمر ! ومن يدقق
بوصية عمر يكتشف بأقل جهد بأن عثمان هو الفائز بكل الحالات . وعند عودة
طلحة أعلن عثمان عن استعداده للتنازل لطلحة أن رغب بذلك ، ولم لا ، فكلهم
إخوة ، وكلهم فريق ، وغايتهم واحدة ، وهي عدم تمكين الهاشميين من أن
يأخذوا الخلافة لأنهم أخذوا النبوة ! بل ولا مانع من أن يتولي الخلافة عبد الله بن
عمر بعد أبيه ، بل أشاروا على الفاروق بذلك فقالوا له: «يا أمير المؤمنين استخلفه
إن فيه للخلافة موضعاً» ! فكل قريش فريق ، ولا فرق بينها على الإطلاق !

(١) راجع تاريخ الطبري: ٤٢٩/٣ وسيرة عمر لابن الجوزي/ ٣٧ وتاريخ ابن خلدون: ٨٥/٢.

الفصل العاشر

تجريد الهاشميين من كافة الحقوق السياسية

لم تكتف بطون قريش بالحيلولة بين علي وورثاسة الدولة الإسلامية ، بل حرّمت على أي هاشمي العمل في أي وظيفة عامة ، فأبو بكر لم يستعمل أي هاشمي ، وعمر كذلك ، وعثمان كذلك !^(١) وحتى في الشورى اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي عليه السلام أن لا يولي أحداً من بني هاشم منصباً ، قال له: «أبايعك على شرط أن لا تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس» ! فقال علي عند ذلك: ما لك ولهذا إذا قطعها في عنقي فإن علي الإجتهد لأمة محمد ، حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان في بني هاشم أو غيرهم! قال عبدالرحمن: «لا والله حتى تعطيني هذا الشرط ! قال علي: والله لا أعطيكه أبداً»^(٢)

ومعنى ذلك أنه لا يجوز للخليفة أن يستعمل هاشمياً حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ! ولا داعي للتذكير بأن عبد الرحمن نفذ بدقة وصية عمر .

أما غاية الفاروق من عدم استعمال الهاشمي ، فقد أجاب علي ذلك ، عندما هم مرة أن يستعمل ابن عباس ولكنه تردد وأخبر ابن عباس بتردده ، ولما سأله لماذا يخشى منه ويتردد في توليته ، قال له الفاروق: «يا ابن عباس إنني خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت - يعني يموت - وأنت على عملك فتقول: هلمّ إلينا ولا هلم

(١) الإمامة والسياسة/٢٤ .

(٢) الإمامة والسياسة/٢٦-٢٧ .

إليكم دون غيركم»^(١). فهو يريد أن يطمئن أنه حتى بعد موته بأن الخلافة لن تؤول لعلي أو لأي هاشمي ، وهذا قمة الوفاء لشعار لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة !

١- برح الخفاء وباحت الأسرار

بعد أن أحيط ببطون قريش في فتح مكة وأجبرها النبي ﷺ على خلع سلاحها اعتقدت بأنه يجب القسمة مع بني هاشم فتكون لهم النبوة وحدهم لا تشاركهم فيها البطون ، وتكون خلافة محمد لبطون قريش وحدها لا يشاركهم فيها بنو هاشم ! فهذه القسمة برأيهم قسمة عادلة تماماً ، لذلك قررت البطون بالإجماع أن لا تُمكن الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة ، لكنها لا تدري ماذا تفعل ، وكيف تضع قرارها موضع التنفيذ ، لأنها أسلمت متأخرة فتأخرت !

وبينما كانت البطون حائرة في أمرها ، برز ابن قريش البار عمر بن الخطاب معبراً عن ضميرها ومترجماً قسمتها ومنفذاً لقرارها ، ومبرراً هذه القسمة وشرعية القرار ، فاستحق بحق لقب ابن بطون قريش البار . فعمر هو الذي حال بين رسول الله وبين كتابة ما يريد ، بحجة أن المرض قد اشتد برسول الله وأن كتاب الله وحده يكفي ، وأعوان عمر هم الذين أيدوا رأيه وتطرفوا في تأييده حتى بلغ بهم أن قالوا: « هجر رسول الله ، إستفهموه إنه يهجر » ! واختلفوا وتنازعوا بشدة مع الفريق الذي أيد رسول الله ! وما كان لهم أن يقول ما قالوا لولا ثقتهم المطلقة بالفاروق ومعرفته اليقينية بمضمون هذا الكتاب ! فقد أدرك عمر بثاقب بصيرته أن النبي ﷺ يريد أن يجدد عهوده للولي ، فحال بينه وبين كتابة ما يريد بحجة أن

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٣٥٣/٢ - ٤٥٤ وقد نقلنا القصة في باب المرجعية .

المرض قد اشتد به ، لأنه ليس من الصواب برأيه أن يكتب النبي وصيته .
 لكن الفاروق نفسه لا يرى غضاضة من أن يكتب الصديق وصيته عند اشتداد
 المرض ، ولا حرج على الفاروق نفسه لو كتب وصيته عند اشتداد المرض به ،
 مع أن المرض قد اشتد به وبالصديق أكثر مما اشتد برسول الله !
 وحادثة الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد ، ثابتة ! ولم يخلق بعد
 الذي سينكرها أو سيقوى على تبريرها !
 وحادثة وصية الصديق أثناء مرضه ، ووصية الفاروق أثناء مرضه ، ثابتة
 كطلوع الشمس من المشرق ، وهاتان الوصيتان هما أسس نظام الخلافة
 التاريخي .

٢- تصريح الفاروق بأسباب المنع

حاور الفاروق يوماً ابن عباس فقال له: « كيف خلفت ابن عمك ؟ قال: فظنته
 يعني عبدالله بن جعفر ، قال فقلت: خلفته مع أتراه . قال عمر: لم أعن ذلك إنما
 عنيت عظيمكم أهل البيت . قال قلت: خلفته يمتح بالغرب وهو يقرأ القرآن . قال:
 يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتها ، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة ؟
 قلت: نعم . قال: أيزعم أن رسول الله نص عليه ؟ قال ابن عباس قلت: وأزيدك:
 سألت أبي عما يدعي من نص رسول الله عليه بالخلافة فقال: صدق . قال عمر:
 قد كان من رسول الله في أمره ذرواً - نوعاً - من قول لا يثبت حجة ولا يقطع
 عذراً ، ولقد كان يربع ، -- يمتحن - في أمره وقتاً ما . ولقد أراد في مرضه أن
 يصرح باسمه فمنعته»^(١) .

(١) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة مجلد ١٠٥/٣ وقد نقلها عن تاريخ بغداد .

٢- رأي الفاروق بشعار تحريم الخلافة على بني هاشم

قال عمر لابن عباس في حديث طويل دار بينهما: «يا ابن عباس ، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري . فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بَجْحاً بَجْحاً ! فاخترت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت . قال فقلت: يا أمير المؤمنين إن تآذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت . قال: تكلم قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اخترت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشاً اخترت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهة فقال: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . فقال عمر: هيهات يا ابن عباس ، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك فتزيل منزلتك مني . فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه . فقال عمر: بلغني أنك تقول: حرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً . قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والعالم، وأما قولك حسداً فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون ! فقال عمر: هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول. قال فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين لاتصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١)

(١) راجع الكامل لابن الأثير: ٢٤/٣ وشرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة: ١٠٧/٣ و٥٢/١٢ ، وتاريخ الطبري/ ٢٢٣/

٣- فرط الوفاء لهذا الشعار

لم يكتف الفاروق بالعمل على ترجمة شعار: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة ، إلى واقع سائد في حياته ، إنما عمل بكل قواه حتى يسود هذا المبدأ حتى بعد وفاته ، فهو حريص كل الحرص على أن لا تؤول رئاسة الدولة الإسلامية لعلبي أو لأي هاشمي بعد وفاته ، مثل حرصه على أن لا يتولى أي هاشمي أي عمل من أعمال الدولة الإسلامية ، حتى ولو كان هذا الهاشمي ذا قوة وذا أمانة !

فعبد الرحمن بن عوف الذي أعطاه عمر حق النقض في الشورى التي رتبها بعده ، كان ينفذ وصية الفاروق تنفيذاً حرفياً عندما اشترك على علي عدم تولية أي هاشمي حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة ، فهو تعبير آخر عن كلامه مع ابن عباس عندما مات عامل حمص ، فأرسل إلى ابن عباس وهمّ بتوليته ثم عدل ، والسبب كما يذكره الفاروق: « يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت - يعني موت عمر - وأنت في عملك فتقول: هلم إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم»^(١) .

الفاروق يريد أن يموت وهو مطمئن البال بأنه أياً من الولاة لن يدعوا لبني هاشم ، ولن يساعد دعوتهم لترأس الدولة الإسلامية . ومن أجل هذا وضع الشرط عدم جواز تولية الهاشمي حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة كما وثقنا ذلك مراراً ! وهذا منتهى الوفاء لشعار: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة ، فلا أحد من البطون يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من الوفاء لشعارهم !

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٣٥٣/٢ - ٣٥٤ .

٤- هل أمر الله بهذا الشعار؟

هذا الشعار جاهلي من كل الوجوه كما أثبتنا ، فما أمر الله به ولا أمر به رسوله ولا تقره عقيدة الإسلام لا من قريب ولا من بعيد ، بل هو يتعارض تعارضاً كاملاً مع النصوص الشرعية القولية والفعلية ، كالنصوص المتعلقة بتنصيب علي بن أبي طالب ولياً من بعد النبي ﷺ ، والتي عرضناها ووثقناها ، ويتعارض مع النصوص الواردة بوجوب التمسك بالعترة أهل بيت النبوة ﷺ ، واعتبارهم أحد الثقلين ، وسفينة النجاة وحزب الله ، وأمان الأمة من الإختلاف ، وأن الشرف والرئاسة لمحمد وآله .

ولتأكيد هذه الحقيقة جعل الله الصلاة على محمد وآله ، ركناً من أركان الصلاة المفروضة ، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة .

٥- لماذا يتمسك الفاروق بهذا الشعار ويتشدد به؟

لأن الفاروق حسب إجهاده يرى أن هذه القسمة (النبوة للهاشميين والخلافة للبطون) قسمة عادلة ، وأن قريشاً عندما قسمت هذه القسمة قد اهتمت ووفقت تماماً كما وثقنا ذلك ! ثم من باب سد الذرائع ، فلو جمع الهاشميون النبوة مع الخلافة فإن ذلك إجحافٌ من بني هاشم على بطون قريش ، والإجحاف ليس من الإسلام ! أما علي بالذات فهو صغير السن بالنسبة لغيره ، وهو غير مؤهل ليكون ولياً على المسلمين من بعد النبي !

ولكل ما أشرنا من أسباب ، وللحرص على الإسلام ، تبني الفاروق هذا الشعار وأخلص له بالرغم من إدراكه بأنه يتعارض مع ظاهر النصوص ، لأن الفاروق لا

يتعامل مع الظواهر ، إنما يتعامل مع البواطن ومآلات الأمور !
والفاروق حريص على مستقبل الإسلام والمسلمين حتى عندما كان وزيراً ،
فعندما أراد النبي ﷺ أن يكتب وصيته ، ورأى الفاروق أن هذه الوصية قد تشكل
خطراً على مستقبل الإسلام والمسلمين تصدى للنبي الكريم نفسه ، وعارض
كتابة الوصية واستقطب حوله مجموعة كبيرة من المعارضين ، فتمادوا
بمعارضتهم للنبي حتى قالوا للنبي ﷺ ومواجهة: رسول الله هجر ، إستفهموه إنه
يهجر !!!

والفاروق هو الذي رتب أمر اختيار الخليفة وتابع الأحداث دقيقة بدقيقة ،
حتى نصب الخليفة الجديد في غياب كل قريش ، وغياب العترة الطاهرة وغياب
عميدها ، وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين ووحدتهم ، وحتى لا يجمع
الهاشميون النبوة مع الخلافة فيجحفوا على قومهم ، والفاروق بطبيعته يكره
الإجحاف والظلم .

والفاروق لا يتساهل فيما يمس أمن الدولة ووحدة الأمة ، فأمن الدولة ووحدة
الأمة فوق كل اعتبار ، فإذا اعتقد أن الإخلال بأمن الدولة أو تعريض وحدة الأمة
للخطر يصدر عن بيت فاطمة بنت محمد نفسها ، فلا مانع يمنع من حرق بيت
فاطمة على من فيه ، لأن القانون يسري على الجميع بما فيهم فاطمة ، وقد همَّ
الفاروق حقيقة بحرق بيت فاطمة بعد أن جاء بالحطب ، ولكن المعارضة خرجت
فعدل عن حرق بيت فاطمة .

والفاروق لا يتهاون بمن يتخلف عن البيعة كائناً من كان ، حتى ولو كان الولي
من بعد النبي نفسه ، فعندما رفض علي مبايعة أبا بكر ، هدده الفاروق بالقتل إن لم
يبايع ، ومع هذا يقول لمن استصغر شأن الولي (هذا مولاي ومولاك ومولى كل

مؤمن ومؤمنة) وكان يرجع إليه يستشير في كثير من الأمور، وكثيراً ما قال (اللهم إني أعوذ بك من معضلة ليس فيها أبو حسن) وقد وثقنا كل ذلك في هذه الدراسة وفي كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

ثم عندما أحضروا علياً كان الفاروق هو الذي هدد علياً باقتل إن لم يبايع ، وعندما رفض علي طلب الفاروق من أبي بكر أن يأمر فيه بأمره ويقتله ! وبالرغم من ذلك فإن الفاروق هو الذي اقترح على الصديق أن يذهب بعد الحادثة ويعتذر للزهاء !

والفاروق نفسه هو واضع شرط عدم جواز تولية الهاشمي وتسليطه على رقاب الناس ، حتى لو كان ذا قوة وذا أمانة ، وذلك من باب سد الذرائع حتى لا يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً فيؤدي ذلك لإجحافهم على بطون قريش .

وبالرغم من ذلك كان يبدأ آل محمد عند توزيع العطايا ويقدمهم على نفسه وعلى آل أبي بكر ، كما يروي البلاذري في فتوح البلدان .

وباختصار ، فإن للفاروق أسلوبه ومنهجه الخاص بفهم الدين ، ولا يجد حرجاً ولا غضاظة بالجهر بهذا الأسلوب وهذا المنهج حتى بمواجهة النبي نفسه ، وحادثة الرزية ، كما يسميها ابن عباس ، خير مثال على ذلك .

وقد يبلغ به الأمر حداً أن يواجه بأسلوبه ومنهجه النص القرآني نفسه وعلى سبيل المثال قوله تعالى: **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**. فالنص القرآني يحدد الجهات المستفيدة من الصدقات وعلى سبيل الحصر ، ويعتبر هذا التحديد فريضة إلهية مثل أي فريضة . لكن لاح للفاروق أن سهم المؤلفة قلوبهم لا ضرورة له ، وهم لا يستحقونه فهو بعشرة لمال الله ، فالله

نصر الإسلام وأعز دينه ، ولا حاجة لتأليف القلوب بالمال ، وبجرة قلم أسقط سهم المؤلفة قلوبهم ، ومنع عنهم الحق الذي رتبته الله لهم ، مع علمه بأن الرسول نفسه قد أعطى المؤلفة قلوبهم هذا السهم بالرغم من مجئ نصر الله والفتح .

وسهم الخمس لأهل البيت مثال آخر ، ومنتعة الحج التي شرعت على عهد النبي وظلت قائمة حتى نهى عنها الفاروق ، والطلاق بالثلاث كان باطلاً في زمن النبي وأبي بكر ، لأن الطلقات يجب أن تكون متفرقة ، فجاء عمر وقال: « إن المسلمين يستعجلون الأمر وإن الأوفق أن يكون الطلاق ثلاث مرات» فجعل صيغة (أنت طالق ثلاثاً) تحل محل الطلاق ثلاث مرات ... إلخ .

والفاروق يندفع كالإعصار ، فلا شيء يقف في طريقه ، ولا شيء يمنعه من أن يقول ما يعتقد أنه الحق ويواجه به أيأ كان ، فقد كانت له الكلمة العليا في زمن الصديق ، لأن الصديق مدين له باستخلافه ، ولو شاء عمر لكان هو الخليفة بدله كما اعترف الصديق ! وكانت له الكلمة المسموعة في كل بطون قريش بعد فتح مكة ، لأنها تعرف أنه وحده منع الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة والنبوة ولولاه لجمعوهما . وكانت له الكلمة العليا عند بني أمية بالذات ، فهو الذي عين يزيد بن أبي سفيان ومعاوية وثبتهما على ولاية الشام ، وهو الذي أوصى عملياً لعثمان الأموي . وكانت له الكلمة العليا في زمنه لأنه هو الخليفة ، فغزت محبته قلوب قريش ، وامتدت لبقية المجتمع المسلم ، وسرت كالعافية .

٦- الحكم والمعارضة

برز القائمون على أمر كحكام حقيقيين بيدهم الحول والقوة ، وقد استقام لهم الأمر وبايعهم الأتباع وسلموا لهم الإمارة والمرجعية ، فهم حكم حقيقي وسلطة

واقعية . ووجد الولي من بعد النبي نفسه وحيداً مع القرآن ، والقرآن معه يدور حيث دار^(١) وحيداً مع الحق والحق معه يدور حيث دار^(٢) وحيداً مع قرار التعيين الإلهي بأنه الهادي^(٣) وحيداً مع قرار حقه بالبيان عند الإختلاف بعد وفاة النبي^(٤) وأنه كالنبي حجة على المسلمين يوم القيامة^(٥) وأنه يتمتع بكافة المنازل التي كان يتمتع بها هارون مع موسى باستثناء النبوة^(٦)!

وجد الولي نفسه وحيداً مع كل هذا ، و مجرداً من كافة سلطاته ، ولا أحد يصغي إليه ، إنه مجرد مواطن عادي لا معين له إلا أهل بيته الطاهرون وبني هاشم الذين أنهكتهم مقارعة العرب ! تلك هي التقاطع الأساسية للمعارضة ، ليست مرشحة لعمل الكثير ، لكنها مرشحة ومؤيدة من الله تبين لنا الدين على حقيقته رغم ظروفها الصعبة.

٧- خياران أمام المعارضة

ليس أمام المعارضة بديل غير المواجهة أو المواجهة ، والمواجهة بمثل الأوضاع التي كانت تحياها الأمة انتحار حقيقي ، فيها قد يتعرض الدين نفسه

-
- (١) راجع المناقب للخوارزمي/١١٠ والمعجم الصغير:٥٥/١ والجامع الصغير:٥٦/٢ وتاريخ الخلفاء:٥٦/٢... إلخ .
- (٢) راجع تاريخ بغداد:٣٢١/١٤ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق:١١٩/٣ وغاية المرام/٥٣٩ ومنتخب الكنز:٣٠/٥ .
- (٣) على سبيل المثال: ترجمة علي من تاريخ دمشق:٤١٧/٢ ومسند أحمد:٣٤/٥ الهامش وتفسير الطبري:١٠٨/١٣ وابن كثير:٥٠٢/٢ والشوكاني:٧٠/٣ والرازي:٢٧١/٥ والمستدرک:١٢٩/٣ والدر المنثور للسيوطي:٤٥/٤... إلخ .
- (٤) على سبيل المثال: المناقب للخوارزمي/٢٣٦ ، ومنتخب الكنز:٣٣/٥ من مسند الإمام أحمد ، وترجمة علي من تاريخ ابن عساكر:٨٨/٢ ح ١٠٠٨ و ١٠٠٩ .
- (٥) على سبيل المثال: ترجمة علي من تاريخ دمشق /٢٧٣ ومسند أحمد:٩٤/٥ وميزان الذهبی:١٢٨/٤ .
- (٦) وثقنا ذلك أكثر من مرة فحتى معاوية روى حديث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)!

للخطر ، وقد يتعرض الولي للموت والذرية المباركة للإبادة ، فقدم الولي الأهم على المهم ، وشق طريق المواعدة بنفسه . لا يبخل بنصح ولا بيان للمدين . وكان الأمة كانت في حلم فاستفاقت مذعورة بعد موت النبي ﷺ لتجد أمامها:

١ - سلطة قائمة وحكماً حقيقياً يقوده ويرشده شيوخ كانوا من أبرز وزراء النبي ويعلنون أنهم على حق .

٢ - معارضة محدودة ، يقودها ويرشدها الولي من بعد النبي ولا يقف معه إلا عترة النبي وبنو هاشم الذين واقفوا العرب ٢٣ عاماً كاملة ، فأقاموا لهم الدين وأنشأوا منهم أمة ، فجازاهم العرب بأن أخذوا منهم دولتهم وعزلهم بالقهر والغلبة !

١- انقسام الناس

وانقسم الناس ، ففريق آثر السلامة ، وأدرك عدم جدوى المعارضة ، فوادع السلطة (أهل السنة) ووالاها لأنها ولية النعمة ، ويدها الحول والقوة ، وهي رمز وحدة الأمة ، وعند ما انتصر معاوية على علي وهزمت الشرعية أمام القوة ، سمي هذا العام بعام الجماعة ، وسمي الذين والوا معاوية ومن غلب بأهل السنة ! وهذا الفريق شيع وأحزاب ، يتفاوتون بولائهم للسلطة وتبريرهم لأفعالها ، ويتفاوتون بدرجة تعاطفهم مع المعارضة ، وتفهمهم لموقفها ، وقد استقرت غالبيتهم على أن الجميع صحابة ومن أهل الجنة وكلهم مجتهدون ، والمجتهدون مأجورون أصابوا أم أخطأوا ، وارتاحت هذه الجموع لهذا الحل ، وارتبط مصيرهم بمصير الحكام فدفعوا اللوم عن الحكام ، لا حباً بالحكام ولكن حتى يسلموا بأنفسهم من اللوم ، لأنه إذا ثبت اللوم على الحكام فيثبت على من

والاهم بالضرورة . كما استقر هذا الفريق على رأي: أنهم مع من غلب ، فهم يوالون الغالب كائناً من كان ، وحثهم في ذلك مقولة الصحابي عبدالله بن عمر الذي قال يوم الحرة: نحن مع من غلب ، فصارت مقولته تلك قاعدة شرعية . وكان الفريق الثاني الشيعة ، الذين والوا الولي بعد النبي ﷺ ، وآمنوا أن الحق معه يدور حيث دار ، وأنه مع القرآن والقرآن معه ، فوالوه ووالوا عترة النبي وأهل بيته ، وصدقوا وصية النبي بالقرآن والعترة ، وأن الهدى لا يدرك إلا بالثقلين معاً ، وأن عميد أهل بيت النبوة في كل زمان هو إمامهم الشرعي ووليهم ، يوالون من يوالي ويعادون من يعادي ، وهؤلاء العمداء اثنا عشر عميداً وإماماً ربانياً بالنص .

وقد التزمت الشيعة بالشرعية الكاملة لا تحيد عنها ولا تخرج من دائرتها أبداً مهما كانت التكاليف ومهما غلت التضحيات . وهدفهم الأعظم توحيد الأمة الإسلامية تحت راية إمام أهل بيت النبوة ليتولى بيان أحكام العقيدة الإلهية وتطبيقها وحمل رسالة الإسلام النقية إلى العالم لانتشاله من الظلمات إلى النور . إن الطريق التي اختارتها الشيعة طوال التاريخ هي طريق الآلام والمصائب ، وهي الضريبة التي يتوجب أن تدفعها الشيعة حتى تنال رضوان الله والمقام الرفيع الذي خلعه النبي عليهم . عندما نزل قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** . قال النبي ﷺ « يا علي هم أنت وشيعتك »^(١) . ولأن الشيعة حزب معارضة ، فهي تشكك بشرعية السلطة القائمة في كل

(١) سورة البينة آية ٧ ، والصواعق المحرقة ٩٦/٩٦ والدر المنثور: ٣٧٩/٦ ، وتفسير الطبراني: ١٤٦/٣ وفتح القدير: ٤٧٧/٥ ، وروح المعاني: ٢٠٧/٣٠ ، وفرائد السمطين: ١٥٦/١ ، ومناقب الخوارزمي: ٦٢/٦٢ والفصول المهمة

زمان إن لم يكن إمامها ورئيسها من أهل بيت النبوة . فلذلك حدثت حالة من سوء الظن بين الشيعة والسلطة ، وتعمقت هذه الحالة حتى تحولت إلى خصومة فعداوة ، تمخضت عن الحقد المتبادل بين السلطة - أي سلطة - والشيعة طوال التاريخ ، فحاولت الشيعة كأفراد وجماعة أن تثبت أن السلطة قوة غاشمة وغالبة ، اغتصبت الأمر من أهله وفرضت نفسها على الأمة بحكم القوة والغلبة ، وأنها حرمت المسلمين والإنسانية من الاستفادة من الحكم الإلهي بسبب حبها للجاه والسيطرة وإيثارها للعاجلة على الآجلة .

ووسائل الشيعة بإثبات وجهة نظرها هذه فردية وسرية ، لأن السلطة القابضة بأيديها على زمام كل شئ في المجتمع ، صادرت حرية الشيعة بطرح وجهة نظرها طوال التاريخ ، ولاحتقتهم وطاردتهم وضيقت عليهم الخناق ، واتهمتهم بأنهم خارجون على الجماعة شاقون لعصا الطاعة ، وأحياناً اتهمتهم بالمروق والرفض والزندقة والكفر...إلخ.

كانت وجهة نظر السلطة بالشيعة متاحة للجميع ، وتنقلها كافة وسائل إعلام السلطة بحرية ، ويروج لها العلماء المتعاونون مع السلطة ، فصورت السلطة الشيعة بأبشع الصور ، وعمقت الهوة بينهم وبين بقية الأمة ، وماتت أجيال وجاءت أجيال فتصورت الأجيال اللاحقة أن التهم التي ألصقتها السلطة بالشيعة صحيحة ، فأخذت ترددها وتعزف على ذات الوتر بحكم التقليد ، والشيعة محتسبة صابرة ومثابرة ، وواثقة أن اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق ليس ببعيد .



فهرس كتاب عدالة الصحابة

مقدمة ٣

الباب الأول: مفهوم الصحبة والصحابة

الفصل الأول: معنى الصحبة والصحابة ١٠- ١٨

- أ - في قواميس اللغة: ب - في القرآن الكريم . ج - استقراء الآيات لصالح المعنى اللغوي . د - وجوه أو صور الصحبة . ٢- معنى الصحابة اصطلاحاً . أ- توضيح ابن حجر لهذا التعريف . ب - تقييم ابن حجر لهذا التعريف . ج - وسائل معرفة الصحابة . د - كل الشعب صحابة .

الفصل الثاني: نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة ١٩- ٣٢

ما هو دليل أهل السنة على ذلك ؟ مضمون عدالة الصحابة عند أهل السنة . ما هو جزاء من لا يعتقد بهذا الرأي ؟ ما هو سرُّ هذا التشدد والصرامة عند أهل السنة؟ محاولة للتخفيف من هذا الغلو . استنكار المحاولة ودفنها . الآثار المترتبة على هذا التعميم . تساؤل واستنتاج . نقد رأي أهل السنة . الإئتلاف والإختلاف . محاولة للتوفيق . ما هي الفائدة من هذا التقسيم ؟ التفاضل سنة إلهية . الدليل الشرعي للتفاضل . طبقات الصحابة . طبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدرکه . نظام التفاضل في الإسلام . أركان التفاضل أو مسارب العدالة . الحكم على هذه الموازين . تساؤلات .

الفصل الثالث: ١- نقض النظرية ٣٣- ٥٨

الوجه الأول: حول الشهادة والشهود . ٢- قراءة أولية . أولاً: الخلط . ثانياً: كلمات للتلقين . ثالثاً: الحماية والتستر . الله وحده يعلم كم هو موجب للتعصب ومثير للقرف . نقض نظرية كل الصحابة عدول من حيث الموضوع . العجب العجيب . وجوه النقض .

تفصيل وإثبات وجوه النقض . أ- ظاهرة النفاق . ب- الحكم الإلهي القاطع . أمثله على تعارض نظرية عدالة كل الصحابة مع القرآن الكريم . ١ - حكم الله في الثلاث . ٢ - حكم أهل السنة في

- الثلاث . ٢ - نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع السنة النبوية . تحليل هذه النماذج من النصوص .
 ٣ - نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال . تحليل هذه الأمثلة . تهافت نظرية عدالة كل الصحابة . عرض . دور الصحابة في التشريع .

الفصل الرابع: نظرية عدالة الصحابة عند الشيعة ٥٩ - ٦٢

- ١ - موالات الشيعة للصحابة . ٢ - من هم الصحابة عند الشيعة . ٣ - نقطة الخلاف الجوهرية .
 ٤ - دعاء الشيعة لأصحاب محمد . ٥ - من أدعية الشيعة للصحابة .

الفصل الخامس: بذور للتفكر في نظرية عدالة الصحابة ٦٣ - ٦٨

ابن عباس يصف الصحابة لمعاوية . شهادة ووصية الصحابي حذيفة بن اليمان . الزبير وحسن الخاتمة . طلحة وحسن الخاتمة . نهاية الصحابي عمار بن ياسر . حجة معاوية . معاوية لم يعاقب قتلة عثمان . رأي الحسن البصري في معاوية .

الفصل السادس: طريق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب ٦٩ - ٧٦

استذكار وتلخيص لوجهتي نظر السنة والشيعة . خلط الأوراق . واقعة للإستكشاف الشرعي . عدالة كل الصحابة . التكييفات المنطقية . الموالات كمفتاح للعدالة . الصحابة العدول . نماذج من غفلة أهل الشام والعراق . هؤلاء الذين أطاعوا معاوية .

الباب الثاني: الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الفصل الأول: الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة ٧٩ - ٩٤

الجذر القبلي - عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة . ب - الصيغة السياسية . ج - محاولات لزراعة الصيغة . د - إشاعة النبوة . هـ - إعلان النبوة . و - احتضان الهاشميين للنبي . ز - حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً لا حُباً بالأصنام . ح - حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لا حُباً بالأصنام . ط - النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه . ي - أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي . ك - التيار الغلاب . ل - القرابة الطاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة . م - الانقلاب وانفلات التيار الغلاب . ن - قصة ذات دلالة تأسيسية . س - التكييف الشرعي لمقولة لا ينبغي أن

يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة . ع - نتائج تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين النبوة والخلافة . النتيجة الثانية - زرع بذرة الخلاف ونموها . النتيجة الثالثة - رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي . النتيجة الرابعة - اختلاط الأوراق .

الفصل الثاني: الجذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة ٩٥ - ١٠٤

أ - اختلاف الواقع عن المثال . ب - النظام السياسي الإسلامي . ج - أركان النظام السياسي الإسلامي . الركن الأول - القيادة السياسية . ما هي الغاية من الترشيح الإلهي للقيادة السياسية ؟
الركن الثاني - الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها . الركن الثالث - المنظومة الحقوقية الإلهية . الركن الرابع: موافقة المحكومين ورضاهم . بساطة النظام السياسي الإسلامي . المناخ السياسي الذي نشأت فيه نظرية عدالة كل الصحابة . تجاهل الهدف المعلن للخروج على الشرعية . الصحوة من الغفلة .

الفصل الثالث: ما هي الغاية من ابتداء نظرية كل الصحابة عدول ١٠٥ - ١١٢

١ - تبرير غضب السلطة . ٢ - تبرير أفعال معاوية وشيعته . ٣ - التحصن ضد النقد والسب والشتم والانتقاص . ٤ - مقارعة خصوم معاوية وشيعته . ٥ - التفريق بين المسلمين . نشوء نظرية عدالة كل الصحابة . رواة الأحاديث . فضائل معاوية . رأي الشافعي في معاوية . قول الحسن البصري . نظرية عدالة كل الصحابة تحمل الطابع الأموي .

الفصل الرابع: الجذور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة ١١٣ - ١٣٦

المرجعية الفقهية . ١ - كل الصحابة مرجعية لأهل السنة . ما هو السند الشرعي لأهل السنة بمرجعيتهم للصحابة ؟ أئمة أهل البيت وثقات الصحابة هم مرجعية أهل الشيعة . دور المرجعيتين . اختلاف المنطلقين يؤدي لاختلاف النتائج . ١ - انطلق أهل السنة . ٢ - أما أهل الشيعة . تعدد المرجعيات . حكم الشرع في تعدد المرجعيات . إلغاء المرجعية الشرعية يستتبع بالضرورة إيجاد مرجعية بديلة . نظرية عدالة كل الصحابة هي الطريق الفرد لإيجاد المرجعية البديلة . لو جاءت النظرية عن طريق غير الحاكمين لفشلت . المرجعية البديلة أصبحت شرعية . الحل . في غياب المرجعية الشرعية . ج - الإنقسام الفقهي . جذور مطاردة أهل البيت . خصوصية القرابة الطاهرة . ما هي الغاية من هذه الخصوصية ؟ وظائف القرابة الطاهرة . لماذا أعطيت القرابة الطاهرة هذه

الخصوصية ؟ تعليقات . تحولت هذه الخصوصية إلى حجة سياسية طوال التاريخ . معاملة الحكام للقرابة الطاهرة من الناحية السياسية . نوعا القرابة . عزل العترة الطاهرة وتأويل الخصوصية .

الفصل الخامس: الآمال التي علقنا على نظرية عدالة الصحابة ١٣٧-١٤٦

التقابل بالصفات . مثال من الواقع . مثال آخر من الواقع . تساؤل واستغراب . أدت الرسالة . التقابل بالحماية . في مجال البيان . أمثلة ما تعطيه النظرية لكل الصحابة . نصوص للتدبير . تساؤلات . تلقين الحجة بالواسطة . التوسعة في التفقة . ووضعوا قيدا على الرواة من حيث المبدأ .

الباب الثالث: المرجعية

الفصل الأول: المرجعية ١٤٩-١٥٤

ما معنى المرجعية . تلازم المرجعية مع العقيدة . المرجعية اختصاص وعمل فني . تعددية المراجع الفارق بين العقيدة والمرجعية . تجذير الحكمة من وجود المرجعية . المرجعية أكبر من أن تنكر .

الفصل الثاني: العقيدة ١٥٥-١٥٨

نوعا العقائد ، وصناعة العقائد . ملامح عقيدة الإسلام . ١- على الصعيد العملي . ٢- على الصعيد النظري . التصور اليقيني . المنظومة الحقوقية الإلهية .

الفصل الثالث: من هو المختص بتعيين المرجعية؟ ١٥٩-١٦٤

ما هي المهام والوظائف المناطة بالمرجع الذي عينه الله ؟ ١- البيان . ٢- تحديد دائرة الشرعية والمشروعية . ٣- الولاية على الأتباع . ٤- منع حدوث الضلالة . ٥- سفينة نجاة . ٦- النبي المرجع باب للمفكرة . ٧- النبي المرجع يقود أتباعه للهدى . ٨- النبي المرجع أمان للأمة المؤمنة ومانع للخلاف . ٩- مضافاً إلى أن المرجع . المرجعية خلال حياة النبي ﷺ . المرجعية بعد وفاة النبي . قراءة أولية للواقع . الحاجة لمرجعية بعد وفاة النبي . تساؤلات تحتاج إلى أجوبة .

الفصل الرابع: مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي ﷺ ١٦٥-١٧٦

١- التاريخيون . ٢- الشرعيون . زعم ترك النبي الأمة بدون خلف ولا مرجعية . تلاشي عملية ترك الأمة بدون مرجع . المرجع بعد وفاة النبي ﷺ عند أهل السنة . الحاكم القائم هو المرجع عند

أهل السنة . من الذي يقوم مقام الحاكم في المرجعية . المرجعية الجماعية عند أهل السنة . كيف تعمل المراجع عند أهل السنة .

الفصل الخامس: المرجعية البديلة ١٧٧-١٩٠

الشروع بوضع معالم المرجعية البديلة . المواجهة الصاخبة . تحليل المواجهة . النتائج الأولية للمواجهة . ١- الإنقسام . ٢- بروز قوة هائلة جديدة . ٣- بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع . حادثان مشابھتان . ٤- ظفر الغالب ونجاحه . ٥- عزل العترة الطاهرة . طاقم المرجعية الجديد . أثر المعارضة .

الفصل السادس: من هو المرجع بعد وفاة النبي ﷺ؟ ١٩١-١٩٨

أ- ضرورة المرجعية . ب- البيان الإلهي للمرجعية . ج- من هو الولي والمرجع الذي عينه الله ؟ د- ما هو سبب عداة أهل السنة للشيعة ؟ هـ- الدليل الشرعي على تعيين الله للمرجعية . و- نموذج من إعلان يوم الغدير . ز- التأكيد الشرعي على ولاية علي .

الباب الرابع: القيادة والسياسة

الفصل الأول: ضوابط حركة المجتمع ٢٠١-٢٠٦

١- ضوابط حركة المجتمع . ٢- الترابط والتكامل بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية . ٣- مؤهلات القيادة السياسية الإسلامية الشرعية . ٤- القبول بالتكليف الإلهي . ٥- رفض التكليف الإلهي . أشكال رفض التكليف الإلهي .

الفصل الثاني: القيادة السياسية ٢٠٧-٢١٤

١- الإعداد الإلهي لخلافة النبي قبل أن يلد آدم . قبيل الدعوة . ٢- بعد النبوة . ٣- إعلان الخلافة بعد النبوة . ٤- الإعلان عن ولاية العهد والتوطيد للولي . ١- المنزلة . ٢- الأخوة . ٣- الولاية . ٥- تتابع الإعلان عن الولاية والتوطيد كان يجري بأمر الله .

الفصل الثالث: الولي هو السيد والإمام والقائد ٢١٥-٢٢٠

١- أبرز المؤهلات العلمية للولي بعد النبي ﷺ . ٢- ولي الله وخليفة رسوله هو فارس الإسلام .

الفصل الرابع: تزويج الله فاطمة لوليه وخليفة نبيه ﷺ ٢٢١ - ٢٢٦

- ١- الذرية المباركة . ٢- سكن النبي وخليفته من بعده . ٣- علي وصي النبي . إنكار الوصية .
- اختصاص الولي وخليفة النبي بمزايا خاصة . تحصين الولي والخليفة من بعد النبي ﷺ .

الفصل الخامس: تتويج الولي خليفة للنبي ٢٢٧ - ٢٣٤

- ١- المناسبة حجة الوداع . ٢- مكان التتويج . ٢- نص قرار تنصيب الولي والخليفة من بعد النبي .
- ٣- نص قرار التنصيب برواية زيد بن أرقم . ٤- نص قرار التنصيب برواية البراء بن عازب . ٥- نص قرار التنصيب برواية سعد بن أبي وقاص . ٦- قرار التنصيب برواية ثمانية لسعد . ٧- فهم مضمون القرار وتقبل التهاني . ٨- نصوص مبتسرة لقرار التنصيب الخالد . ٩- حديث الغدير وواقعة التنصيب يقين . ١٠- عيد يوم الغدير . ١١- صوم يوم الغدير شكراً لله .

الفصل السادس: بتنصيب الإمام كمل الدين وتمت النعمة ٢٣٥ - ٢٤٤

- الترتيب الإلهي لانتقال منصب الإمام بعد وفاة الولي . من هو صاحب الاختصاص بتعيين النبي للإمام ؟ من هو هذا الإمام ؟ من هو المختص بتعيين الخليفة الذي يلي خليفة النبي . الحكمة من حصر الإمامة بأولاد محمد ﷺ . دور الأمة بتعيين الإمام . الانفكاك بين الواقع والشرعية . الأئمة الشرعيون . استكشاف المستقبل أمام الولي وخليفة النبي . نسف الصيغة السياسية الجاهلية .

الفصل السابع: الانقلاب وتقويض الشرعية ٢٤٥ - ٢٥٨

- المناخ التاريخي الذي ساعد على نجاح الانقلاب . أ - تتكون بطون قريش . ب - وصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية . ت - محاولات لزعة الصيغة . ث - توقع ظهور نبي . ج - إعلان النبوة . ح - احتضن الهاشميين النبي . خ - حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام . د - حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام . ذ - النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه . ر - التيار الغلاب . ز - التكيف الشرعي لمقولة: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة . س - اقتناع الفاروق بالمقولة وتطويرها على يديه . ش - كيف تبني الفاروق هذه المقولة ونظر لها . ص - النتائج التي ترتبت على تكريس مبدأ عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة . ١ - النتيجة الأولى: زوال الفوارق نهائياً . النتيجة الثانية: زرع بذرة الخلاف ونموها . النتيجة الثالثة: رئاسة الدولة حق للجميع إلا

لهاشمي . النتيجة الرابعة: اختلاط الأوراق .

الفصل الثامن: الإستيلاء على السلطة وعزل بني هاشم ٢٥٩ - ٢٧٢

- ١ - استذكار وربط الأحداث. ٢- المواجهة الصاخبة . ٣- تحليل المواجهة . ٤- النتائج الأولية للمواجهة . ١- انقسام الأمة . ٢- بروز قوة هائلة جديدة . ٣- بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع . ٥- الخياران أمام النبي ﷺ . ٦- ثوب الشرعية . ٧- مقاصد الفاروق وأهدافه . ٨- حادثان مشابهان . ٩ - عزل العترة الطاهرة .

الفصل التاسع: قريش تخطط والهاشميون يرزحون في مصابهم ٢٧٣ - ٢٩٦

- ٢- التخطيط المحكم . ٣- الثمرة الأولى للتخطيط . ٤- التخطيط لهزيمة الهاشميين . ٥- الخطة المثلى والقوة المرجحة التي ستهزم الولي . ٦- اجتماع السقيفة . ٧- أسئلة بدون أجوبة . ٨- من الذي أتى بالخبر . ٩- تحليل موضوعي ونفي الصدفة . ١٠- القرشيون الثلاثة في السقيفة . ١١- الحجج الشرعية لأطراف السقيفة . ١٢- ذهول الصحابة من انقلاب السقيفة . ١٣- التفريط بأعظم ثروة على الإطلاق . ١٤- إذلال الولي وتهديده بالقتل إن لم يبايع . ١٥- المواجهة الغير متكافئة بين الولي والسلطة الجديدة . ١٦- محاولة لاسترضاء الزهراء . ١٧- أبو بكر يهزم بالتنازل عن الخلافة . ١٨- الموقف النهائي للولي . ١٩- بطون قريش تتصرف كفريق واحد .

الفصل العاشر: تجريد الهاشميين من كافة الحقوق السياسية ٢٩٧ - ٣٠٩

- ١- برح الخفاء وباحت الأسرار . ٢- تصريح الفاروق بأسباب المنع . ٢- رأي الفاروق بشعار تحريم الخلافة على بني هاشم . ٣- فرط الوفاء لهذا الشعار . ٤- هل أمر الله بهذا الشعار ؟ ٥- لماذا يتمسك الفاروق بهذا الشعار ويتشدد به ؟ ٦- الحكم والمعارضة . ٧- خياران أمام المعارضة . ٨- انقسام الناس .

تم كتاب نظرية عدالة الصحابة

والحمد لله رب العالمين .



كتب للمؤلف

- ١- نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام .
- ٢- حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوة والفكر المعاصر
- ٣- المواجهة مع رسول الله وآله .. القصة الكاملة
- ٤- الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية .
- ٥- كربلاء.. الثورة والمأساة
- ٦- النظام السياسي في الإسلام
- ٧- أين سنة الرسول ﷺ وماذا فعلوا بها ؟
- ٨- حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر ﷺ

